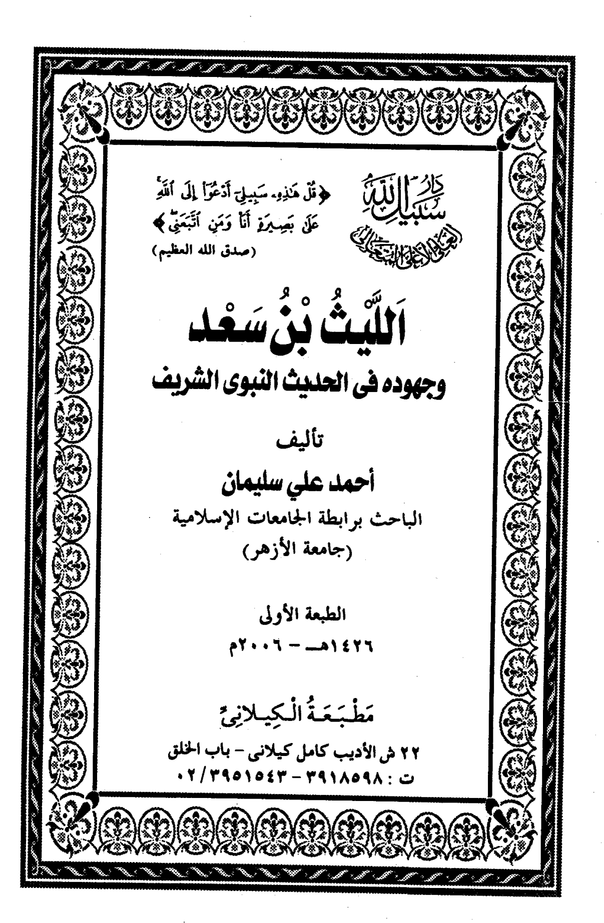


دار سبيل الله

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾
(صدق الله العظيم)

اَللَّيْثُ بْنُ سَعْد

وجهوده فى الحديث النبوى الشريف

تأليف

أحمد علي سليمان

الباحث برابطة الجامعات الإسلامية
(جامعة الأزهر)

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

مَطْبَعَةُ الْكِيلانِيّ

٢٢ ش الأديب كامل كيلانى - باب الخلق
ت : ٣٩١٨٥٩٨ - ٠٢/٣٩٥١٥٤٣



إهداء

أهدي هذا العمل إلى والدي رحمه الله

وأدعو الله -سبحانه وتعالى- أن يسكنه الفردوس الأعلى

بجوار رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

المؤلف

تصديـر

الكتابة عن الأعلام في مجالات الفكر الإسلامي فنٌّ صعب ومهمة شاقة؛ لأنهـا تستدعى من الباحث صبرًا في التعامل مع المـصادر التي قد تكون غـائبة أو مـجهـولة أو متـحركـة على كل موسـوعات الإسـلام، وتستـدعي حذرًا في تركيب الصـورة؛ لأن قراءة العصور ـ فكرًا وثقـافةً وأحداثًا ـ ليست بالأمر الهين اليسـير؛ بل ربما كانت استعادة الماضي هي أصعب ما يواجه الباحث في التاريخ العقلي للإنسان.

والكبار من أبناء الأمة قدامى ومـعاصرون أحسوا بثـقل هذه المهمة، وخطورة التبعة التي تُلقى على عـاتق الباحث في تقويم الرجال؛ لأنها لا تتعرض لعَـلَم فحسب، أو لأحداث مـجردة؛ بل تتنـاول نفوسا بـشرية كانت تتـحركُ في عـصر لم نعـايشه، وعلينا أن نعرف تفـاصيله ورؤاه، والعلماء جميعا في ذلك سواء، سواء أكانوا من رجال العسكرية أم من المفكرين أم من الفلاسفة أم من الفقهاء.

ويأتي الليث بن سـعد، الفقـيه والمحـدث المصري، بل رأس المدرسة المصرية في الفقه والحديث، في مقدمة هؤلاء الأعـلام الذين يصعب كتابة تاريخهم، والترجمة لعصرهم، وجمع شتات مؤلفـاتهم وآرائهم الفقهية؛ فقد كان -كـما قيل- أفقه من مالك، ولكن أصـحابه لم يقوموا به، أي لم يحملوا تراثه نشرًا وتدوينًا، ولم يحملوا مذهبـه إلى سُدَّة الحكم والقضاء، مما جعل جمع آرائه من موسوعات الحديث والفـقه أمرًا محفوفًا بالمخاطر، ولولا أمانة عـلمائنا الموسـوعيين واهتمـامهم بعـرض الرأي ودليله، لكان الوصول إلى فقه الليث بن سعد أمرًا يستحيل إدراكه.

وقد آثر الباحث أحمد علي سليمان أن يخوض هذه البحار العلمية الصعبة، ذلك لأن في المغامرة الفكرية متعة تستحق الإقدام عليها، وفي اكتشاف عقل الفقيه ما يساعد على تكوين علمي للباحث يدفعه إلى الأمام في المراحل العلمية التالية.

ولعل الباحث الجاد أراد ـ باعتباره مصريا ـ أن يدخل إلى عالم فقيه مصري يحتل مرتبة صاحب المذهب في خريطة المذاهب الفقهية الإسلامية. وقد وفق الباحث للتعريف بالليث بن سعد، والوصول إلى أهم آرائه، ولو قدر له أن يدرس الليث في إطار بيئته الجغرافية، ومن خلال الجهود العقلية في زمانه ومكانه لكان لديه آلية لتحليل منهج "الليث محدثا" بأكثر مما فعل؛ لأن الصحابة والتابعين في مصر لم يكونوا مجرد حملة لحديث رسول الله ﷺ بل كانوا رجال حديث، وأعلام فقه، وقادة سيف وقلم. ويبقى للباحث الغيور على شريعته ووطنه دوره المتميز في الكتابة عن محدث وفقيه مصرى له أهمية خاصة في تاريخ الإسلام العقلي.

وليست هذه هي الدراسة الأولى عن الليث بن سعد، وليست أيضا هى الأخيرة، فسوف يظل هذا العَلَم الشامخ دومًا محلاً للدراسات، ولكن دراسة أحمد سليمان تتميز بأنها عمل أمين في دراسة **"الليث بن سعد المحدث والفقيه"** يفتح آفاقا جديدة لفهم المدرسة المصرية في الفقه والحديث على حد سواء.

أ.د. محمد كمال إمام
أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة الإسكندرية

مقدمة

الحمد الله الذى أقام من كل موجود دليلاً على عزته ، ونَصَبَ عَلَمَ الهدى على باب حجته ، الأكوان كلها تنطق بالدليل على وحدانيته وكل موافق ومخالف فى الخلق يمشى تحت إرادته ومشيئته.. إن رفعت بصر الفكر ترى الفلك فى قبضته ، وتبصر شمس النهار وبدر الدجى يجريان فى بحر قدرته..

وأشهد أن لا إله إلا الله ولى الصالحين، وقيوم السموات والأراضين ..

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، إمام المرسلين ، وقائد الغر المحجلين..

اللهم صلِّ وسلم وبارك على مبعوث العناية الإلهية، وشمس الهداية الربانية، خير الخلق عندك، وأكرمهم لديك، وأحبهم إليك، سيدنا محمد ﷺ الذى اصطفيته للرسالة، وأيدته بالمعجزة، وآتيته من جوامع الكلم ما طوى به غزير المعانى فى اليسير من الألفاظ، فكانت سنته أبلغ بيانٍ عرفته العربية بعد كتاب الله – عز وجل – وبهما هدى اللهُ الضالَّ وعلَّم الجاهل وأرشد الحائر، أما بعد..

إن السنة النبوية نور يستضيء به المسلم فى حياته الدنيا، وينال به رضوان الله تعالى يوم القيامة.. وهى المصدر الثانى للتشريع الإسلامى توضح وتخصص وتفصل وتبين ما جاء فى المصدر الأول ـ القرآن الكريم ـ قال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل : ٤٤]

وقد أمرنا الله عز وجل باتباع السنة المطهرة والاستجابة لرسوله ﷺ فقال :﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال : ٢٤].

ومن هنا أوْلَى الصحابةُ الأخيارُ، والتابعون الأبرار، ومن بعدهم من علماء المسلمين السنةَ الشريفةَ جُلَّ اهتمامهم، وعنوا بها أشدَّ عناية تدقيقا وتحقيقًا وشرحًا وتوضيحًا، فأخرجوا لنا وللدنيا كلها كنوزا زاخرة بالنور المضيء من أقوال سيد البشر سيدنا محمد ﷺ فحفظت بهم السنة الشريفة من النقص والضياع، بتلقينها وتبليغها وسماعها وإسماعها ، فأدوها كما وعوها، خالفا عن سالف، فبلغتنا عبر السنين بصفائها ونقائها وبهائها ونورها.. وكان من هؤلاء الذين أعدهم الله ـ تعالى ـ وهيأهم لخدمة كتابه وسنة رسوله ﷺ الليث بن سعد -رضى الله عنه- الذى بدأ حياته بحفظ القرآن الكريم ، ثم شرع فى حفظ حديث رسول الله ﷺ.. وكان قوى الذاكرة فى حفظه، بارعًا فى تلقى العلم عن مشايخه؛ حيث أكثر من جلوسه إليهم واقتفاء آثارهم أينما كانوا أو حلوا .. فتعلم على أعظم علماء عصره من المصريين والحجازيين والشوام، منهم ابن شهاب الزهرى ، ونافع مولى ابن عمر ، ويزيد بن أبى حبيب ، وابن مليكة، وعطاء بن أبى رباح وغيرهم .. فنبغ فى جُلِّ العلوم الدينية واللغوية ، لكنه اعتنى عناية كبيرة بسنته ﷺ وبالفقه الإسلامى حتى صار فيهما إماما، ولا غرو أن يقبل عليه جموع الناس ليستزيدوا من بحر علمه الفياض، حيث كان المسلمون يهرعون إلى دروسه ومجالسه، ويقبلون عليه فى شوق ويستمعون إليه فى إنصات.

وقد أردنا من هذه الدراسة أن نرسم صورة واضحة المعالم لشخصية الإمام الليث بن سعد وجهوده فى خدمة الحديث النبوى الشريف والفقه الإسلامى ، وما تخلق به هذا العالم من أخلاق نبيلة، ونقدمها إلى المسلمين لتسهم فى تقويمهم وتوجيههم وبنائهم على أساس من الأخلاق والمُثل الفاضلة التى أرساها رسول الإسلام ﷺ وامتثلها الصحابة والتابعون ومَن جاء من بعدهم .

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

* لما طالعت كتب الحديث، والفقه، والتفسير، والتاريخ، أخذت أتعرف على الإمام الليث بن سعد ـ رضي الله عنه ـ فأدركت أنه كان محدثًا ، وكان كذلك فقيهًا من الطراز الأول ، مجتهدًا مثله – في ذلك – مثل الإمام مالك، والإمام الثوري، والإمام الأوزاعي، والإمام أحمد بن حنبل وغيرهم من الفقهاء .

ومن هنا ازداد حبي له وتقديري إياه.. وظهر لي بوضوح أثره وفضله في الحديث الشريف والدراسات الفكرية والإسلامية، حتى تمنيت أن أكون من أهل عصره ؛ لأنهل من علمه الفياض، وأتعلم على يديه حديث رسول الله ﷺ..فأردت أن أكتب عنه وأدلي بدلوى في تاريخه المشرق؛ لأضع أمام طلاب العلم وأساتذته أنموذجًا لشخصية كان لها أعظم الأثر في توجيه وتعليم كل من حوله من الخلفاء والأمراء وطلاب العلم وعامة الناس.

* فعلى الرغم من النبوغ المبكر والسريع للإمام الليث بن سعد (رضى الله عنه) في شتى العلوم، وجلوسه مبكرًا للتدريس، وكثرة مجالسه التي تعلم فيها الكثيرون، وكثرة عطائه ، فإنه ظلم بسبب عدم تدوين علمه، ربما لميل تلاميذه إلى الحفظ الشفاهي والنقل الروائي، وربما لعدم وجود تلاميذ نجباء يدونون عنه علمه ، كما كان لأبي حنيفة والشافعي وغيرهما، وربما غير ذلك.. فأردت أن أسهم بهذه الدراسة في جمع بعض هذا العلم خوفًا عليه من الاندثار.

* الرد على كثرة التساؤلات التي تقول: هل الإمام الليث بن سعد فقيه أم محدث ؟ فأردت أن أبين أن الليث بن سعد لم يكن فقيهًا فحسب ـ كما هو مشهور- بل كان من المحدثين الأفذاذ، الذين كانت لهم بصمات واضحة في خدمة الحديث النبوي الشريف.

* إبراز دور البيئة المصرية على سير الشريعة الإسلامية وتطورها ،

وفضلها على العلماء والطلاب الذين كان لهم الدور الكبير فى تطور الحركة العلمية.

* لما أخذت الفتن تطل برأسها بين المسلمين، وظهرت الفرق والتيارات السياسية، وتعصب كل شخص إلى فريقه من غير تبصر، شرع المغرضون فى وضع الأحاديث المكذوبة على رسول الله ﷺ بهدف تأييد توجهاتهم السياسية، وقد بادر باقتراف هذا الإثم جماعة ممن تستروا بالإسلام وأرادوا أن يشفوا غليلهم منهم بإثارة الأحقاد بين أبنائه بغية إحداث الخلل والوهن فى جداره المتين. ولم تكن تلك المحاولات الخبيثة لتعيث فساداً دون رادع، بل تصدى لها كبار علماء المسلمين آنذاك. وكان من هؤلاء الذين حفظوا السنة ودافعوا عنها ونفضوا الغبار المثار فى وجهها فى وقت حرج من تاريخ الإسلام، الإمامُ الليث بن سعد (رضى الله عنه) ، فأردنا أن نجلى صفحة مشرقة من تاريخ هذا العالم والمحدث الفذ ، ونظهر دوره فى الحفاظ على السنة النبوية ، ونلقى الضوء على منحاه الفكري ، ومنهجه فى رواية الحديث الشريف..

هذه هى أهم الأسباب التى دفعتنى إلى الكتابة فى هذا الموضوع المهم..

منهج البحث :

وقد اتبعت فى تأليف هذا الكتاب ما يلى :

١ـ تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية بسندها ومتنها ذاكراً الكتاب والباب ورقم الجزء ورقم الحديث ورقم الصفحة وطبعة الكتاب وناشره وسنة النشر ...

٢ـ تقديم ترجمة موجزة لجُلِّ الأعلام .

٣ـ التعريف بأهم البلدان مع ذكر مواقعها فى الوقت الحاضر.

٤ – شرح المفردات الغريبة معتمداً على كتب غريب الحديث ومعاجم اللغة، مع ضبط ما يحتاج من الكلمات.

٥- تتبع وحصر كل المرويات الحديثية للإمام الليث رضى الله عنه فى الكتب الستة الصحاح (صحيح البخارى ، صحيح مسلم، سنن الترمذى، سنن النسائى، سنن أبى داود، سنن ابن ماجه) وأوردت مختارات منها فى الفصل الثالث .

خطة البحث:

وفى ضوء ماسبق فقد قسمت الكتاب إلى فصول ثلاثة، تسبقها مقدمة بخطة الكتاب ومنهجه، كما ذيلته بخاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات لى تراءت لنا أثناء الكتابة.

وقد جاءت فصول الكتاب على النحو التالى :

الفصل الأول : عصر الليث بن سعد.

الفصل الثانى : شخصية الليث بن سعد.

الفصل الثالث : مختارات من آثار الليث بن سعد.

وأنا أعلم أن ما كتبته بضاعة مزجاة، أسأل الله أن يتقبلها منى وأن ينفع بها المسلمين إنه سميع قريب مجيب.

فهيا بنا الآن لنقترب فى خشوع من هذا الرجل لنستقبل فيه أروع نماذج البشرية الفاضلة وأبهاها.

﴿ ... رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَالِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾. [النمل : ١٩]

أحمد على سليمان

Ahmed 4481701@yahoo.Com

الفصل الأول عصر الليث بن سعد

المبحث الأول: الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في عصر الليث

تمهيد: عاش الليث بن سعد ـ رضى الله عنه ـ فترة تحول هامة من تاريخ الأمة الإسلامية ـ فترة سقوط دولة وبزوغ أخرى.. وشهد الليث ما شهد من دولتى الأمويين والعباسيين، وما كان بينهما من صراع وقتال، وما ثار فى المجتمع من ثقافات..

وكان هذا التحول فى كل شىء من مقررات ذلك المجتمع، سواء منها ما يتصل بتركيب المجتمع نفسه والعناصر المكونة له، أم بأساليب الحياة[1].

ونعرض بإيجاز للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى هاتين الدولتين فى الفترة التى عاشها الليث بن سعد ـ رضى الله عنه ـ من سنة ٩٤ ـ ١٧٥هـ.

الحياة السياسية:

حكم الأمويون العالم الإسلامى إحدى وتسعين سنة من سنة(٤١هـ إلى ١٣٢هـ)، وكانوا خلالها متعصبين للعرب والعربية، ولا شك أن هذا التعصب نأى بالعناصر المشتركة [2] عن صنع الحياة نفسها لا سيما ما يتصل فيها بالجانب الفنى والمادى ، وإن شاركوا أحيانًا فى صنع الحياة التشريعية؛ وذلك لبعدها عن سلطان الخلافة [3].

---

(١) كان من آثار هذه النقلة ذلك الترخص فى رواية الحديث والآثار واتساع حركة التأويل والإسراف فيها ..ثم ظهور الشافعى، وقد أدرك طرفًا من هذا الاتساع، وشارك فى صده، كما شارك فيه من قبله سلفه الليث وقد ظهر ذلك فى رده للقضاة وشهادته لهم وعليهم. راجع : الليث بن سعد فقيه مصر د. السيد خليل ط دار المعارف سنة ص١٠٧ وما بعدها بتصرف .

(٢) نعني بالعناصر المشتركة هنا : الموالى الذين شعروا بكثير من الضيق تحت حكم الدولة الأموية من جراء تفضيل العرب عليهم.. ثم ما لبثوا أن تبدد سلطان هذه الدولة وعصفت بها الحوادث حتى كانوا من العناصر المهيئة والمهيمنة على حكم الدولة الجديدة (الدولة العباسية).

(٣) الليث بن سعد فقيه مصر (مرجع سابق) ص ١٠٨ بتصرف.

وعلى الرغم من ذلك امتاز العهد الأموى على قصره بمجموعة من الحركات الفكرية والثورية لم تتأت لسواه، فهو بذلك كان أخصب العهود فى ثوراته الفكرية وثوراته العسكرية[١].

ولم يكن الأمويون أقل من غيرهم، إن لم يكونوا أفضل منهم، سواء فى نوعية الشخصيات الحاكمة وإمكاناتها الخلقية والنفسية والفكرية والتزامها بالإسلام، أم فى الأعمال العامة، الحربية والسلمية التى قامت بها كل دولة من هذه الدول التى أتت بعدها. ويرى كثيرٌ من دارسى التاريخ أن ميزان الأمويين فى التاريخ - على قصر عمرهم - لا يقل عن ميزان العباسيين مع طول عمرهم (١٣٢ - ٦٥٦هـ) !![٢].

ومن العجب أنه قد تحالفت ظروف كثيرة قللت من شأن الأمويين بقصد أو بدون قصد، ونكاد المراجع التى بين أيدينا أن تخلو خلواً تامًا من كلمة مدح أو ثناء على أكثر خلفاء هذه الدولة، أما عبارات القذف والطعن فقد أسهبت فيها كتب كثيرة واقتصدت كتب أخرى، وكان أيسرها ما اكتفى باللوم والتقريع..[٣].

وقد كان بنو أمية - بصفة عامة وبنسبة لا تتحقق لكثير من الخلفاء بعد الراشدين - عند حسن ظن الأمة بهم... سواء فى مستوى كفايتهم الشخصية أم فى مستوى أعمالهم العامة[٤].

ويشاء الله - عزَّ وجلَّ - أن يكون مولد الليث بن سعد - رضى الله عنه - فى هذه الدولة، فى خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان الذى تولى الخلافة

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامى (الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية خلالها) أ.د/ أحمد شلبى ،الطبعة السادسة سنة ١٩٨٢م ،طبعة مكتبة النهضة المصرية - بالقاهرة ٢/ ١٢٣ بتصرف.

(٢) (بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيار الداخلى). أ. د. عبد الحليم عويس طبعة : رابطة الجامعات الإسلامية سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م ص ٧ وما بعدها.

(٣) موسوعة التاريخ الإسلامى (مرجع سابق) ٢/ ١٧.

(٤) بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيار الداخلي (مرجع سابق) ص٧ وما بعدها بتصرف.

فى الفترة من ٨٦ ـ ٩٦هـ/ ٦٠٥ ـ ٦١٥م بعد وفاة والده عبد الملك بن مروان الذى بذل جهداً كبيراً ليعيد للعالم الإسلامى وحدته، واستطاع أن يحقق أمله و يصل إلى غايته، ويترك لابنه الوليد ملكًا مستقراً هادئًا متحداً. وكان الوليد خير من يتسلم هذا الملك، وأعظم من يرعى هذا التراث، وكأن عبد الملك كان رجل صراع فى عهد يحتاج للصراع، وكان الوليد رجل سلم وإصلاح ، فجاء فى عهد سلم وقام بالإصلاح. لقد بنى عبد الملك البناء شاهقًا وجاء الوليد فزينه وحسنه ونماه.

وكان الوليد أميل إلى العدل والقسطاس، حتى إن محمد بن يوسف عامله على اليمن حمل إليه هدايا وألطافا، فقيل للوليد إن محمداً غصب هذه الهدايا من الناس وكلفهم عملها دون أجر، فامتنع الوليد عن أخذ الهدايا، وأصر محمدٌ على أنها من ماله الخاص، فلم يقبلها الوليد حتى حلف محمد بين الركن والمقام فى مكة خمسين يمينا ما غصب شيئًا منها ولا ظلم أحداً ولا أصابها إلا من طيب[1].

وقد وُصفَ الوليد بأنه أكثر الأمويين فتوحات وأعظمهم نفقة فى سبيل الله، وهو الذى بنى جامع بني أمية بدمشق، وعَمّر مسجد النبى ﷺ بالمدينة، وعمل المنابر، وأغنى المجذومين عن سؤال الناس[2].

وكان عهد الوليد ـ على العموم ـ عهد سعة ورخاء وأمن واطمئنان، وفى ظل هذا اليسر وتلك الوحدة القوية،اتسع العالم الإسلامى وامتد حتى شمل الأندلس، والسند، وغيرهما من البقاع [3].

وكان يحكم مصر وقت مولد الليث بن سعد، قرة بن شريك بن مرثد

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامى (مرجع سابق) ٢/ ٦٤ وما بعدها بتصرف.
(٢) بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيار الداخلى أ.د. عبد الحليم عويس (مرجع سابق) ص ٢٧ .
(٣) موسوعة التاريخ الإسلامى جـ٢ ص ٦٤ بتصرف .

الذى وليها فى العام التسعين من الهجرة، من قبل الوليد، وكان قرة هذا سيىء الخلق، رقيق الدين، يقول ابن تغرى بردى: «كان قرة من أمراء بنى أمية، وولاه الوليد مصر، وكان سيىء التدبير خبيثًا ظالما غشومًا فاسقًا منهمكا»[(١)].

وتوفى قـرة بن شريك بمصر وهو وال عليها فى ربيع الأول سنة ٩٦ هـ[(٢)]، وتولى مصر من بعده عبد الملك بنّ رفاعة بن خالد بن ثابت الفهمى - ولايته الأولى - وذلك فى ربيع الآخر من نفس العام، وكان عبد الملك عفيفًا حريصًا على الرعية عادلا، كما كان ثقة فاضلا؛ ولذا أحبه الليث وأجلّه، وقد أوتى عبد الملك حظا كبيراً من العلم، فقد روى عنه الليث بن سعد كما روى عنه كثيرون[(٣)].

وبعد وفاة الوليد بن عبد الملك تولى الخلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩هـ) الذى كان من خيار بنى أمية، وكان فصيحا مفوها، مؤثراً للعدل محبا للغزو، مطلقا من كانوا فى سجون الحجاج، رادًا المظالم إلى أهلها، مفتتحا أيامه بإحياء الصلاة لمواقيتها، مختتمها باستخلاف الراشد عمر بن عبد العزيز[(٤)]، الذى تولى من سنة ٩٩ - ١٠١هـ.

وكان عمر من الخلفاء القلائل الذين سعت لهم الخلافة دون أن يسعوا إليها، أو يحاولوا الحصول عليها، بل إنه كان حريصًا على إبعادها عن نفسه، ويرى فيها امتحانا قاسيًا يثقل عليه حمله، ولكن سليمان بن

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لابن تغرى بردى .ط دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٢م، تحقيق: محمد حسين شمس الدين جـ١ ص ٢٨٠بتصرف .
وانظر: موسوعة حكام مصر من الفراعنة إلى اليوم مع صورهم وأعلامهم ورموزهم تأليف: د/ ناصر الأنصارى طبعة دار الشروق، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٩٣م. ص ٦٢ وما بعدها بتصرف.

(٢) النجوم الزاهرة ١/ ٢٨٢، بتصرف. (٣) المرجع السابق ١/ ٢٩٦، بتصرف.

(٤) الدولة الأموية تأليف د. محمود محمد زيادة ،طبعة مطبعة دار التأليف بالمالية بمصر سنة ١٩٦٨ - ١٩٦٩م.ص ٥٥ وما بعدها بتصرف .

عبد الملك كان يُظهر إعجابه بعمر ويراه أكفأ بنى قومه، فلما مرض (سليمان) عهد إليه بالخلافة وكتب بذلك عهداً وأعطاه لرجاء بن حيوة، وطلب سليمان من بنى أمية ومن قادة الجند أن يبايعوا لمن ارتضاه لهم فبايعوا، ومات سليمان بعد ذلك، فكتم رجاءُ خبر وفاته وجمع وجوهِ الناس وطلب منهم تكرار البيعة ففعلوا، ثم نعى رجاء لهم سليمانَ وفض الكتابَ، وأعلن أن عمر هو الخليفة الجديد[1] ثم صعد المنبر وانطلق يقول:

أيها الناس، إنى قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأى كان منى فيه، ولا طلبة لى، ولا مشورة من المسلمين، وإنى قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى فاختاروا لأنفسكم، وأخذ عمر ينزل من فوق المنبر، ولكن الناس صاحوا به: قد اخترناك، وأقبلوا عليه وبايعوه[2].

وهكذا كان إدراك عمر للمسئولية منذ اللحظة الأولى... يروى أن زوجته دخلت عليه عقب توليته الخلافة فوجدته يبكى فقالت له: ألشىء حدث؟ قال : لقد توليت أمر أمة محمد ففكرت فى الفقير الجائع والمريض الضائع، والعارى المجهود، والمقهور، والمظلوم، والغريب، والأسير، والشيخ الكبير، وعرفت أن ربى سائلى عنهم جميعًا، فخشيت ألا تثبت لى حجة فبكيت [3].

وعاد عمر بعد ذلك إلى نفسه يحاسبها، فجرد نفسه من كل نعيم، ورد القطائع التى كان قد ورثها اعتقاداً منه أنها لم تكن حلالا طيبًا، ونزع ثيابه الثمينة وقنع بكساء بثمانية دراهم. ويروى أن عمر كان قبل خلافته يرى الكساء الذى يبلغ ثمنه ثمانمائة درهم خشنًا، فأصبح يرى الكساء الذى يبلغ ثمنه ثمانية دراهم لينًا ، ويبحث عن كساء أكثر منه خشونة، وغسل عمر الطيب عن نفسه، ودعا الحجام فقص فضلة شعره،

---

(١) راجع: (تاريخ الخلفاء) للسيوطى ص ٢٣١، (وتاريخ الطبرى) ٥/ ٣٠٧، (وموسوعة التاريخ الإسلامى) د. أحمد شلبى ٢/ ٧٢- ٧٣.

(٢) الدولة الأموية (مرجع سابق) ص ٦١.

(٣) السيوطى ٢٣٦، الدولة الأموية ص ٦١، موسوعة التاريخ الإسلامى ٢/ ٧٣.

وباع ما عنده من ملبس وعطر، ووضع الثمن فى بيت مال المسلمين، وترك عمر ألوان الطعام الجميلة، وأخذ يأكل الطعام الجاف، وتولى خدمة نفسه بنفسه ولم يسمح لأحد أن يخدمه.

وانثنى إلى زوجته - وهى حفيدة خليفة وبنت خليفة وأخت خلفاء، وقد انحدر لها من هذا المحتد أغلى الجواهر واللآلىء، وأثمن المتاع والرياش - فقال لها : قد علمت حال هذا الجوهر ومن أين أصابه ذووك، فإما أن تختارينى وتدعى كل هذا المتاع، وإما أن تختارى متاعك وأسرحك.. فاختارته وقبلت العيش معه فى البساطة التى أرادها[1]، وبذلك أصبح عمر وزوجته وبيته فى حالة متواضعة.

لقد عاش عمر بن عبد العزيز تجربة الحكم، فى وقت بلغت فيه العلاقة بين الأسرة الحاكمة وبين الفئات الشعبية العريضة، حدًا كبيرًا من التعثر والانهيار...

---

(١) فعمر سليل بنى أمية وأبوه عبد العزيز بن مروان، وعمه الخليفة العظيم عبد الملك، وزوجته فاطمة بنت عبد الملك وأخت الوليد، ومن هنا انفسح له الرزق، وعرف حياة القصور وعاش فيها، وتربى فى نعيم وبحبوحة ورخاء، وامتد ثراؤه فأصبحت له قطائع يستغلها فى الحجاز والشام وفى مصر واليمن والبحرين، وقد ورد عليه منها دخل ضخم من المال قدر بأربعين ألف دينار كل عام، عرف عمر قبل الخلافة الطيب ومطرف الخز، كما زود قصوره بأفخر الأثاث وأغلى الرياش، ويروى أنه كان مما يؤخذ على عمر قبل الخلافة مبالغته فى التنعم وإفراطه فى حسن المظهر واختياله فى مشيته، وكانت مشيته تسمى العمرية نسبة إليه، وكان الجوارى يتعلمنها من حسنها وتبختره بها، وكان يستعمل نوعًا رائعًا من الطيب فإذا مشى ضاعت رائحته فى المكان الذى يمر فيه.. ثم جاءت الخلافة إلى عمر فكانت حدًا فاصلاً بين حياته السابقة وحياته اللاحقة، فقد أحس بالمسئولية ضخمة، وبالمظالم كثيرة، والتبعات ثقيلة، فبدأ يعمل بجد من اللحظة الأولى، وأول ما ابتدأ به أنه جيء له بمراكب الخلافة عقب دفن سليمان، وكانت هذه المراكب تشمل البراذين والخيل والبغال. فأجاب : دابتى أوفق لى، وباع هذه المراكب ووضع ثمنها فى بيت المال كما باع السرادقات والفرش والأوطئة المخصصة للخلفاء وضم ثمنها إلى بيت المال. راجع : (تاريخ الخلفاء) للسيوطى ص ٢٣١، وما بعدها بتصرف، (موسوعة التاريخ الإسلامى) للدكتور أحمد شلبى (مرجع سابق) ٢/ ٧٥ بتصرف.

وأدرك عن وعى جسامة الخطر الذى يتربص بالنظام الأموى، مع استمرار الأقلية الحاكمة معزولة خلف جدران الترف والامتيازات، عن الأغلبية المتذمرة، الفاقدة أحيانًا أبسط قواعد الاستقرار والحياة الكريمة، فكانت أثقل همومه بعد أن أصبحت فى يده السلطة العليا، الإحاطة بهذه المشكلة وتطويق أسباب النقمة ما استطاع إلى ذلك سبيلا [(١)].

ولا ريب أن عمر بن عبد العزيز الذى جاء إلى الخلافة عن طريق الفقهاء، ومعه تراث من التجربة ورصيد من التقدير فى الأوساط الدينية والعلمية على الخصوص، ومن ثم علاقته الوثيقة بـ «المدينة» التى كانت من المراكز الثقافية الهامة، اكتسب من خلال ذلك كله، موقعًا خاصًا ومكانة مميزة عن أقرانه من البيت الأموى[(٢)].

وقد استطاع عمر بن عبد العزيز القيام بعدة إصلاحات فى مختلف الميادين، فبذل كل جهده فى نشر الدعوة الإسلامية فى أقطار الأرض، وكتب إلى ملوك الهند يدعوهم إلى الإسلام والطاعة، على أن تبقى أملاكهم وإماراتهم بأيديهم، ولهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم.. وكانت سيرة عمر ومذهبه فى الحكم والحياة قد بلغت هؤلاء، فأسلموا وتسموا بأسماء العرب. .كما دفع عمر برسائله ووفوده إلى ملوك ما وراء النهر يدعوهم إلى الإسلام، فاستجاب له كثير من أهالى تلك المناطق، وأمر ببناء الخانات كى تكون محطات يأوى إليها الغرباء والمسافرون والمنقطعون، كما كتب إلى (ليو) الثالث، إمبراطور الروم، يدعوه إلى الدخول فى الإسلام..

وكان لعمر المنتهى فى العلم والفضل والورع ونشر العدل ، مقربًا

---

(١) تكوّن الاتجاهات السياسية فى الإسلام الأول د. إبراهيم بيضون طبعة أولى ط دار اقرأ ص ٢٩٢.

(٢)المرجع السابق ص ٢٩١.

لأهل الفضل، مؤثراً الدين على الدنيا، وكان يجمع العلماء والزهاد كل ليلة، فيتذاكرون الموت كأن بينهم جنازة.. !![1].

أما الأرض المغتصبة والتى لا سجل لها، فقد أعلن عمر عودتها إلى أصحابها أو إلى بيت المال إن لم يكن لها صاحب..

وسارع عمر بخلع الولاة الظالمين والعمال القساة، فعزل أسامة بن زيد التنوخى عن صدقات مصر لأنه كان غاشمًا ظلومًا كثير الاعتداء، وعزل يزيد بن أبى مسلم عن إفريقية، وصالح بن عبد الرحمن عن العراق، والحارث بن عبد الرحمن الثقفى عن الأندلس[2].

كما أوقف عمر الحروب مع غير المسلمين، ومع المتمردين من المسلمين، واستبدل بذلك دعوة غير المسلمين للإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، كما حاجج المتمردين والخوارج فتغلب عليهم بالدليل والإقناع، وقد انتصر فى مناظراته مع الثائرين من المسلمين، وكانت سيرته العطرة خير مساعد له لتحقيق هذا الانتصار، ودخل الإسلامَ كثيرٌ من المصريين والسوريين والفرس الذين لم يكونوا قد دخلوا الإسلام من قبل، على الرغم من دخول الإسلام بلادهم، مكتفين بدفع الجزية والدخول فى الذمة، ثم جذبتهم سماحة عمر إلى الإسلام مما جعل عصره يسمى «عصر البلاد المفتوحة»[3].

أما الخوارج فقد بهرتهم سيرته وأعماله، فأوقفوا نشاطهم الثورى والتقوا مع عمر للتفاهم معه بالحجة - كما سبق - فعلمهم بخلقه وعلمه وبيانه، فانصاع كثير منهم[4].

وخفف عمر من أثقال الخراج الذى يؤخذ من النصارى، وأوقف أخذ الجزية ممن دخل الإسلام منهم، فانهال الناس على الإسلام، تقديراً

(١) بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيار الداخلى د. عبد الحليم عويس (مرجع سابق) ص ٣٠.
(٢) موسوعة التاريخ الإسلامى د. أحمد شلبى (مرجع سابق) ٢/ ٧٦.
(٣) الطبرى ٥/ ٤٠٩.
(٤) موسوعة التاريخ الإسلامى ٢/ ٧٧.

للإسلام، ولعمر خليفة المسلمين، فكتب له عامل أهوج يقول: إن هذا يضر بالجزية. فتلقى من عمر الجواب الآتى: قبّح الله رأيك، ارفع الجزية عمن أسلم، فإن الله بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً.

وسوّى عمر بين العرب وغيرهم كما تقضى بذلك شريعة الإسلام، فأوقف مشكلة الموالى التى أكثر المؤرخون الحديث عنها [1].

وهكذا كانت خلافة عمر بن عبد العزيز، أحد أهم المنعطفات فى التاريخ الأموى، لما تمثله من محاولة رائدة فى استيعاب المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية، التى أفرزتها الفتوحات والعلاقة المتدهورة بين النظام وخصومه[2].

وتوفى عمر بن عبد العزيز بعد أن ملأ طباق الأرض علماً وحلماً وفضلاً، وكان ذلك فى شهر رجب سنة إحدى ومائة هجرية.

وبعد وفاته تولى يزيد بن عبد الملك سنة ١٠١ ـ ١٠٥هـ وحاول يزيد أن يسير سيرة عمر إلا أنه لم يستطع الصمود فى القمة[3].

وسرعان ما قام يزيد بهدم الجهد الذى بذله عمر بن عبد العزيز لرد المظالم وحماية بيت مال المسلمين، فاسترد القطائع وأعاد الهبات[4].

ويرى معظم المؤرخين أن خلافته كانت خالية من أى نشاط توسعى أو إصلاحى يمكن التوقف عنده. فالتصارع القبلى الذى كان الخليفة أحد الأطراف الأساسية فيه، يعتبر الطابع المميِّز لهذا العهد..

ويرى بعضهم أن النهاية المأسوية للنظام الأموى، أخذت تنسج خيوطها على يد هذا الخليفة، حيث تبلورت حينذاك معالم ما يسمى بالتيار «الشعوبى»، وذلك فى أعقاب ارتفاع موجة التذمر لدى الفئات غير العربية، التى عانت إرهاب الولاة وثقل الضرائب[5].

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامى ٢/ ٧٧.
(٢) تكون الاتجاهات السياسية فى الإسلام الأول د. إبراهيم بيضون ص ٢٩٤.
(٣) بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيار الداخلى د. عبد الحليم عويس ص ٣١.
(٤) موسوعة التاريخ الإسلامى للدكتور أحمد شلبى ٢/ ٨١ بتصرف.
(٥) تكون الاتجاهات السياسية فى الإسلام الأول ص ٢٩٩.

ويبدو أن عائلة الليث بن سعد كانت على علاقة قوية بالبيت الأموى مما جعل الخلفاء يؤثرونهم بالمناصب الرفيعة فى مصر، فقد ولى عبد الملك ابن رفاعة الفهمى مصر ولايتين كانت الأولى سنة ست وتسعين، وكانت الثانية فى السنة التاسعة بعد المائة، ولم تطل تلك الولاية إلا أياماً قليلة توفى بعدها، وتولى أخوه الوليد بن رفاعة فى السنة التاسعة بعد المائة.

وتذكر بعض المصادر أن الوليد قد هدم بيت الليث بن سعد ثلاث مرات، غير أن تلك المصادر لم تذكر لذلك سببًا، وربما كان مرد ذلك إلى حسد الوليد لليث لما آتاه الله من علم ومال وصيت بين الناس(1).

وقد استمرت ولاية الوليد على مصر حوالى تسع سنوات حتى توفى سنة سبع عشرة ومائة، ومما روى فى وفاته أنه لما هدم دار الليث ثلاث مرات، أتاه آت فى منامه فقال له: يا ليث ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝﴾ فأصبح وقد أفلج ابن رفاعة(2).

وبعد وفاة الوليد تولى أمر مصر عبد الرحمن بن خالد، وهو فهمى أيضًا، وكان فى عبد الرحمن لين فعزله الخليفة.

ثم تولى الخلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ ـ ١٢٥هـ وفى عصره بدت الدولة الأموية متعثرة الخطى، سائرة نحو مصيرها القلق، ثم تولى الوليد بن يزيد سنة ١٢٥ ـ ١٢٦هـ وهو فى الخامسة عشرة من عمره، وخاض عدة معارك ولكنه فى النهاية قتل، ثم تولى يزيد بن الوليد سنة ١٢٦هـ بيد أنه مات بعد شهور قليلة، ثم تولى إبراهيم بن الوليد سنة ١٢٦هـ ولم يستقر له الأمر كذلك(3)، ثم تولى مروان بن محمد فى سنة

---

(١) الليث بن سعد الفقيه المحدث، وليد كساب ص ٦ بحث تقدم به لجائزة مؤسسة أقرأ سنة ٢٠٠١ م.
(٢) النجوم الزاهرة طبعة دار الكتب العلمية ١/ ٣٥٦، ومعنى أفلج: أى أصيب بالشلل، راجع: المعجم الوسيط. ط مجمع اللغة العربية ٢/ ٧٢٥ . والآية رقم ٥ من سورة القصص.
(٣) راجع: تاريخ الطبرى ٥/ ٥٦٤، موسوعة التاريخ الإسلامى للدكتور أحمد شلبى ٢/ ٩٠.

١٢٧ ـ ١٣٢هـ ولم يستقر الأمر له إلا بعد شهور عديدة ، فقد كانت هناك شهور نضال؛ إذ أن مروان لم يتول ببيعة سابقة، وإنما تولى بحد السيف فلم تتم له البيعة إلا بعد وقت مملوء بالكفاح.

غير أن الثورات استمرت فى وجه مروان بعد البيعة، وقد شملت هذه الثورات الشام كله، فثار عليه أهل حمص فقاتلهم، وثار عليه أهل الغوطة فحاربهم، وهبَّ فى وجهه سليمان بن هشام فحاربه.

وبالإضافة إلى ذلك اشتعلت ثورات الخوارج، وهبت ثورات أخرى بالحجاز، واشتد الصراع الشيعى فى الحروب. ومن أهم أعمال مروان أنه وضع خطة لإعادة تنظيم جيوش الخلافة. فبدلا من تقسيم الجيش إلى فرق تنتسب كل منها إلى قبيلة، رأى تأليف جيش نظامى يخدم أفراده برواتب معينة بإمرة قادة محترفين، وينقسم المجندون للخدمة العسكرية إلى فرق قليلة العدد تفوق فى سرعة حركتها وقوتها نظام الخطوط الطويلة عند العرب.

ولكن هذا كله لم يغن شيئًا، لأن الظروف كلها كانت ضده وكانت عوامل فشله محكمة، فقد جاء فى وقت تهلهل فيه ثوب الخلافة الأموية، ولم يعد هناك أمل فى إصلاحه ولا مكان لوضع الرقاع فيه، وقد شغلت أحداث الشام والعراق والحجاز الخليفة فلم يستطع أن يقدم عونًا لواليه فى خراسان فانهزم واليه نصر بن سيار أمام أبى مسلم الخراسانى، واستمر زحف الشيعة من خراسان حتى شمل العراق فمصر ، وخرَّ مروان فى مصر قتيلا فى قرية اسمها بوصير[1] من قرى الصعيد سنة ١٣٢هـ بعد حياة مملوءة بالكفاح والجهاد، وبموته سقطت الدولة الأموية[2].

---

(١) راجع : موسوعة التاريخ الإسلامي للدكتور أحمد شلبى ٢/ ٩١بتصرف .

(٢) لما انهزم الأمويون يومئذ، وولوا الأدبار وفي ركابهم مروان الذي اجتاز العراق فالشام فمصر وبلغ قرية قور يدس (بوصيرالملف) بالقرب من الوسطي ببني سويف - بصعيد مصر - والقوات العباسية في أثره فاختفى فى كنيسة بتلك القرية، فقبض عليه وقتل هناك سنة ١٣٢هـ ، راجع تفصيل ذلك فى : (المجتمع العربي والإسلامي) للدكتور إبراهيم شعوط، الطبعة الأولي سنة ١٢٨٢هـ الناشر، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

وتعد السنوات السبع الأخيرة من عمر الدولة الأموية - وهى التى حكم فيها أربعة خلفاء هم: الوليد بن يزيد، ويزيد بن الوليد، وإبراهيم بن الوليد، ومروان بن محمد - كانت سنوات فتنة.

دخلت فيها الدولة الأموية مرحلة الاحتضار، ولم تصلح الجهود الكبيرة لمروان بن محمد ـ آخر خلفاء بنى أمية ـ مع كل ما أوتيه من ذكاء وحكمة وشجاعة أن يحول دون السقوط.. لأن كل ظروف السقوط كانت قد توافرت، ولم يعد فى قدرة أى فرد عظيم أن يقف ضد التيار!![1].

وقد سقطت الخلافة الأموية سقوطا مدويا بعد أن أبلى الأمويون بلاءً حسنًا فى خدمة الإسلام وبذلوا أقصى طاقاتهم، سواء أكان ذلك فى ميادين الجهاد والغزو، أم فى مجال الإدارة والتنظيم فى فترة حكمهم للعالم الإسلامى التى ظلت إحدى وتسعين سنة (٤١ - ١٣٢هـ) وتولى الحكم منهم خلال هذه الفترة أربعة عشر خليفة..تركوا أمجادًا باقية رفعت ذكرهم على مر الزمن، تتمثل فى الفتوحات الإسلامية، فرغم المصاعب الجمة التى كانت تعترض طريقهم، والقوى العديدة المعادية لهم، والتى كانت تشدهم إلى الوراء، فقد نفذوا برنامجًا رائعًا للفتوحات، ورفعوا راية الإسلام، ومدوا حدود العالم الإسلامى من حدود الصين فى الشرق إلى الأندلس وجنوب فرنسا فى الغرب، ومن بحر قزوين فى الشمال، حتى المحيط الهندى فى الجنوب.

ولم يكن هذا الفتح العظيم فتحًا عسكريا لبسط النفوذ السياسى واستغلال خيرات الشعوب، كما يدعى أعداء الإسلام؛ وإنما كان فتحًا دينيًا وحضاريًا، حيث عمل الأمويون بجد واجتهاد على نشر الإسلام فى تلك الرقعة الهائلة من المعمورة ، وطبقوا منهجًا سياسيًا فى معاملة أبناء البلاد المفتوحة هيأهم لقبول الإسلام دينًا، حيث عاملوهم معاملة حسنة

(١) راجع :د. أحمد شلبى ٢/ ٩٢.

فى جملتها، واحترموا العهود والمواثيق التي أبرموها معهم، وأشركوهم فى إدارة بلادهم، فأقبلوا على اعتناق الإسلام عن اقتناع ورضى، وبذلك تكوّن فى العصر الأموى عالم إسلامى واحد، على هذه الرقعة الكبيرة من الأرض، أخذ يشق طريقه تدريجيًا نحو التشابه والتماثل فى العادات والتقاليد والأخلاق ومعاملات الحياة، وأخذت أممه وشعوبه تنسلخ من ماضيها كله، وتنصهر فى بوتقة الإسلام - الذى حقق لها العزة والكرامة والحرية والمساواة - مكونة الأمة الإسلامية.

وعلى أطلال الدولة الأموية قامت الدولة العباسية، فتغير الحال .. ونشط الموالى وشاركوا مشاركة جادة فى صنع الحياة العقلية الإسلامية..

وعلى الرغم من أن الليث بن سعد أدرك هذا التغير فإنه لم يشارك فيه بل ظل بعيدًا عنه مقدرًا أثره فيما يحدث من فتن، وما ينتج عنه من اضطراب قد يناله من أذاه شىء[1].

ومع أنه كان بعيدًا عن المشاركة فى تلك الفتن إلا أنه لم يسلم من مغبتها، فقد ذكرت بعض الروايات أن ابن رفاعة وهو والى مصر من قبل الأمويين هدم داره - كما سبق - وظل الإمام صابرًا محتسبًا، راضيًا بما أصابه، مفوضًا أمره إلى الله[2].

وفى فترة هذا التحول وعوامل ذلك التغير عاش الليث كما عاش غيره من الفقهاء المبكرين ، وقد قضى الجانب الأغلب من حياته فى طلب العلم والبحث عن مصادره فى الأقاليم الإسلامية إلى جانب ما وعاه عن شيخيه الأولين يزيد بن أبى حبيب وعمرو بن الحارث، فلما تم له ذلك وأحسّ من نفسه القدرة على مواجهة الاتجاهات المتعددة فى

(١) الليث بن سعد فقيه مصر (مرجع سابق)ص ١٠٨ بتصرف.
(٢) الليث بن سعد وأثره فى الفقه ، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الشريعة والقانون بالقاهرة- جامعة الأزهر أعدها محمد رشيد نافع سنة ١٩٧٣م .

الأمصار الإسلامية جعل يختار لنفسه منهجًا في المعرفة وطريقًا فيها [١].

وتعتبر عوامل سقوط الدولة الأموية أسبابًا رئيسية لقيام دولة بني العباس[٢] على أثرها سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م، فضلا عن ذلك فقد انتهز العباسيون فترة الهدوء والاستقرار التي تولى الخلافة فيها الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي سنة ٩٩- ١٠١ هـ/ ٧١٧- ٧١٩م، ولين جانبه مع الرعية، وجميل سلوكه إزاء بني هاشم، فأضحوا يبثون - تحت طي الكتمان الشديد - دعاتهم السبعين، ونقباءهم الاثني عشر هنا وهناك بين العناصر العربية والعجمية؛ لاستمالة القلوب وجذب العقول نحوهم [٣].

وقد حرص العباسيون على التخطيط الدقيق لنشر دعوتهم[٤] فراحوا بعدما قويت شوكتهم وكثر أتباعهم يعلنون حقهم في الخلافة، على أساس أنهم أقرب إلى الرسول ﷺ من بني أمية. ثم تزعموا جموع الخارجين عن طاعة الأمويين، وجعلوا مركز حركتهم في قرية الحُمَيْمَة قرب البحر الميت[٥].

وأرسلوا دعاتهم إلى خراسان من أجل أن يزيد أتباعهم. والمعروف أن سكان تلك المنطقة دخلوا الإسلام على أساس أنَّ الدين يجعلهم متساوين، لا فرق بين مسلم وآخر إلاّ بالتقوى. ولكن الأمويين أظهروا

---

(١) د. السيد خليل ص ١١٣.

(٢) تنسب الخلافة العباسية إلى العباس عم النبي ﷺ، ومؤسس دولة بني العباس هو عبد الله (السفاح) بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس، ويعتبر قيامها انتصاراً للفكرة التي نادى بها بنو هاشم عقب وفاة الرسول بإسناد الخلافة إلى أهل الرسول ﷺ وذويه، راجع : (موسوعة التاريخ الإسلامي) ٣/ ٢٠.

(٣) الدولة العباسية - العصر العباسي الأول عصر القوة والنفوذ والعمل ١٣٢- ٢٣٢هـ تأليف الدكتور السيد أحمد حمور، الطبعة الثالثة سنة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، ص ١٣- ١٤.

(٤) قيام الدولة العباسية للدكتور محمد عبد الفتاح عليان ، طبعة دار الهداية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٤م ص ٥١.

(٥) موسوعة الحضارة العربية - العصر العباسي، تأليف : بطرس البستاني، الناشر دار كلمات للنشر سنة ١٩٩٥م، شركة بروفيشينال برينتنغ برووداكشن. ش. م. م ص ٥٣٩.

تعصبهم للعنصر العربى - كما سبق - وجعلوا الشعوب الأعجمية التى دخلت تحت طاعتهم فى مرتبة دنيا، وقد ساء الأعاجم أن يروا خلفاء بنى أمية يؤثرون العرب ويحتقرونهم، فاستيقظت فى نفوسهم النزعة الفارسية واجتمعوا تحت لواء حزب عرف باسم الشعوبية. وبين هؤلاء الناقمين وَجَدَتْ بذور الحركة العباسية تربة صالحة للنمو، وسرت فكرة الثورة وانتشرت فى خراسان[1].

وقد استفاد العباسيون من التجارب التى مر بها غيرهم - والتى أدت إلى هزيمتهم والتنكيل بهم مثلما حدث للعلويين الذين فشلت جميع الثورات التى قاموا بها رغم ما كانوا يلقونه من تأييد، وذلك لأنهم لم يخططوا لها تخطيطا سليما، وكثيرًا ما كانوا يخرجون بغير سلاح ولا إعداد فينتهى الأمر بالقضاء عليهم وتذهب دماؤهم هدرًا - فحرصوا على التخطيط والتنظيم لتثبيت سلطانهم[2].

كما أدرك العباسيون التناقضات والصراعات التى يعجّ بها المجتمع الإسلامى. هذه الصراعات التى كانت تنخر فى عظام الدولة الأموية من الداخل، والتى استطاع الدعاة العباسيون أن يقوموا باستقطاب أكبر عدد من الفرق المتصارعة حولها عندما حملوا شعارات : عدم شرعية الحكم الأموى، والدعوة إلى الكتاب والسنة، وإقامة حكم إسلامى قوامه العدل والمساواة. كما عرفت الدعوة العباسية العمل من أجل كسب الجماعات الإسلامية، وحاولت التأثير على عواطف الشيعة العلوية، وأفادت من الغلاة فى الدعوة السرية وأثارت النزاعات الإيرانية. ولم تمتنع عن قبول فئات إيرانية يُشَكُ فى إسلامها؛ لتزيد من أعداد مؤيديها.

وقاد أبو العباس عبد الله (السفاح) جموع الثائرين على بنى أمية،

---

(١) موسوعة الحضارة العربية - العصر العباسى (المرجع السابق) ص ٥٣٩ .

(٢) قيام الدولة العباسية وتفسير جديد لدوافع الفرس إلى مؤازرتها للدكتور محمد عبد الفتاح عليان، طبعة دار الهداية للنشر والتوزيع بالقاهرة- الطبعة الثانية سنة ١٩٩٤م ص ٥١ وما بعدها بتصرف.

وفى عـام ٧٤٧م دخـل أبو مسلم الخراسـانى ـ وهو مولى فارسى كوفى النشـأة ـ مدينـةَ «مرو» عنوة، ورفع الرايـة السوداء التى أصـبـحت شعـار الدولة العباسية.

وبعـد سقـوط «مرو» عـاصمـة خراسـان، سـقطت مدينة الكوفـة سنة ٧٤٩م، وفى مسجدها بايع الناس أبا العباس، فنودى به خليفة وأراد مروان أن يقف فى وجه المد العباسى، فسـار على رأس اثنى عشر ألف محارب، والتقى فى مطلع عام ٧٥٠م، بالجيوش العباسية بقيادة عبد اللـه عم الخليفة الجديد، قـرب نهر الزاب. فـدُحر الأمويون وشـتتوا، وأكـمل العبـاسـيون سيرهم باتجاه دمـشق وفتحوها عنوة بعدما فر مروان بن مـحمـد إلى مصر، ولكـن العبـاسيين تعـقبوه وقـبضوا عليـه وقتلوه - كمـا سبق - وأرسلوا رأسـه إلى أبى الـعـبـاس، وبذلك انتـهـى حكم بنى أمـيـة وبـدأ حكم بني العباس، وانتقل مقر الخلافة من الشام إلى العراق[1].

ويعـتبـر القرن الأول من عـمر الدولة العـباسـية الذى يبـدأ من سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م هو العـصـر الذهبى لـلحكم الإسـلامى، بسـبب ظهـور الكفايات الممتازة فى شخصية الخلفـاء التسعة (السفاح والمنصور والمهدى والهـادى والرشيـد والأمين والمأمـون والمعتـصم والواثق) الذين تولوا فى هذه الفترة حيث كـانوا يجمعون إلى جانب الصفات السيـاسية والحربية، مؤهلات عقلية لم تكن لغيرهم من الخلفاء[2].

تولى أبو العباس عبد الله (السفاح) من سنة١٣٢ـ ١٣٦هـ وكان كما تقول بـعض الروايات كريمًا حليـمًا وقـوراً، عاقلا، كـثيـر الحيـاء، حسن الأخـلاق، وقال عنـه السيـوطي: «إنه كـان أسـخى الناس، مـا وعد عـدة فأخرها عن وقـتها، ولا قام من مجلسـه حتى يقضيهـا»، بينما يرى بعض المؤرخين عكس ذلك.

---

(١) موسوعة الحضارة العربية - العصر العباسى بطرس البستانى ص ٥٣٩- ٥٤١ بتصرف.
(٢) الدولة العباسية د. السيد أحمد حمور ص ١٣.

وربما يجد القارئ نفسه فى حيرة وهو يطالع السطور الماضيـة، فيجد تناقضًا بين سلوكه وقسوته، وبين نعته بالأخلاق الكريمة... !!

ويمكن تعليل تصـرفات أبى العبـاس القاسيـة يومئذ بأنه كـان بصدد تكوين دولة وإرساء قواعد ثابتة لها، ولا يتأتى ذلك ولا يتحقق إلا بإيجاد الهـيبـة لهذه الدولـة ، وغرسـها فى نفـوس الجمـاهيـر فى كافـة الأقطار والأمـصـار، كـمـا أنه وجـد نفـسـه أمـام نفـر من القـادة والولاة الموالين للأمويين، ويعملون على إرجاع دولتهم الأموية التى كان للعناصر العربية فيها مكانة سامية[1].

ويعلل د. أحمد شلبى هذه القسـوة بقوله : «ولولا هذه القسوة لهبت بالشام حركات كان يمكن أن تزعزع عرش الدولة الناشئة»[2].

وعلى الرغم مـن هذه القـسـوة إلا أن الدولة الجـديدة لـم تسـتطع أن تبسط نفوذها على كل البـلاد التى كانت خاضعة لبنى أمـية. ذلك أن عبد الرحـمن بن معـاوية بن هشام هرب إلى الأندلس من أجل تأسـيس دولة أموية فى المغرب، شملت بلاد الأندلس وقسمًا من المغرب العربى[3].

وكان أبو العبـاس فى أول خلافته قـد اتخذ الكوفة مسـتقرا له، إلا أنه لم يطمئن إلى نوايا أهلهـا تجاهه لتشيـعهم[4] فبحـث عن مقر جديد لخـلافته[5] فاتخذ (الهاشمية) - وهى إلى جـوار الكوفة - عاصمة له، ثم انتقل منها إلى الحيرة، ثم إلى الأنبار[6] التى مات فيها يوم الأحد فى النصف الأول من شهر ذى الحجة سنة ١٣٦هـ[7].

---

(١) د. السيد أحمد حمور ص ٤١.
(٢) موسوعة التاريخ الإسلامى ٣/ ٧٢.
(٣) موسوعة الحضارة العربية - العصر العباسى، بطرس البستانى ص ٥٤٢.
(٤) د. السيد أحمد حمور ص ٦٠.
(٥) بطرس البستانى ص ٥٤٢.
(٦) الدولة العباسية ص ٦٠.
(٧) د. أحمد شلبى ص ٧٤.

ولم تطالعنا المصادر التى بين أيدينا عن أية علاقة أو صلة بين الليث والسفاح، ولعل ذلك يرجع إلى انتقال السفاح من مكان لآخر فلم يستقر فى مكان فى فترة خلافته التى استمرت أربع سنوات وتسعة أشهر، فضلا عن انشغال السفاح بالمناوئين له على كافة الأصعدة، زد على ذلك أن الليث كان بعيدًا عن هذه الفتن وتلك الصراعات منصرفاً لطلب العلم والترحال لأجله.

ثم تولى الخلافة أبو جعفر المنصور من سنة ١٣٦ـ ١٥٨هـ وكان هذا الرجل من عظماء الملوك وحزمائهم وعقلائهم وعلمائهم وذوى الآراء الصائبة منهم والتدبيرات السديدة، وقوراً شديد الوقار حسن الخلق..[١].

كما اتصف بالدهاء والجرأة، وعرف بالمكر، واستمرَّ حكمه اثنين وعشرين عامًا، استطاع فيها أن يوطد الحكم العباسى وينجز الأعمال الكبيرة، وقد ثار عليه عمه عبد الله، وادعى الخلافة لنفسه، فوجه إليه المنصور أبا مسلم الخراسانى الذى هزمه فى نصيبين، ففر عبد الله ولجأ إلى أخيه سليمان، وسلمه الأخير إلى المنصور، بعدما أخذ الأمان على عبد الله، إلا أن الخليفة قضى عليه بطريقة غامضة..!!

وقد عظم شأن أبى مسلم الخراسانى، بعد قضائه على ثورة عبد الله، مما جعل المنصور يقلق ويصمم على إزالته، وما زال يراوغه حتى استقدمه إليه وقتله، واسترضى قادة جنده بالأموال والهبات. إلاَّ أن مقتل من كان صاحب الفضل فى وصول العباسيين إلى الحكم ، كان له عدة ردات سلبية، فظهرت فى خراسان فرق غريبة تناهض العباسيين والمسلمين، منها «المسلميَّة» فى نيسابور وقد تزعمها «سنباذ» أحد أتباع أبى مسلم، و«الراوندية» فى أصفهان، وقد استطاع المنصور أن يقضى على هذه الفرق[٢].

ولم يستطع المنصور أن يخلد إلى الراحة، بعد مقتل عمه عبد الله وقائده الخراسانى؛ لأن محمد بن عبد الله بن الحسن بن على ابن أبى

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامى ٣/ ٧٥.
(٢) موسوعة الحضارة العربية - العصر العباسى ص ٥٤٢- ٥٤٣.

طالب، المعروف بالنفس الزكية، نهض يطالب بالخلافة لنفسه فى المدينة، لأن الدعوة فى الأساس علوية، ولأن المنصور نفسه كان قد قبل بمبايعة النفس الزكية، فأرسل المنصور عيسى بن موسى على رأس جيش ضخم، فحاصر المدينة ثم دخلها وقتل محمد النفس الزكية فى رمضان سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م واحتز رأسه وأرسله إلى المنصور، ثم انتقل عيسى ابن موسى إلى البصرة لمحاربة إبراهيم بن عبد الله، شقيق محمد النفس الزكية، بعدما بايعه أهلها على أثر مقتل أخيه، وقضى عليه وقتله فى العام نفسه، أما إدريس بن عبد الله، شقيق محمد وإبراهيم، فقد فر إلى المغرب الأقصى واستطاع هناك أن يؤسس دولة الأدارسة. وهذه الكوارث التى حلت بالعلويين زادتهم تشبثًا بآل البيت، فكثرت الانتفاضات، وقامت دول علوية متفرقة فى العالم الإسلامى، ولم يستطع المنصور القضاء عليها كلها[1].

وكان من أهم الرجال الذين اعتمد عليهم المنصور فى الميادين العسكرية، عيسى بن موسى ، وأبو مسلم الخراسانى، ومعن بن زائدة الشيبانى. ومن العلماء الذين تألقوا فى عهد المنصور محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى قاضى قضاة المنصور، والإمامان العظيمان أبو حنيفة النعمان ومالك بن أنس[2]، فضلا عن الإمام الليث بن سعد الذى توطدت صلته بالمنصور فأضحى محل ثقته وإعجابه، وفى ذلك يقول الليث: لما ودعت أبا جعفر المنصور ببيت المقدس قال : «أعجبنى ما رأيت من شدة عقلك، والحمد لله الذى جعل فى رعيتى مثلك»، وكان الليث يقول: لا تخبروا بهذا ما دمت حيًا [3].

ولم يكتف الأمر عند ذلك، بل عرض المنصور عليه أن يوليه مصر فرفض الليث..!!

(١) موسوعة الحضارة العربية ص ٥٤٢ - ٥٤٣ .
(٢) د. أحمد شلبى٣/ ٨١، ٨٢.
(٣) الليث بن سعد إمام أهل مصر(مرجع سابق) ص ٤٨ بتصرف.

روى الإمام الذهبى عن يحيى بن بكير قوله: «قال لى الليث: قال لى أبو جعفر المنصور: تلى لى مصر؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين، وإنى أضعف عن ذلك، وإنى رجل من الموالى. فقال المنصور: ما بك ضعف معى، ولكن ضعفت نيتك، أتريد قوة أقوى منى؟!

فأما إذ أبيت فدلنى على رجل أقلده مصر، قلت: عثمان بن الحكم الجذامى(١)، رجل له صلاح، وله عشيرة، قال فبلغه ذلك فعاهد الله ألا يكلم الليث بعدها» (٢).

ولما توفى المنصور سنة ١٥٨هـ ٧٧٤م، تولى المهدى الخلافة من بعده فى نفس اليوم الذى مات فيه أبوه ، وهو على جانب كبير من المران والتمرس على الكثير من شئون الدولة، وأصبح بأحوال الرعية جد خبير(٣).

وكان المهدى على عكس والده ـ الذى كان مقترًا ـ ميالاً إلى حياة الترف والإنفاق (٤).

بدأ المهدى عهده بعدة إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية، حيث أطلق المسجونين إلا من كان محبوسًا بأمر القضاء، كما أجرى الأرزاق على مَنْ بقى مسجونًا وعلى المجذومين، وكانوا من قبل يُتركون فريسة للجوع!!

وأمر بالزيادة فى المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، وكان أول خليفة عباسى يجلس للنظر فى المظالم (٥).

---

(١) هو من رجال التهذيب، قال الحافظ فى التقريب، صدوق له أوهام، من الطبقة الثامنة، مات سنة ١٦٣هـ، ونقل عن ابن وهب أنه أول من أدخل مسائل مالك إلى مصر.
(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ١٥٦ - ١٥٧، تاريخ بغداد ١٣/ ٥، وفيات الأعيان ٤/ ١٣٠، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢١/ ٢٥١ ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام للذهبى ط دار الكتاب العربى سنة ١٩٩٣م ص ٣٠٨- ٣٠٩.
(٣) د. السيد حمور ص ٩٥- ٩٦.
(٤) بطرس البستانى ٥٤٤.
(٥) د. أحمد شلبى ص ١١٨.

كما اهتم باسترضاء الناقمين، فردَّ الأموال المصادرة، وأطلق المساجين العلويين، ووزع الهبات على أبناء الحجاز. ووجه نظره بنوع خاص إلى مكة والمدينة، فبنى فيهما الأحواض، ونظم البريد.

وواصل المهدى الحروب التى كانت قائمة مع البيزنطيين أيام أبيه، فاشترك فى عدة حملات بحرية وبرية. كما اتصل بإمبراطور الغرب «شارلمان» بهدف القضاء على أمير الأندلس عبد الرحمن بن معاوية، ولكن عبد الرحمن استطاع أن يجابه الفرنجة وأن يقضى على الخصوم المتآمرين ضده، وقطع أمام المهدى سبيل ضم الأندلس إلى ملكه[1].

وقد جرت لقاءات ومناقشات بين الليث بن سعد والخليفة المهدى الذى أعجب به إعجابًا كبيرًا وسُرَّ به أيما سرور..!!، وعرض عليه أن يلى له القضاء على أن يعطيه مائة ألف درهم من بيت المال، فرفض الليث واعتذر، فقال المهدى لوزيره يعقوب: «الزم هذا الشيخ، فإنه ثبت عندى أنه لم يبق أحد أعلم بما حمل منه»[2].

وقبل وفاته (١٦٩هـ/ ٧٨٥ م) أوصى المهدى بالخلافة لابنه الهادى ومن بعده لهارون الرشيد[3].

وبعد وفاة المهدى تولى موسى الهادى من سنة ١٦٩ ـ ١٧٠هـ، وله من العمر يومئذ خمسة وعشرون عامًا[4].

ولم تدم خلافة الهادى طويلاً، إذ توفى سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م، فكانت مدة خلافته سنة وشهرين.. وكان كوالده ميالاً إلى اللهو والغناء، فقرب إليه إبراهيم الموصلى، المغنى المعروف، وابنه إسحاق الموصلى. ويبدو أن سياسة التسامح الذى اتبعها والده مع العلويين لم تنسهم مطالبتهم بالخلافة، فراح

---

(١) موسوعة الحضارة العربية العصر العباسى، بطرس البستانى ص ٥٤٤- ٥٤٥ بتصرف.
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبى ٨/ ١٤٦ بتصرف، عوالى الليث بن سعد لقاسم قطلوبغا، ط دار الوفاء سنة ١٩٨٧م ص ٤٨.
(٣) بطرس البستانى ص ٥٤٥، السيد أحمد حمور ص ١٠٤.
(٤) الدولة العباسية العصر العباسى الأول د. السيد حمور ص ١٠٥- ١٠٦ بتصرف.

يضيق عليهم المراقبة، وقطع الهبات التى كانت تخصص لهم. فقام الحسين ابن على ، ابن عم النفس الزكية، بثورة قمعها الهادى بعنف وقتل الحسين ابن على كما قتل الحسن بن محمد النفس الزكية. ولاحق الزنادقة الذين كان والده قد خصص جهازًا لمحاربتهم. وتوفى الهادى فجأة وبشكل غامض[1]، وكان ذلك فى ربيع الأول سنة ١٧٠هـ[2]. هذا ولم تدلنا المصادر التى بين أيدينا على أية علاقة بينه وبين الليث..

وبعد وفاة الهادى بويع لهارون الرشيد بالخلافة، وكان توليته دون كبير معارضة، ومكث فيها ثلاثة وعشرين عامًا تبدأ من سنة ١٧٠هـ إلى سنة ١٩٣هـ.

والحق أن الرشيد كان من أفاضل الخلفاء وفصحائهم وعلمائهم وكرمائهم، كان يحج سنة ويغزو سنة طيلة خلافته إلا سنين قليلة، وكان يصلى فى كل يوم مائة ركعة، وحج ماشيًا، وكان يتشبه فى أفعاله بالمنصور إلا فى بذل المال، فإنه لم ير خليفة أسمح منه بالمال، وكان لايضيع عنده إحسان محسن ولا يؤخر، يحب الشعر والشعراء، ويميل إلى أهل الأدب والفقه، وكان كثير التواضع للعلماء[3].

ولا يزال عصر الرشيد إلى يومنا هذا مضرب المثل فى الازدهار والتقدم والرخاء والغنى..ولم يصرفه قمع الفتن والقضاء على المساوىء والاهتمام بدفع العدوان عن الدولة من خصومها، عن حرصه على أداء واجبه فى تنجيز الإصلاحات التى انتظمت في مختلف نواحى الحياة من دينية وسياسية واقتصادية إلى اجتماعية وثقافية وعمرانية[4].

وفى عهده كانت الدولة مهيبة الجانب، فاحترمتها الدول المجاورة وهابتها، وفى الداخل كان الرشيد أقوى من كل الأحداث والفتن التى ثارت هنا

(١) بطرس البستانى ص ٥٤٥.
(٢) د. أحمد شلبى ٣/١٤١.
(٣) موسوعة التاريخ الاسلامى ج٣ ص١٤١-١٤٥
(٤) الدولة العباسية ص١٤١

وهناك، فكان الاستقرار طابع الدولة والعظمة طابع الخليفة[1]. يقول السيوطي: «إن أيام الرشيد كانت كلها أيام خير، كأنها في حسنها أعراس» [2].

وقد ازدهرت الحياة العلمية في عصر الرشيد ازدهاراً كبيراً فأسس (بيت الحكمة) ذلك المعهد الذي كان مناراً للثقافة والفكر في العالم آنذاك والذي انبعثت منه الشعلة التي أضاءت الطريق للنهضة الأدبية فيما بعد، وكان بلاطه زاخراً بنخبة ممتازة من العلماء والفقهاء والمحدثين والأدباء والشعراء وأرباب الفنون مثل (الإمام الشافعي وأبي يوسف صاحب أبي حنيفة وقاضي القضاة، وعيسى بن أيوب أبي العتاهية، وأبي نواس، وعباس بن الأحنف، ومروان بن أبي حفصة، ومسلم بن الوليد، والأصمعي، والحسين بن الضحاك وإبراهيم الموصلي، وابنه إسحق، والطبيب جبريل بن بختيشوع[3] والليث بن سعد (رضى الله عنه) الذي أذهب محنة هارون الرشيد حينما قال لزوجته زبيدة أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة - وبذلك تكون زوجته طالقا منه إذا لم يكن من أهل الجنة.. فجمع الرشيد فقهاء الأمصار فما استطاع أحد أن يحلها إلا الليث..

فعن أبي على الحسن بن مليح الطرائفي قال: قال خادم الرشيد :

جرى بين هارون الرشيد وبين ابنة عمه زبيدة مناظرة وملاحاة في شيء من الأشياء، فقال هارون لها في عرض كلامه: أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة، ثم ندم ، واغتما بهذا اليمين، ونزلت بهما مصيبة لوضع ابنة عمه منه، فجمع الفقهاء وسألهم عن هذه اليمين فلم يجد منها مخرجًا، ثم كتب إلى عماله في سائر الأمصار أن يحملوا إليه الفقهاء من بلدانهم، فلما اجتمعوا جلس لهم وأُدخِلوا عليه، وكنت واقفًا بين يديه

---

(١) د. أحمد شلبي ص ١٤٢

(٢) تاريخ الخلفاء للإمام السيوطي ص١١٢

(٣) راجع ذلك مفصلا: في مقدمة ابن خلدون ص١١٧-١١٨، مروج الذهب للمسعودي جـ٢ص٣٨٠، تاريخ بغداد جـ١ ص١١٩..

لأمر إن حدث يأمرني بما شاء فيه، فسألهم عن يمينه، وكنت المعبر عنه، وهل له منها مخلص، فأجابه الفقهاء بأجوبة مختلفة، وكان إذ ذاك فيهم الليث بن سعد فيمن أشخص من مصر، وهو جالس فى آخر المجلس لم يتكلم بشىء، وهارون يراعى الفقهاء واحداً واحداً، فقال له: بقي ذلك الشيخ فى آخر المجلس لم يتكلم بشىء، فقلت له، إن أمير المؤمنين يقول لك: مالك لا تتكلم كما تكلم أصحابك؟!.

فقال: قد سمع أمير المؤمنين قول الفقهاء وفيه مقنع، فقال: قل إن أمير المؤمنين يقول : لو أردنا ذلك سمعنا من فقهائنا ولم نشخصكم من بلدانكم، ولما أحضرت هذا المجلس، فقال يخلي أمير المؤمنين مجلسه إن أراد أن يسمع كلامى فى ذلك، فانصرف من كان بمجلس أمير المؤمنين من الفقهاء والناس ..ثم قال: تكلم، فقال: يدنيني أمير المؤمنين، فقال: ليس بالحضرة إلا هذا الغلام ليس عليك منه عين، فقال: يا أمير المؤمنين، أتكلم على الأمان وعلى طرح التعمل والهيبة والطاعة لى من أمير المؤمنين في جميع ما آمر به؟، قال: لك، قال: يدعو أمير المؤمنين بمصحف جامع، فأمر به فأحضر، فقال: يأخذه أمير المؤمنين فيتصحفه حتى يصل إلى سورة الرحمن، فأخذه وتصفحه حتى وصل إلى سورة الرحمن، فقال: يقرأ أمير المؤمنين، فقرأ، فلما بلغ قوله تعالى : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾[1] قال: قف يا أمير المؤمنين ههنا، فوقف، فقال: يقول أمير المؤمنين: والله، فاشتد على الرشيد وعليّ ذلك، فقال له هارون: ما هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، على هذا وقع الشرط، فنكس أمير المؤمنين رأسه ـ وكانت زبيدة فى بيت مسبل عليه ستر قريب من المجلس تسمع الخطاب ـ ثم رفع هارون رأسه فقال: والله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إلى أن بلغ آخر اليمين، ثم قال: إنك يا أمير المؤمنين تخاف مقام الله، قال هارون: إنى أخاف مقام الله.

فقال: يا أمير المؤمنين، فهى جنتان وليست بجنة واحدة كما ذكر الله

---

(١) سورة الرحمن الآية : ٤٦ .

تعالى فى كتابه، فسمعت التصفيق والفرح من خلف الستر، وقال هارون: أحسنت والله، بارك الله فيك، ثم أمر بالجوائز والخلع لليث بن سعد، ثم قال هارون: يا شيخ اختر ما شئت وسل ماشئت تجب عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، وهذا الخادم الواقف على رأسك، فقال: وهذا الخادم ، فقال: يا أمير المؤمنين، والضياع التى لك بمصر ولابنة عمك أكون عليها وتسلم إليّ لأنظر فى أمورها، قال: بل نقطعك إقطاعًا، فقال: يا أمير المؤمنين، ماأريد من هذا شيئًا بل تكون فى يدي لأمير المؤمنين فلا يجرى على حيف العمال وأعز بذلك، وأمر أن يكتب له ويسجل بما قال، وخرج من بين يدي أمير المؤمنين بجميع الجوائز والخلع والخادم وأمرت زبيدة له بضعف ما أمر به الرشيد، فحمل إليه واستأذن فى الرجوع إلى مصر فحمل مكرمًا أو كما قال.

ويقول المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق معلقًا على هذه القصة:

« أفتى الليث بن سعد هارون الرشيد فى رد طلاقه مراعيًا فى ذلك الناحية الروحية من قبل أن يراعى ظواهر الأحكام»[1].

وفى ذلك يقول أحمد بن صالح: أعضلت الرشيد مسأله فجمع فقهاء الأرض - فلم يستطع أحد حلها - حتى أشخص الليث فأخرجه منها [2].

وفى خلافة الرشيد كانت وفاة الإمام الليث بن سعد - رضى الله عنه - سنة ١٧٥هـ.

وظلت مدة خلافة الرشيد ثلاثة وعشرين عاما وبضعة شهور اعتبرها المؤرخون من أزهى سنوات الحكم العباسى، وأقواها عسكريًا وحضاريًا حتى لقب عهده وعهد ابنه المأمون بالعصر الذهبى للدولة العباسية[3].

ومات الرشيد سنة ١٩٣هـ وعمره تسعة وأربعون عامًا .

---

(١) راجع : الليث بن سعد ، الدكتور عبد الحليم محمود ص ٣١-٣٣.

(٢) (سير أعلام النبلاء ج٨ ص١٥٩ـ، الليث بن سعد، د/ عبد الحليم محمود ص ٣١ - ٣٢.

(٣) د . السيد حمور ص١٤٥ د . أحمد شلبى ص١٦٤ - ١٦٥ .

وهكذا يتبين لنا أن الليث كانت له علاقات حميمة مع بعض الخلفاء والولاة سواء من الأمويين أم العباسيين وأثمرت هذه العلاقات ثمرات طيبة ساهمت فى تنظيم الحياة العامة فى مصر آنذاك، وخطى بمكانة علمية سامية عند هؤلاء الخلفاء، فأضحى المراقب على الولاة والقضاة فى مصر فلا يقضون بشىء إلا بمشورته...

وإذا فعلوا ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وعظهم فإذا أصروا كاتب الخلفاء بذلك فيأتى العزل للمخالف، هذا هو الليث الذى أتته الدنيا وهى راغمة، فرفضها ، وولى ظهره لها، وجعلها مطية إلى الدار الآخرة دار البقاء والخلود..

الحياة الاجتماعية والاقتصادية:

وإذا تطرقنا إلى الحياة الاجتماعية فنجد أن المجتمع كان ينقسم وتتذال إلى أربع طبقات ، وهى:

الطبقة الأولى: طبقة ملاك الأراضي الزراعية.

الطبقة الثانية: طبقة الفلاحين.

الطبقة الثالثة : طبقة الصناع.

الطبقة الرابعة: طبقة التجار.

وكالعادة في كل المجتمعات كانت طبقة التجار أرقى الطبقات فى ذلك الوقت، ومن ثم انعكس ذلك على عاداتهم وتقاليدهم، ثم تليها طبقة الصناع الذين امتهنوا الحرف المختلفة، وأخيراً كانت طبقة الزراع [1].

ولم يخل المجتمع من أهل الكتاب بل كانوا يعيشون بجانب المسلمين جنبا إلى جنب، ولقد تمتع اليهود والنصارى فى ظل الحكم الاسلامى

---

(١) المجتمع فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى العصر الفاطمى، لهويدا عبد العظيم رمضان ١/ ٤٠ بتصرف .

بعيشة آمنة راضية ، تتمتعوا فيها بكافة حقوقهم دون أدنى تمييز بينهم وبين المسلمين.. ويذكر ابن تغري بردى أن موسى بن عيسى والي مصرقد أذن للنصارى في بنيان الكنائس التي كان هدمها علي بن سليمان ، فبنيت بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة، وقالا « هي من عمارة البلاد ، واحتجا بأن الكنائس التي بمصر لم تبن إلا في الإسلام في زمان الصحابة والتابعين » (١).

ويعد عصر عمر بن عبد عبد العزيز أزهى عصور بنى أمية في المجالات المختلفة، لاسيما الاجتماعية والاقتصادية فقد حرص عمرعلى رفع المستوى المعيشى للرعية ، كما أحسن اختياز عماله ومراقبتهم، فساروا على دربه، وعمل على رفع رواتبهم ، حتى إن بعض الروايات تذكر «أنه رفع مرتباتهم حتى وصل مرتب العامل أحيانا إلى ثلاثمائه دينار، ولما سئل عن ذلك أجاب : أردت أن أغنيهم عن الخيانة»(٢).

ومن إصلاحات عمر فى البريد أنه لم يجعله لحمل الأخبار الرسمية إليه -فقط- من العمال والموظفين كما كان من قبل ، وإنما أصبح لخدمة الناس أيضا، فقد أمر أن يتسلم عامل البريد كل الرسائل التى تعطى إليه لتوصيلها إلى ذويها(٣). كما أصلح كثيراً من الأرض للزراعة، وحفر الآبار، وعمّر الطرق ، وأعدّ الخانات لأبناء السبيل، واهتم اهتمامًا كبيراً بالمحتاجين والمرضى ،كما أكثر من المساجد ، ولكنه لم يكن يتأنق فى إعدادها، ولما طلب إليه أن يدفع مبلغًا كبيراً لذلك ، أجاب :لأن أنفقه على أكباد جائعة أحب إلىّ من أن أنفقه على الجدران والأثاث ..!!

وقد انتقلت الحالة الاقتصادية فى عهد عمر بن عبد العزيز إلى مستوى يدعو للدهشة ، فكل المراجع التى بين أيدينا تؤكد أن الفقر والعوز

(١) النجوم الزاهرة ٢/ ٨٤ .
(٢) موسوعة التاريخ الإسلامى د. أحمد شلبى ٢/ ٧٨ بتصرف .
(٣) الدولة الأموية د. محمود محمد زيادة ص ٧٧-٧٨ بتصرف .

والحاجة قد اختفت فى عهده ، ولم يعد لها وجود تقريبًا ، حتى كان دافع الزكاة لايجد من يأخذها منه [1] . ولم يكن الحال فى الدولة العباسية مختلفًا عنه فى الدولة الأموية ، فنجد أن المنصور ـ ثانى الخلفاء العباسيين ـ قد قام بإصلاحات اجتماعية واقتصادية عديدة أهمها :إصلاح ما عبثت به يد التخريب أثناء الإغارات الأجنبية ، وجال بنفسه جولة فى أماكن مختلفة من دولته تفقد فيها الأحوال وأشرف على التعمير والتجديد ، فأعاد بناء مدن عديدة وأعاد تنظيم الحكم فى البلاد ، واعتنى بالبريد ، وكلف القائمين على شئونه ـ من جهة ـ والعيون والجواسيس ـ من جهة أخرى ـ بمراقبة حكام الولايات.. وأحصى السكان فى كافة أنحاء الدولة، واشتد حرصه على الأموال العامة حتى شاع عنه الشح والبخل ونتيجة لنشاطه وإصلاحاته ارتقت دولته وعظمت هيبتها فى النفوس[2]وعلى نفس النهج سار المهدى الذى اهتم بالفقراء والمسجونين، وكذلك المرضى والمجذومين الذين كانوا من قبل يتركون فريسة للجوع..!!

ووزع الهبات على أبناء الحجاز، ونظم البريد فترابطت أجزاء الدولة الإسلامية بعضها البعض[3]وقد بلغت الدولة الإسلامية أوجها فى عصر هارون الرشيد الذى شهد عصره إصلاحات اجتماعية واقتصادية عديدة.

ففى عهده تقرر أن يلتزم بيت المال بالإنفاق على المسجونين بحيث يصرف لكل منهم ما يكفى لطعامه وشرابه وكسوته فى الشتاء وفى الصيف ، وكان المهدى قد قدم بعضا من ذلك على أنه عطاء ، ولكن الرشيد جعله التزاما [4] كما شيد الرشيد الكثير من المساجد والمدارس وحفر الترع وأقام الجسور وعبّد الطرق مما أدى إلى زيادة الرقعة الزراعية ،

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامى ٢/ ٧٨ بتصرف .
(٢) الدولة العباسية د. السيد أحمد حمور ص ٩٣ بتصرف.
(٣) الدكتور أحمد شلبى ص ١١٨ بتصرف.
(٤) موسوعة التاريخ الإسلامى ٣/ ١٤٦ بتصرف.

واهتم بالصحة العامة لرعيته ، فأنشأ البيمارستانات والملاجئ[1] .

وفيما يتعلق بمصادر بيت المال فكانت تتكون من الجزية والخراج والغنيمة والفئ والزكاة والعشور ..

فالجزية : هى مبلغ معين من المال يوضع على الرؤوس ويسقط بالإسلام ، ولا تجب الجزية إلا على الرجال الأحرار العقلاء، ولاتؤخذ جزية من مسكين ، ولامن لاقدرة له على العمل ، ولا من الأعمى أو المقعد أو المجنون أو غيرهم من ذوى العاهات ، ولامن المترهبين فى الأديرة إلا إذا كانوا من الأغنياء ، وقد فرض الله هذه الجزية على أهل الذمة على أن يلتزم المسلمون نحوهم ، بالكف عنهم وحمايتهم ..

والخراج : هو مقدار معين من المال أو الحاصلات ويفرض على الأرض لا على الرؤوس ، وكانت القواعد الإسلامية تقضى بأن الأرض التى أسلم عليها أهلها تكون أرضا عشرية ولايفرض عليها خراج ، وكذلك الأرض التى أحياها المسلمون أو أحرزها الفاتحون بطريق القهر والغلبة. أما الأرض التى صولح أهلها عليها فكان يوضع عليها خراج ، فإن كان أهلها صولحوا على زوال ملكهم عنها ورضوا بذلك فلا يجوز لهم بيعها ويكون خراج الأرض كأنه إيجار لها ولا يسقط بإسلام أهلها . وإن كانوا صولحوا على بقاء ملكهم لها فيجوز لهم بيعها ويسقط خراجها بإسلام أهلها .وكان يقدر الخراج على الأرض بمقدار ما تحتمله، أى أن الخراج يختلف بحسب جودة الأرض وضعفها ..

والغنيمة : هى كل مال يظفر به المسلمون من الكفار بطريق القهر والغلبة فى ميدان الحرب والقتال .

وأما الفئ : فهو كل مال وصل للمسلمين من الكفار دون حرب

---

(1) موسوعة التاريخ الإسلامى ٣/ ١٤١ ، وما بعدها بتصرف ، الدولة العباسية د. السيد حمور ص ١٤١ وما بعدها بتصرف.

وقتـال، والقواعد الإسـلامية تقـضى بأن أربعة أخمـاس الفئ تذهب إلى بيت المال والخمس الباقى يقسم كخمس الغنيمة .

وأما العشور : فهى أموال كانت تؤخذ من التجار الكفار إذا أرادوا أن ينقلوا تجارتهم من بلادهم إلى بلاد أخرى ، وكان مقدارها العشر من هذه التجـارة ولم تكن تؤخذ إلا مرة واحدة فـى العام مهمـا تكرر خروج هذا التاجر من بلاده ، وهذه الضريبة هى ما نسميها فى وقتنا الحاضر بالضريبة الجمركية . وهناك موارد أخرى من موارد المال وهى الأموال التى لم يعلم لهـا مستـحق كـاللقطة، ومال من يموت وليس له وارث ، والأمـوال التى يصالح عليهـا المسلمون أعداءهم . وهذه الأموال كلها كـانت تتجمع فى بيت المال ويترك الأمـر فى صرفهـا للخلفاء والولاة حسـبما يمليـه عليهم دينهم[1] .

* * *

(١) الدولة الأموية فى الشرق بين عوامل البناء - ومعـاول الفناء، د. محمد الطيب النجار ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٧م ص ١٥٨ وما بعدها بتصرف .

المبحث الثانى
الحياة العلمية فى عصر الليث

تمهيد:

لا يستطيع الباحث وهو يتناول شخصية كشخصية الليث بن سعد أن يغض الطرف عن الحياة العلمية في هذه الفترة الهامة من تاريخ الإسلام.. فترة سقوط دولة وبزوغ أخرى، وما صاحب ذلك من ظهور تيارات وصراعات كادت تفكك وحدة العالم الإسلامي.

وفي الصفحات التالية نطل إطلالة سريعة على الحياة العلمية في العصرين الأموي والعباسي، وسنتكلم كذلك عن الحياة العلمية في البيئة المصرية التي نشأ فيها الليث بن سعد وأثرها في منهجه الفكري؛ وذلك أن عناية المؤرخين انصرفت أو كادت إلى بيئتين هما البيئة العراقية والبيئة المدنية، وأهملوا أو كادوا البيئة المصرية التي كان لها أثر كبير في مسيرة التشريع الإسلامي..!!

المطلب الأول
الحياة العلمية فى المجتمع الإسلامى فى عصر الليث

فى العصر الأموي نجد أن الحياة العلمية كانت نواتها القرآن والحديث، وكل مسائل العلم تقريبًا تدور حول هذه النواة، منهما يستنبط ولأجلهما يُروى الشعر، وبسببهما تبحث مسائل النحو، وعلى الجملة فالحركة العلمية كلها دينية إلا القليل(1).

ونلاحظ أن الأمة الإسلامية في هذا العصر خطت خطوة جديدة في حياتها العقلية، وحركاتها العلمية.. وكان ذلك نتيجة لازمة لكل ما أحاط بها من بيئة طبيعية واجتماعية، فقد ظل الدين أساس كل الحركات

---

(1) مقدمة ابن خلدون ص ٣٦٣ بتصرف.

العلمية إلى أواخر هذا العصر- كما أشرنا - فأساس التاريخ سيرة النبي ﷺ وغزواته وفتوح المسلمين. والفقه مبني على ما ورد من قرآن وحديث. ووعظ الوعاظ، وبحث العلماء دائر حول الدين من تفسير وحديث وفقه وما إلى ذلك، وما أُثر عن ذلك العصر من دراسات دنيوية من طب وصناعة (كيمياء) فقليل نادر[1]، وأكثر من اشتغل بهما كان من غير المسلمين، وسرعان ما اقتنع العلماء بالإسلام وآمنوا به إيمانًا صادقًا لا مجال للشك فيه، فكان بحثهم في تفسير ما غمض من نصوصه، أو جمع ما تفرق من السنة، أو استنباط أحكام من القرآن والحديث، أو تطبيق ما ورد منهما على الحوادث الجزئية[2].

فليس هناك علم مستقل اسمه التفسير، ولا علم مستقل اسمه الفقه وهكذا، وكذلك العلماء فليس هناك ما يسمى مفسراً أو محدثًا أو فقيهًا، فالعالم كان يتكلم في مجلس واحد في مسائل متنوعة في فروع متعددة، والثقافة كتلة واحدة ممتزجة من تفسير وحديث وفقه وما يلزمها من لغة وشعر، كلها تلقى في درس واحد ،ليس ذا فروع، ولا لكل فرع اسم، والذين يجمعون الحديث لا يبوبونه، ولا يضعون الأحاديث المتعلقة بموضوع واحد تحت باب واحد، وبالتالى لم يكن تأليفًا بالمعنى المنظم [3].

هذا هو الحال بالنسبة للحياة العلمية في المشرق في هذا العصر، أما بالنسبة للأندلس فقد ساهمت عوامل كثيرة في نهضة الثقافة الأندلسية وتحريك عجلتها، وأهم هذه العوامل أن عدداً من الأندلسيين، طالبي المعرفة، رحلوا إلى المشرق، وتنقلوا بين مختلف المجالس الفكرية فى

(١) يقول الإمام السيوطي فى ذلك: إذا نظرنا إلى العرب وجدنا معلوماتهم في الجاهلية مبعثرة، نظرات في الطبيعة ونظرات في الإنسان لا تربطها رابطة، وتجارب يرويها الخلف عن السلف، طب موروث وكهانة مألوفة، وقول في النجوم والأنواء والرياح سمعه جيل عن جيل، فظل الحال هكذا إلي قبيل الدولة العباسية . راجع: تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠١ بتصرف طبع مصر.

(٢) ضحى الإسلام للأستاذ أحمد أمين ٢/ ١-٩ بتصرف.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي مرجع سابق ص ١٠١ بتصرف.

بغداد وغيرها، وعادوا إلى قرطبة بشتى أنواع الثقافة المشرقية لنشرها في الأندلس، فاهتموا بالدين واللغة والشعر والأدب والفلسفة والغناء. وحملوا معهم ما تركه المشارقة في حقل اللغة مثل كتب الأصمعي والكسائي والفراء، وكتب الخليل بن أحمد، كما اهتموا بنقل شعر أبي نواس وأبي تمام والبحتري. ولا شك أن التفات الأندلسيين إلى المشارقة في العصر الأموي، جعلهم يقلدونهم ويسيرون على منوالهم في مختلف ميادين المعرفة..

فضلا عن ذلك فإن أصحاب السلطة عملوا على تشجيع الثقافة وتقريب أصحابها الذين فرّعوا الفقه واللغة والطب والفلك والصيدلة منهم..

ثم استطاعت الحركة الثقافية فى الأندلس في أواخرالعصر الأموي ، أن تجد لها شخصية مميزة غير مرتبطة ارتباطًا كليا بالمشرق. وعرفت الأندلس في هذه الحقبة أسماء كبيرة في حقول الفلسفة والفقه واللغة والطب والفلك والشعر والنثر(١).

وفى العصر العباسي ظهرت العلوم الدنيوية وبدأت تفيض فيضًا في المملكة الإسلامية (٢)وبدأت العلوم تتمايز بعضها عن بعض وتم ذلك في أوائل هذا العصر، يقول الذهبي:«في سنة ١٤٣هـ شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير، فصنف ابن جُريج بمكة، ومالك الموطأ بالمدينة، والأوزاعي بالشام، وابن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة، ومَعْمَرة باليمن، وسفيان الثوري بالكوفة، وصنف ابن إسحاق المغازي، وصنف أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ الفقه والرأى، وبعد ذلك بقليل صنف هُشَيم وابن لهيعة ثم ابن المبارك وأبو يوسف وابن وهب، وكثر تدوين العلم وتبويبه، ودونت كتب العربية

(١) موسوعة الحضارة العربية (العصر الأندلسي) تأليف : يوسف فرحات طبعة دار كلمات للنشر ب. ت.ص ١٠٠٣- ١٠٠٦ بتصرف.
(٢) راجع : ضحى الإسلام ٢/ ٨-٩ بتصرف.

واللغة والتاريخ وأيام الناس، وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة» [1].

كما نشطت حركة الترجمة في هذا العصر[2]، فترجمت الفلسفة اليونانية بجميع فروعها من طب ومنطق وطبيعة وكيمياء ونجوم ورياضة، وترجمت الرياضة الهندية والتنجيم الهندي، كما ترجم تاريخ الأمم من فرس ويونان ورومان وغيرهم، وكذلك الإلهيات اليونانية تعرض، ويعرض بجانبها الديانات الأخرى من يهودية ونصرانية ومجوسية وغيرها..

وكان أرباب الديانات يتجادلون في أديانهم ويقفون مواقف الهجوم والدفاع - كل هذا سبب حالة عقلية جديدة - فأهل الديانات الأخرى إنما يدعون إلى دينهم بالعقل والمنطق، ويرد عليهم بالعقل والمنطق، فكان طبيعًا أن ينتهج المسلمون هذا النهج حينما يدعونهم إلى الإسلام، وقد كانت الدعوة إلى الإسلام في العصر الأول أكثر ما تعتمد على الأسلوب الفطري من لفت النظر إلى الكون وآثاره ،ودلالة ذلك على موجدها، يقول تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ ﴾[3]. فجاء أرباب الديانات الأخرى في العصر العباسي يريدون أدلة عقلية مؤسسة على منطق أرسطو، فيها مقدمة صغرى وكبرى، مستوفيتان للشروط، وفيها نتيجة كذلك، فتحولت الدعوة الدينية إلى علم الكلام، وتأثر تفسير القرآن وتفسير الحديث والتشريع بهذا الأثر الفلسفي، واجتهد العلماء فى شرح كل ما يعرض

---

(١) تاريخ الخلفاء (مرجع سابق)ص ١٠١ بتصرف.

(٢) يرجع ذلك إلى عدة أسباب أهمها: اختلاط العرب وامتزاجهم بغيرهم من أصحاب الديانات والثقافات الأخرى، ودخول كثير منهم في الإسلام، ونهم المسلمين إلى معرفة علومهم، فضلا عن تشجيع الخلفاء لحركة الترجمة، فكان الخليفة المنصور يعطى لمترجم الكتاب وزنه ذهبا، كل هذه الأسباب ساعدت على نشاط حركة الترجمة وازدهارها في هذا العصر.

(٣)سورة النبأ، الآيات من ٦-٨.

لهم من ذلك بعلل عقلية وعبارات منطقية - وإذا كان هذا في العلوم الدينية فالأمر في العلوم الدنيوية أشد وضوحًا، فالطب والرياضة والهندسة وغيرها اعتمدت كل الاعتماد على التجارب وأقوال العلماء وبراهين المنطق. وهذه ظاهرة جديدة في العصر العباسي وإن كانت نتيجة طبيعية لحياة الناس وسيرهم العقلي[1].

واهتم الخلفاء العباسيون بالطب والكيمياء والطبيعة وغيرها من العلوم التي تخدم المسلمين، وعملوا على الاستفادة من الأعاجم في هذه المجالات بهدف تحقيق النهضة العلمية للمجتمع الإسلامي.

يقول الأستاذ أحمد أمين: «أسَّس النساطرة بمعاونة اليهود مدرسة للطب بجنديسابور، وأيدهم الخلفاء العباسيون، وقد كانت هذه المدرسة الطبية وارثة الطب اليوناني والفلسفة اليونانية في الشرق، وحول هذه الدراسة الطبية تكونت دراسة الطبيعة والكيمياء، بل والمنطق والإلهيات، وكانت الثقافة الطبية تتطلب كل هذه الفروع، وبرنامجها يسع كل هذه الأشياء، كما نلاحظ هذا حتى في فلاسفة المسلمين أمثال الفارابي وابن سينا، فكلاهما طبيب فيلسوف.

ومن أجل هذا نرى نوعين من الدراسة في هذا العصر: **دراسة دينية** حول القرآن والحديث، **ودراسة دنيوية** حول الفلسفة والطب والكيمياء.. إلخ ولكل نوع مميزات خاصة ومنهج في البحث خاص، وإن أثَّر كل منهما في الآخر وتأثر به»[2].

---

(١) أحمد أمين ص ٨-٩ بتصرف.

(٢) وقد عبر ابن خلدون عن هذين النوعين تعبيراً صادقًا إذ قال: «إن العلوم صنفان صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره، وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه، والأول هي العلوم الحكمية الفلسفية، وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره، والثاني هو العلوم النقلية، وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي، ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول». راجع: مقدمة ابن خلدون ص ٣٦٣ بتصرف، ضحى الإسلام. ص ٩ وما بعدها.

وفي هذا العصر وضع تفسير القرآن، وجمع الحديث ووضعت علومه، ووضع علم النحو وألف فيه سيبويه كتابه الخالد، ووضعت كتب اللغة ورسم خطتها الخليل بن أحمد ،كما وضع علم العروض، ودونت أشعار العرب في المعلقات التي دونها حماد الراوية، والمفضليات التي دونها المفضل الضبي، والأصمعيات التي دونها الأصمعي، ووضع الجاحظ أساس الكتب الأدبية، وحذا حذوه ابن قتيبة والمبرد وغيرهما، ودُوِّن الفقه على يد الأئمة وتلاميذهم، ودون التاريخَ الواقدي وابنُ إسحاق وأمثالُهم ـ هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى ترجمت كتب الفلسفة من منطق ورياضة وطب وكيمياء وغيرها، وبدأ العلماء يؤلفون فيها [1].

وما ينبغي الإشارة إليه هنا أنه كانت هناك مشادة بين المحدثين والفقهاء من أصحاب الرأى ، والذي أثار هذه الخصومة هم المحدثون، وشنعوا على أصحاب الرأى لأنهم يستنبطون الأحكام بناء على رأى أو قياس، ولأنهم يقلون من رواية الحديث، وكان مظهر هذه الخصومة على أتمها بين الحجازيين والعراقيين في عهد مالك والليث بن سعد وأبي حنيفة، فأهل الحجاز ـ غالبًا ـ أهل حديث ، وأهل العراق ـ غالبًا ـ أهل رأى، واستمر ذلك في العصور التي بعدهما، حتى نرى المحدثين لا يروون كثيراً للحنفية[2].

وثمة خصومة أشد وأعنف بين المحدثين والمتكلمين، وسبب ذلك أن منحى المتكلمين منحى عقلي، ومنحى المحدثين منحى نقلي، وشتان بين المنهجين؛ وكان أشدهم في ذلك المعتزلة.

وقد كانت الغلبة للمتكلمين في عصر المأمون والمعتصم والواثق، وكانت محنة خلق القرآن أكبر مظهر من مظاهر النزاع بين المحدثين

---

(١) أحمد أمين ٢/ ١٣ بتصرف.
(٢) ضحى الإسلام ص ١٣٤.

والمتكلمين، فالمحدثون أصروا على القول بأن القرآن غير مخلوق، وكادوا يُجمعون على ذلك، وبعكس ذلك يكاد المعتزلة يجمعون على القول بخلق القرآن، وظل المعتزلة منتصرين لأن السلطة بجانبهم، حتى أتى المتوكل فأزال سلطتهم، ومن ذلك الحين عادت إلى المحدثين سطوتهم وعلى رأسهم الحنابلة[1].

وبعد نقول: إن النهضة العلمية الكبيرة التي حدثت آنذاك ترجع إلى عدة عوامل أهمها:

١ـ انتقال الخلفاء إلى العراق التي كانت أوفر حضارة من غيرها من بلدان العالم الإسلامي وقتذاك، فكانت تذخر بالكثير من العلوم والثقافات، وكانت تفخر على الشام بعلومها حتى في العهد الأموي..!![2].

٢ـ تدوين العلوم وزيادة فروعها، الأمر الذي حدا بالكثير من العلماء أن يؤلف فيها ويهذبها ويشرحها.. وهكذا.

٣ـ ظهور العمران واستقرار الناس واستقرار أمور معيشتهم، فانصرفت همم الناس إلى ما وراء المعاش، في العلوم والفنون والصنائع[3].

٤ـ وثمة عوامل أخرى مثل: ظهور الإسلام وانتشاره وفتوح البلدان، وظهور جيل من أبناء البلاد المفتوحة ـ مثل الفرس والروم وغيرهما ـ نشأ في بلاد إسلامية وأصبح مسلمًا وصار يجيد العربية كأهلها، وجمع إلى ذلك ثقافته بلغة آبائه، فكتب باللغة العربية ما كان يكتبه آباؤه باللغة الفارسية أو اليونانية، ودوّن في العلوم العربية على النحو الذي كانت تدون به العلوم في اللغات الأخرى.

---

(١) المرجع السابق ١٣٤ - ١٣٧ بتصرف.
(٢) انظر الأغاني للأصفهاني ٩/ ١٧١ بتصرف.
(٣) مقدمة ابن خلدون ٣٦٢ بتصرف.

٥ـ كما أن هناك عوامل شخصية أثرت في العلوم لو لم تحدث لأخرت سير العلم بعض الزمن، كالذي كان من أبي جعفر المنصور، حين ضعفت معدته الأمر الذى جعله يهتم كثيراً بالطب، ويستدعي الأطباء على اختلاف مللهم ونحلهم، ويصغى إليهم ويشجعهم على البحث في الطب والتأليف فيه، فكان هذا نواة للعلوم العقلية، ومثل ذلك اعتقاده في التنجيم، أى أن هناك ارتباطًا بين حركات النجوم وأحداث الأرض، فاهتم بذلك وبنى عليه بعض أعماله، كتخطيط مدينة بغداد، واختياره الوقت الملائم.. وهكذا[1].

وثمة عوامل أخرى أثرت تأثيراً بالغًا في تطور العلوم ونهضتها وتنظيرها لا يتسع المقام لذكرها..

المطلب الثانى

الحياة العلمية في مصر وأثرها فى منهج الليث

إذا كانت البيئة المصرية قد أنتجت كثيراً من العلماء والمفكرين والفلاسفة في العصور السابقة على الإسلام - والذين تركوا آثاراً ظاهرة في مجرى حياة الفكر الإنساني فأمدوه بنظريات في العلم والدين والأخلاق والسلوك وما إليها من مقومات الحياة في تلك الأعصر والتي عاشت مع التاريخ، يحفل بها، ويحرص عليها حتى هذه الفترة التي نعيش فيها - فإن هذه البيئة كذلك أخرجت بعد الإسلام كثيراً من أولئك العلماء والمفكرين وأصحاب المذاهب والآراء الذين أضافوا إلى التراث الإسلامي جديداً، نما على مر الزمن، وتدرجت معه خطوات حياته، وتمايزت به ملامح وجوده.

---

(١) راجع : ضحى الإسلام ٢/ ١٥ بتصرف.

والدارس لتاريخ الفكر الإسلامي في بيئاته المختلفة يدرك تمامًا ما كان لمصر من أثر في حياة هذا الفكر وتوجيهه، كما يدرك أيضًا أن لهذه البيئة تاريخًا طويلا يتسم بالتطلع إلى المعرفة والبحث عن أصولها والتماس الأسباب المؤدية إليها، وتجلية الغامض من جوانبها، فكانت قديمًا مهبط الدارسين وملاذ الباحثين عن المزيد من التجربة العلمية والفلسفية[1].

والحق أن البيئة المصرية ظلت بعد الإسلام بيئة ملهمة لها شخصيتها المستقلة وطابعها المتميز، ودورها في تاريخ الحضارة الإنسانية.

يقول صاحب كتاب ضحى الإسلام: «كانت في مصر حركة علمية واسعة النطاق، مركزها جامع عمرو بن العاص بالفسطاط، وكانت نواة هذه الحركة الصحابة الذين جاءوا أثناء فتح مصر وبعده، واستوطنوها..

ومن أشهر هؤلاء الصحابة **أبو ذر، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص**، وكان هؤلاء الصحابة يحملون الحديث عن رسول الله ﷺ منهم من يحمل الحديث الواحد، ومنهم من يحمل الحديثين، ومنهم من يحمل أكثر، وبعض الأحاديث لم تكن تُعرف إلا عنهم...» [2]

وقد تلقى أحاديث هؤلاء الصحابة كثيرٌ من التابعين. وهكذا تكونت مدرسة أول أساتذتها الصحابة، فأخذ عنهم التابعون وأخذ عن التابعين تابعوهم، وقد عُدَّ هؤلاء الصحابة مصريين لنزولهم في مصر واستيطانها، ولذلك يلقبهم المحدثون بـ«المصريين»، وقد أخذت أحاديث هؤلاء المصريين من الصحابة والتابعين ووردت في كتب الحديث الستة المشهورة، وهذه المدرسة بدأت بسيطة بحيث يسمع أحدهم الحديث فيحفظه أو يكتبه، ثم نمت بالتدريج فتخصص قوم للعلم يتدارسونه، يدرسون القرآن ويدرسون الحديث ويستنبطون منهما الأحكام، ونبغ من هذه المدرسة

---

(١) الليث بن سعد فقيه مصر. د. السيد أحمد خليل ص ٣٤- ٣٧ بتصرف.
(٢) أحمد أمين ص ٨٥ وما بعدها بتصرف.

المصرية جماعة كبيرة من العلماء المجتهدين، أولهم وأشهرهم **سُلَيْم بن عتر التجيبي**(١)، وكان من أشهر علماء المدرسة المصرية آنذاك عبد الرحمن بن جحيرة أبو عبد الله الخولاني(٢).

ثم جاء إلى مصر نافع(٣) مولى ابن عمر وحامل علمه، وشيخ مالك، الذى أرسله عمر بن عبد العزيز إلى مصر لكى يعلمهم السُّنة فأقام فيهم مدة(٤).

واستطاع المصريون بحصافة عقولهم أن يستغلوا فرصة وجوده بينهم، لينهلوا من بحر علمه الفياض ويتلقوا عنه حديث رسول الله ﷺ .

والشخصية المصرية ترحب دائمًا بالتعاون المثمر في سبيل الخير المشترك، لا يصدها عنه استشراف إلى منفعة أو تطلع إلى أثرة.

ولعل ذلك مرده إلى أن البيئة المصرية نفسها بيئة غنية، وأن هذا الغنى حفظ عليها وحدة الشخصية وتكاملها(٥).

---

(١) كان ـ رحمه الله ـ من شخصيات مصر البارزة في أيام الإسلام الأولى، وشهد فتح مصر وكان من التابعين، ولاه معاوية القضاء سنة ٤٠هـ، فأقام قاضيًا عشرين سنة، وهو أول من سجل بمصر سجلاً في المواريث، مات بدمياط سنة ٧٥ هـ وكان يقال له : «عالم مصر وقاضيها»، وكان يعظ الناس ويذكرهم، وكان قد استُخلف على خراج مصر في عهد عثمان، فكان له فيه كفايتان: كفاية علمية في قصصه وأحكامه، وكفاية إدارية في تنظيم الخراج والقضاء. راجع: حسن المحاضرة ١/ ١٢٩، النجوم الزاهرة ١/ ١٩٤.

(٢) ولى القضاء لعبد العزيز بن مروان الذي ولي مصر عشرين سنة وتوفى وهو والٍ عليها سنة ٨٦هـ، وجمع إليه القضاء والقصص وبيت المال، وأثرت عنه أحكام كثيّرة في مسائل مشكلة، وقد ولى القضاء اثنتى عشرة سنة، وتوفى سنة ٨٣هـ، وقد روى له مسلم في صحيحه ووثقه النسائى. راجع: تاريخ ولاة مصر وقضاتها ص ٣١٧، أحمد أمين (ضحى الإسلام) ص ٨٦، موسوعة حكام مصر من الفراعنة إلى اليوم د. ناصر الأنصاري ط دار الشروق سنة ١٩٩٤م.ص ٦١.

(٣) هو الإمام المفتي الثبت عالم المدينة أبو عبد الله القرشي ثم العدوي العمري مولى ابن عمر ، روى عن ابن عمر وعائشة وأبي هريرة وغيرهم، وروى عنه مالك والليث بن سعد وخلق كثيرون، توفى سنة ١١٧هـ راجع : سير أعلام النبلاء ٥/ ٩٥، العبر ١/ ١٤٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٩٩.

(٤) حسن المحاضرة ١/ ١٣٠، وأحمد أمين ص ٨٦.

(٥) الليث بن سعد فقيه مصر للدكتور السيد أحمد خليل ص ٣٦ .

ومن الشخصيات المهمة في تاريخ مصر العلمي **يزيد بن أبي حبيب الأزدي**[1] بالولاء، كان عالم مصر في عصره، قال فيه الليث بن سعد: يزيد عالمنا وسيدنا. وهو أحد ثلاثة عهد إليهم عمر بن عبد العزيز بالفتيا في مصر، جمع ناحيتين كبيرتين من نواحي العلم: إحداهما الناحية التاريخية، فروى عنه الكثير في فتوح مصر وفتنها وحروبها، والثانية الناحية الفقهية، فكان واسع العلم في الحلال والحرام، حتى قيل فيه: إنه أول من أظهر العلم والمسائل في الحلال والحرام بمصر، وقبل ذلك كانوا يتحدثون في الترغيب والملاحم والفتن[2].

وكان له الفضل في تكوين رجلين عظيمين في تاريخ مصر العلمي: أولهما **عبد الله بن لهيعة، والآخر الليث بن سعد**، وهما من أعلام المدرسة المصرية في العصر العباسي.

الأول منهما: ابن لهيعة [3] كان كثير الأحاديث، كثير الأخبار، كثير الرواية، وقد ولي قضاء مصر نحو عشر سنين لأبي جعفر المنصور من سنة ١٥٥ لسنة ١٦٤هـ وقد روى عنه الكثير من أخبار مصر وفتحها وأحداثها ورجالها، وكان يكنى أبا خريطة، وذاك أنه كانت له خريطة معلقة في عنقه، وكان يدور بمصر، فكلما قدم قوم كان يدور عليهم، فكان إذا رأى شيخًا سأله: من لقيت؟ وعمن كتبت؟ [4].

---

(١) يزيد بن أبي حبيب واسمه: سويد الأزدي أبو رجاء المصري، قال أبو زرعة: بصري ثقة، وقال العجلي: مصري تابعي ثقة مات سنة ١٢٨هـ راجع: تهذيب التهذيب للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني طبعة دائرة المعارف النظامية بالهند سنة ١٣٢٦هـ ٨/ ٤٥٩ - ٤٦٠، أعلام الحديث ص ١٤٨، طبقات علماء الحديث لأبي عبد الله بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي الطبعة الثانية ١٩٩٦م ط مؤسسة الرسالة. ١/ ٣٣١- ٣٣٢.

(٢) أحمد أمين (مرجع سابق).

(٣) ابن لهيعة عربي حضرمي (من حضرموت)، كان من الكتابين للحديث والجماعين للعلم والرحالين فيه، ولكن لم يثق به بعض المحدثين، توفى سنة ١٧٤هـ، راجع ترجمته في النجوم الزاهرة ١/ ٧٧.

(٤) النجوم الزاهرة (مرجع سابق) ١/ ٧٧.

وأما الآخر: فكان الليث بن سعد، المعنى بهذه الدراسة، والذي تعلم على يد أعظم شيوخ مصر وكان أشهرهم يزيد بن أبي حبيب - كما سبق - ثم رحل إلى الحجاز وسمع من شيوخها أمثال عطاء ابن أبي رباح، ونافع مولى ابن عمر، وهشام بن عروة، ثم رحل إلى العراق فسمع من علمائه[1].

وكان - رحمه الله - غنيًا سريًا سخيًا جوادًا، كثير الصلات للعلماء وذوي الحاجات..

وناحيته العلمية كناحيته المالية غزيرة فياضة، قال يحيى بن بكير: «ما رأيت فيمن رأيت مثل الليث، وما رأيت أكمل منه، كان فقيه البلد، عربي اللسان، يحسن القرآن والنحو، والحديث والشعر والمذاكرة، إلى أن عد خمس عشرة خصلة» ، والمحدثون يثقون بحديثه كل الثقة، روت عنه كل الكتب الستة الصحيحة، وقال فيه أحمد بن حنبل: «مافي هؤلاء المصريين أثبت من الليث.. ما أصح حديثه!!»[2].

ومكانته الفقهية سامية، فهو يقرن بمالك، بل يقول الشافعي: «الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به». وفي رواية «ضيعه قومه»، وفي أخرى «ضيعه أصحابه».

يقول صاحب كتاب ضحى الإسلام:

في الواقع لو تعصب المصريون لمن نبغ منهم لاحتفظوا بمذهبه، ولكانوا أتباعه، ولكن «زامر الحي لا يطرب» وكان مما أعان على ذلك أنه لم يدون مذهبه في كتب، ولم يرزق بأصحاب - كما كان أبو يوسف ومحمد لأبي حنيفة، والبويطي والمزني والربيع للشافعي - فضاع مذهبه، وقد بقى لنا من آثاره رسالة صغيرة بعث بها إلى مالك يناقشه فيها في

---

(١) راجع ذلك مفصلا في: المبحث الثالث من الفصل الثانى .
(٢) الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية، للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني ص ٦.

رأيه في العمل بإجماع أهل المدينة، ويناقشه في بعض آرائه مناقشة بديعة قوية هادئة[1].

وكانت له المنزلة الكبرى عند الأمراء يستشيرونه في أهم الأمور. يقول صاحب كتاب النجوم الزاهرة: «كان الليث كبير الديار المصرية ورئيسها، وأمير من بها في عصره، بحيث إن القاضي والنائب من تحت إمرته ومشورته، وكان الشافعي يتأسف على فوات لقيه».

ولما حضرت الوفاة أميرَ مصر الوليد بن رفاعة قال في وصيته: «أسندت وصيتي لعبد الرحمن بن خالد بن مسافر وإلى الليث بن سعد، وليس لعبد الرحمن أن يفتات على الليث فإن له نصحًا ورأيًا».

ويؤثر عن الليث أنه لقى هارون الرشيد في العراق فسأله الرشيد «ما صلاح بلادكم؟ قال: يا أمير المومنين، صلاح بلادنا إجراء النيل، وصلاح أميرها، ومن رأس العين يأتي الكدر، فإذا صفا رأس العين صفت العين».

وقال أشهب بن عبد العزيز: «كان لليث أربعة مجالس كل يوم: مجلس لحوائج السلطان (يريد ما يستشيره فيه الأمير من أمور الدولة)، ومجلس لأصحاب الحديث، ومجلس لأصحاب المسائل (يريد الفتوى في الحلال والحرام)، ومجلس لحوائج الناس». وله فضل كبير على تاريخ مصر، فتروى عنه الأخبار الكثيرة في فتح مصر ورجالها وشئونها.

وعلى الجملة فكان رجل مصر في علمه ونبله وفضله[2].

ولما تكون مذهب أبي حنيفة ومالك، وانحاز كل فريق إلى مذهب، انقسم العلماء في مصر، وتولى القضاء بها إسماعيل بن اليسع الكندي سنة ١٦٤هـ، وكان أول قاض بمصر قضى بمذهب أبي حنيفة، فلم يرض عنه أهل مصر ومنهم الليث، لاسيما أنه كان يرى رأى أبي حنيفة في

---

(١) أوردنا الرسالتين كاملتين في الفصل الثالث من هذا الكتاب تحت عنوان: (مختارات من آثار الليث).

(٢) الأستاذ أحمد أمين (ضحى الإسلام) ٨٧- ٩٠ بتصرف.

بطلان الوقف، وكان الليث يرى صحة الأوقاف، فكتب الليث إلى المهدي فعزله[1].

واعتنق بعض العلماء في مصر مذهب أبي حنيفة، ثم ظهر عبد الله ابن وهب، وكان قد رحل إلى مالك في المدينة وصحبه حتى مات مالك، وعاد إلى مصر فنشر فقه مالك، وتبعه كثيرون على هذا المذهب، مثل عبد الرحمن بن القاسم ، وأشهب بن عبد العزيز، وقد انتهت إليهما رياسة الفقه على مذهب مالك في مصر، حتى جاء الشافعي وأقام في مصر نحو خمس سنوات يحرر مذهبه ويمليه على تلاميذه المصريين **كالبويطي والمزني والربيع المرادي،** وكوّن له حلقة علمية نشيطة كان من نتاجها كتاب الأم، ومختصر المزني، ومختصر البويطي، ومال إليه كثير من المصريين لعربيته وقرشيته وفصاحته وقوة حجته، ونشر هو وتلاميذه مذهبه .

ولكن ظل في مصر فقهاء حنفية ومالكية بجانب الشافعية.

وعلى الجملة كانت في مصر حركة دينية كبيرة ، تدرس القرآن والحديث والفقه والقراءات وغيرها من العلوم ، وتعني بالقصص وما يتضمن من ترغيب وترهيب، وكان مركزها مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط .

ونجد أن بعض المصريين الصميمين ممن دخلوا في الإسلام تأثروا بهذه الحركة تأثراً كبيراً، **فنرى عثمان بن سعيد المصري المعروف بورش**[2] من أصل قبطي، وهو مولى آل الزبير بن العوام، اشتهر بإحدى القراءات المنسوبة إليه، «وانتهت إليه رياسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه، وكان ماهراً في العربية، مات بمصر سنة ١٩٧هـ.

---

(١) انظر: الكندي ص ٢٧١، أحمد أمين ص ٩١.
(٢) انظر : حسن المحاضرة ١/ ٢٢٤.

وجاء بعده **ذو النون المصري الأخميمي** النوبي الأصل، وهو أحد رءوس الصوفية ومؤسسها في الديار المصرية توفى سنة ٢٤٥هـ وقد قارب التسعين.

ولا يفوتنا أن نذكر أن هذه الحركة الدينية كانت تشتمل - فيما تشتمل عليه - على كثير من تاريخ مصر وأخبارها، لأن تاريخ مصر كغيره من التاريخ الإسلامي، بدأ في شكل حديث، كما أن الذي بدأ به هم المحدثون مثل يزيد بن أبي حبيب وابن لهيعة والليث بن سعد وغيرهم من المحدثين المصريين، وأفرد العديد من العلماء الأخبار المتعلقة بمصر بالتأليف، كما فعل عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم في كتابه «فتوح مصر»، ومحمد بن الربيع الجيزي «في ذكر من دخل مصر من الصحابة»، واقتفى غيرهم أثرهما.

وكان من أعلام مصر في التاريخ والنحو والأنساب **أبو محمد عبد الملك بن هشام**[1]، صاحب السيرة المنسوبة إليه.

وقد تأثر كتابه «السيرة» بمصر، فتراه يروي أحيانًا عن علمائها فيقول: حدثنا عبد الله بن وهب عن عبد الله بن لهيعة عن عمر مولى غفرة، أن رسول الله ﷺ قال: «الله الله في أهل الذمة، أهل المدرة السوداء السُحْم الجعاد، فإن لهم نسبًا وصهراً». قال عمر مولى غفرة: نسبهم أن أم إسماعيل منهم، وصهرهم أن رسول الله ﷺ تسرر فيهم. قال ابن لهيعة: أم إسماعيل منهم، السيدة هاجر من «أم العرب» وهي قرية

(١) هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميزي المعافري، أصله من البصرة ولد ونشأ فيها، ثم رحل إلى مصر ولقي الإمام الشافعي، روى سيرة ابن إسحاق عن محمد ابن زياد، وتناولها بالاختصار أحيانا وبالتصويب والتوضيح والزيادة أحيانا أخرى، محافظًا على نص ابن إسحاق، وكان ما يضيفه ينسبه لنفسه، فكان هذا المسلك جديراً بأن تنسب إليه السيرة وتعرف بسيرة ابن هشام، توفى بالفسطاط سنة ٢١٣، وقيل ٢١٨هـ راجع: مختصر سيرة ابن هشام طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية. الطبعة الثانية سنة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م - ١/ ٧-٨.

كانت أمام الفرما من مصر، وأم إبراهيم مارية سرية النبي ﷺ التى أهداها له المقوقس من حفن من كورة أنصبا [(١)].

وفي الواقع كانت هذه الحركة العلمية الدينية تكاد تكون منحصرة في الفسطاط والإسكندرية وحدهما - تقريبًا - إلى عهد المأمون[(٢)].

وكان بجانب هذه الحركة الدينية حركة أخرى أدبية عربية عمادها هؤلاء العرب الذين جاءوا مصر عند الفتح وبعده، وأُثـرَتْ عنهم أقوال بليغة ، منها كلمات عمرو بن العاص وكتبه وخطبه، وخَطب عتبة بن أبي سفيان وغيرهما. وكان إذا جاء الربيع تفرق العرب في البلدان، فيذهب آل عمرو بن العاص وآل عبد الله بن سعد إلى منوف وأوسيم، وكانت هذيل تذهب إلى ببا وبوصير، وتذهب عدوان إلى بوصير وكانت «فهم» تذهب إلى إتريب وعين شمس ومنوف ..الخ[(٣)].

وكان هؤلاء ينشرون لغتهم حيث أقاموا مدة ربيعهم - أضف إلى ذلك أن الثقافة الدينية كانت تحمل في ثناياها ثقافة لغوية وأدبية، فالقرآن والحديث يحملان إلى ناحيتهما الدينية ناحية أخرى لغوية بلاغية، كما أن وجود مصر تحت حكم العرب جعل كثيرًا من مشاهير الشعراء يفدون على مصر خصوصًا في عهد عبد العزيز بن مروان، فقد وفد عليه **جميل بثينة** الشاعر العذرى المشهور ومات بمصر، وكذلك **كثير عزة ونُصيب وعبد الله بن قيس الرقيات وأيمن بن خُريم**، وجاء مصر في العهد العباسي **أبو نواس** وفد على ابن الخصيب، ثم **أبو تمام** وقد كان بمصر يسقي الماء في جامع عمرو، ويجالس الأدباء ويأخذ عنهم حتى قال الشعر فأجاد.

وقد كان لهؤلاء وأمثالهم أثر في وجود الشعر في مصر، ولكننا لا نجد

(١) مختصر سيرة ابن هشام ص ١/ ٣.
(٢) ضحى الإسلام (مرجع سابق) ٩٣- ٩٤ بتصرف.
(٣) انظر المقريزي ٢/ ٢٦٠.

شاعراً مصريا ممتازاً، وما روى لنا من الشعر المصري في العهد الأموي والعصر العباسي الأول أبيات قصيرة في هجو الولاة أو القضاة أو نحوهم وأغلب قائليها من قبائل عربية استوطنت مصر - وقد اشتهر منهم في العصر العباسي **سعيد بن عفير** وهو عربي الأصل له شعر قوي عليه مسحة عربية خالصة، وروى الكندي في كتابه (الولاة والقضاة) بعض شعره، ومنهم المعلى الطائي كان في مصر مدة هارون الرشيد[١].

إلى جانب هذا كله كانت هناك ناحية علمية متمثلة في امتداد مدرسة الإسكندرية قبل الفتح، وهي حركة لاهوتية طبية فلسفية معًا، كانت تعنى باللغة السريانية ، ويجيدها العلماء قراءة وكتابة كإخوانهم في الشام والعراق.

وقد بقيت هذه الحركة مدة العهد الأموي، واستمرت إلى العهد العباسي، ويحدثنا ابن أبي أصيبعة عن **«بليطيان»** أنه كان طبيبًا مشهوراً بالديار المصرية عالما بشريعة النصارى الملكية، وكان بطريرك الإسكندرية، عاش في مصر أيام المنصور والرشيد، وقد دعاه الرشيد إلى بغداد لمعالجة جارية له مصرية فشفيت، وقد وهب الرشيد له مالا كثيراً، وكتب له منشوراً برد الكنائس التي أخذها اليعقوبية إليه، ومات سنة ١٨٦[٢].

وإذا كانت الحركة الإسلامية مقتصرة في الأغلب على الفسطاط والإسكندرية -كما أسلفنا - فإن ثقافة الشعب في القرى والبلدان كانت على النمط القبطي قبل الفتح، حتى انتشر الإسلام وانتشر المسلمون في البلاد وتغلغلوا فيها عقب سنة ٢١٦هـ حملوا معهم ثقافتهم الدينية واللسانية ونشروها في أنحاء القطر[٣].

ولا شك أن ما زخرت به مصر من حركات ثقافية وفكرية وأدبية.. وما

---

(١) انظر :أحمد أمين ص ٩٤ وما بعدها بتصرف.
(٢) المرجع السابق ص ٩٥ وما بعدها بتصرف.
(٣) نفسه ص ٩٥.

حفلت به من علماء أجلاء وأدباء.. على مدار تاريخها المديد، لا سيما هذا العصر الذى عاش فيه الليث كان له أثر طيب فى تكوين منهج الليث وإفراز شخصية سخية ذكية تمثل الجذور لمدرسة حديثية وفقهية ناضجة ستظل منهلا للعلماء وقدوة للأتقياء والأسخياء ما أشرقت الشمس على الدنيا.

المطلب الثالث

مناهج البحث العلمي في هذا العصر

يعتبر العصر الذي نشأ وعاش فيه الليث بن سعد، العصر الذهبي لتدوين العلوم؛ ففي أقل من خمسين عاما من آخر الدولة الأموية إلى صدر الدولة العباسية كانت أغلب العلوم قد دونت ونظمت، سواء في ذلك العلوم النقلية من علوم القرآن والحديث والفقه وأصوله، وعلوم اللغة والأدب على اختلافها، أم العلوم العقلية من علوم الرياضة والمنطق والفلسفة وعلم الكلام..

وكان نشاط المسلمين في ذلك يسترعي الأنظار ويستخرج العجب، فقد نظم العلماء أنفسهم فرقًا كفرق الجيش، كل فرقة تغزو الجهل أو الفوضى في ناحيتها حتى تخضعها لنظامها، ففرقة للغة، وفرقة للحديث، وفرقة للنحو، وفرقة لعلم الكلام، وفرقة للرياضيات، وهكذا، وهم يتسابقون في الغزو والانتصار وتدوين العلم وتنظيمه تسابقت قبائل العرب في الفتوح والغزوات، كل قبيلة تود أن تكون السابقة في الميدان، ووجد في ساحة الميدان العلمي قواد بارزون يتنافسون في الابتكار، فإذا فاز أبو حنيفة بوضع الفقه، ثارت حماسة الخليل بن أحمد فيضع العروض ويرسم المنهج لمعجم اللغة..[1].

وكان لكل علم من هذه العلوم - سواء العلوم النقلية أو العقلية - منهج خاص في التأليف والبحث والدراسة..

---

(١) ابن خلكان ١/ ٢٤٥.

فمنهج العلوم النقلية كان يعتمد على الرواية وصحة السند، ونجد أن المشتغلين بالحديث (المحدثين) كانوا مشغولين بجمع الأحاديث واختبار أسانيدها لمعرفة جيدها من رديئها، فضلا عن دراسة الرواة لمعرفة أحوالهم.. الخ.

أما المفسرون فكانوا يعتمدون على نقل ما روى عن الصحابة والتابعين من تفسير الآيات.. ومثل ذلك يقال في علوم اللغة والأدب، فاللغوي يروي ما سمع من العرب أو يروي ما سمع من أعرابي أو عالم، وكثيرًا ما يذكر السند مثل ما نراه في كتاب الأغاني للأصفهاني .. هذا بالنسبة للعلوم النقلية.

أما العلوم العقلية كالرياضة والطبيعة والطب والفلك فيذكر الأستاذ أحمد أمين أنها كانت تعتمد على معقولية الحقائق وامتحانها، إما من طريق المنطق، أو عن طريق تجربة الحقائق وامتحانها عمليًا، فإذا ذكرت حقيقة فقلما يعنون بقائلها، ولكنهم يعنون بوضعها تحت قواعد المنطق، وهل من قوانينه ما يؤيدها أو ما ينقضها؟ وكذلك قد يمتحنونها عمليًا ليرقبوا نتيجتها فيحكموا عليها بالخطأ أو الصواب..[1].

وثمة علوم أخرى أخذت بالمنهجين كالفقه، فكثير من الفقهاء لم يعتمدوا على المنهج الأول من الاستدلال بآية أو حديث فقط، بل استعملوا الدليل المنطقي في تأييد مذهبهم والرد على خصومهم ..وهكذا.

وكان لكل منهج أثر كبير في أصحابه من حيث الأخلاق العلمية والصفات العقلية، فالأولون قصروا اتجاههم على التحقق من صحة النقل، ولم يحكموا كثيرًا مقياس العقل ، وكرهوا أن يصغوا إلى نقد الناقد يحكم المنطق في عملهم، والآخرون أطلقوا لعقلهم العنان، ولم يشاءوا أن يقتصروا في ذلك على دائرة أبحاثهم بل حاولوا أن يطبقوه على علم الكلام والفقه والنحو بل واللغة، فكان التنافس المحمود بين الطائفتين[2].

---

(١) ضحى الإسلام ٢/ ١٦.

(٢) المرجع السابق ٢/ ١٨ بتصرف.

على أية حال نقول : إن هذا التنافس والصدام لم يعطل سير الحركة العلمية ولا تطورها، بل ظل المسلمون طوال حياتهم العلمية يعيشون على هذه الثروة التي وضعت في هذا العصر.

المطلب الرابع

تدوين الحديث فى عصر الليث

جاء الليث وقد حصل الإجماع على جواز كتابة السنة وتدوينها، بعدما انقضى عصر الصحابة وزالت الأسباب التى منعتهم من التدوين؛ فقد أمن اختلاط القرآن بغيره بعد جمعه فى عهد كل من أبى بكر وعثمان، واستقر اهتمام المسلمين بكتابهم حفظًا ومدارسة وفهما، وأذن عثمان للصحابة فى مغادرة المدينة إلى الأمصار المفتوحة، فاستوطنوها قراء ومحدثين ومعلمين ومفتين، وقد جدَّت للناس حاجات احتاجوا إلى معرفة أحكامها، وليس هناك مصدر أوسع من السنة فى بيان الأحكام، وبتوالى الزمن زالت الأمية، وقل الاعتماد على الذاكرة والحفظ، وقد قلت أسباب الاضطرابات والفتن وأمن شر الأعداء، وتيسر الوقت الذى يكفى لكتابة السنة بالنسبة لما قبل ذلك، بل إن اتساع الرقعة الإسلامية ووجود الصحابة الحافظين للسنة فى البلاد المختلفة شرقًا وغربًا، واختلاط العلماء بغيرهم من أهل هذه البلاد، وما واجههم من حوادث وعادات ومعاملات مختلفة تحتاج إلى معرفة أحكامها ، وإقبال الناس عليهم لينهلوا من علمهم، ويحفظوا مما حفظوه من السنة، سارع العلماء إلى إخراج ما عندهم من ثروة فى الحديث، للفتوى، ووضع أسس الاستنباط، وفى سنة الرسول ﷺ سعة وغناء، كل ذلك دعاهم إلى الاتجاه لتدوين السنة، والاشتغال بعلومها[1].

وكان الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ قد رأى جمع السنة وتدوينها خشية أن يضيع منها شىء، أو يلتبس الحق بالباطل،

---

(١) محمد رشيد نافع ص ١٩.

وكان ذلك على رأس المائة الأولى، فكتب إلى بعض العلماء البارزين فى الأمصار الإسلامية وأمرهم بجمع الأحاديث[1].

جاء فى الموطأ أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم[2] أن انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء، وأوصاه أن يكتب له ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية، والقاسم بن محمد بن أبى بكر. وأخرج أبو نعيم فى تاريخ أصبهان عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى أهل الآفاق : «انظروا إلى حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه»[3].

وكان الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز قد كتب من قبل إلى محمد ابن شهاب الزهرى أن يكتب بعض أحاديث رسول الله ﷺ ففعل بعد تردد، وكان ذلك أول دعوة رسمية إلى تدوين السنة[4].

ولما كثر الوضع فى الحديث بدأ العلماء يُعنون بنقد الرجال، فوضعت أصول نقد السند، كما وضعت أصول نقد المتن واستخلاص السنن من الأحاديث التى صحت[5]، وكان ذلك فى العصر العباسى الذى بدأ فيه التأليف فى الحديث.

---

(١) دفاع عن السنة، د. محمد بن محمد أبو شهبة ص ٢١-٢٢.

(٢) نسب إلى جد أبيه، ولجده عمرو صحبة ولأبيه محمد رؤية، وهو فقيه تابعى استعمله عمر بن عبد العزيز على إمارة المدينة وولاه قضاءها توفى سنة ١٢٠هـ.

(٣) ضحى الإسلام أحمد أمين ٢/١٠٦.

(٤) ومن قبل سأله هشام بن عبد الملك أن يملى على بعض ولده شيئًا من الحديث، فدعا بكاتب، وأملى عليه أربعمائة حديث، فخرج الزهرى من عند هشام فقال : أين أنتم يا أصحاب الحديث؟ فحدثهم بتلك الأربعمائة. ثم لقى هشامًا بعد شهر ونحوه، فقال هشام للزهرى: إن ذلك الكتاب قد ضاع. فقال : لا عليك فدعا بكاتب فأملاها عليه. ثم قابل هشام إملاءه بالكتاب الأول فما غادر حرفًا واحدًا.

ثم جاء بعد ذلك أبو جعفر المنصور فطلب إلى مالك أن يكتب للناس كتابًا فى الحديث، فجمع كتاب الموطأ وأراد أبو جعفر أن يجمع عليه الناس فرفض مالك، إدراكًا منه باتساع أبواب العلم وتعدد طرقه. راجع ضحى الإسلام ، (المرجع السابق).

(٥) المجتمع فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى العصر الفاطمى، تأليف هويدا عبد العظيم رمضان ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٤م.ج ٢ ص ١٣٦ .

كما بدأ التدوين فى العلوم الأخرى، ووجدت النزعة إلى تدوين الحديث فى أمصار مختلفة وفى عصور متقاربة، ففى مكة جمع الحديثَ ابن جريج (الرومى الأصل) المتوفى نحو سنة ١٥٠ هـ، ولم يوثقه البخارى وقال : «إنه لا يُتابع فى حديثه»، وفى المدينة محمد بن إسحق ١٥١هـ مالك بن أنس ١٧٩هـ، وبالبصرة الربيع بن صبيح ١٦٠هـ وسعيد بن أبى عروبة ١٥٦هـ وحماد بن سلمة ١٧٦هـ، وبالكوفة سفيان الثورى ١٦١هـ، وبالشام الأوزاعى ١٥٦هـ، وباليمن معمر ١٥٣هـ، وبخراسان ابن المبارك ١٨١هـ، وبمصر الليث ابن سعد ١٧٥هـ .

ونرى من هذا، أن الجمع بدأ فى أوائل النصف الثانى من القرن الثانى ـ غالبًا ـ وأن الفكرة انتشرت فى الأمصار المختلفة، ومن الصعب تحديد أى إقليم كان له السبق، إلا إذا اعتبرنا أن ابن جريج فى مكة كان أسبق هؤلاء العلماء موتًا، فقد مات سنة ١٥٠هـ، فيكون أسبقهم تأليفًا، وربما قُلد فى ذلك، وعمَّت الفكرة الأمصار عن طريق الحج، فالعلماء الذين رحلوا إلى مكة أخذوا فكرة جمع الحديث منها أثناء حجهم ونشروها فى بلادهم، وجمعوا ما فى أقاليمهم من الأحاديث كما فعل ابن جريج فى جمع أحاديث إقليمه[1].

والحق أن ثقات المحدثين بذلوا من الجهد فى التمحيص ما لا يوصف، ونحوا فى ذلك مناحى مختلفة، فاجتهدوا فى وضع رواة الحديث من التابعين ومن بعدهم فى موازين دقيقة ، وشرحوا كل راو وعرفوا تاريخه وسيرته، ووضعوا فى ذلك قواعد محكمة «للجرح والتعديل».

وقد اشتهر فى هذا المجال **يحيى بن سعيد القطان** المتوفى سنة ١٨٩هـ، **وعبد الرحمن بن مهدى** المتوفى سنة ١٩٨هـ وقد وثق الناس

(١) ضحى الإسلام ص ١٠٧ بتصرف.

بهما، وقبلوا حكمهما غالبًا، فمن عدّلاه عدل، ومن جرّحاه جرح، وجاء بعدهما **يحيى بن معين** توفى سنة ٢٣٣هـ، **وأحمد بن حنبل** توفى سنة ٢٤١هـ، **ومحمد بن سعد** فى طبقاته توفى سنة ٢٣٠هـ فأكثروا كذلك من نقد الرجال وبيان صحيحهم وعليلهم، وسار من جاء بعدهم على آثارهم، كما ألف البخارى فى هذا الباب ثلاثة كتب، سمى كل منها «تاريخ البخارى»: **كبير**، وهو مرتب على حروف المعجم، غير أنه صدره بمن اسمه محمد، ثم عاد إلى ترتيب حروف الهجاء، **وأوسط** وقد رتبه على السنين، **وصغير**..ومن المؤلفين من أفردوا للثقات كتبًا خاصة، وللضعفاء كتبًا، وللمدلسين كتبًا، كما وضعوا فى هذا العصر أيضًا قواعد للحديث: أى الأحاديث أعلى رتبة؟ وأيها أدنى رتبة؟ وأيها فى الوسط؟ وميزوا أنواعها، ووضعوا لكل نوع اسمًا، وسمى ذلك «مصطلح الحديث»، كما عنوا بالحديث من حيث تفسير غريبه، وألفوا فى ذلك **«غريب الحديث»** واتجه قوم إلى بحث الأحاديث المتعارضة والتوفيق بينها وسموا ذلك **«مختلف الحديث»** ..وهكذا[1].

وبعد هذا العرض نخلص إلى هذه النتيجة: وهى أن السنة لم يظل العصر بعدم تدوينها، وأن التدوين بدأ بصفة خاصة فى عصر النبى ﷺ وأنه قوى وغلظ عوده فى عصر الصحابة وأوائل عصر التابعين، وأنه أخذ صفة العموم فى أواخر عصر التابعين، ولم يزل يقوى ويشتد حتى بلغ عنفوانه واستوى على سُوقه فى القرن الثالث الهجرى خاتمة القرون

---

(١) وفى الحق أن المحدثين عنوا عناية كبرى بالنقد الخارجى، ولم يعنوا هذه العناية بالنقد الداخلى، فقد بلغوا الغاية فى نقد الحديث من ناحية رواته جرحًا وتعديلاً، فنقدوا رواة الحديث فى أنهم ثقات أو غير ثقات، وبينوا مقدار درجتهم فى الثقة، وبحثوا : هل تلاقى الراوى والمروى عنه أو لم يتلاقيا؟ وقسموا الحديث باعتبار ذلك ونحوه إلى حديث صحيح وحسن وضعيف، وإلى مرسل ومنقطع، وإلى شاذ وغريب وغير ذلك.راجع:ضحى الإسلام للأستاذ أحمد أمين ص ١٢٩- ١٣٠ بتصرف.

الثلاثة المشهود لها بالخيرية، خيرية الإيمان والعلم والعمل، والهدى والفلاح والاستقامة على الجادة[1] . .

وقد أدى تدوين السنة إلى حفظها وتنقيتها من الدخيل و رد كيد أعداء الإسلام عليهم فى محاولتهم الكذب على الرسول ﷺ ، وقد سهل هذا التدوين، الاجتهاد والاستنباط أمام الفقهاء ومهد الطريق لمن جاء بعدهم، واتسع مجال الفقه، فنما وزادت مسائله، وتضخم حتى شمل جميع مجالات الحياة عند الأفراد فى البلاد المختلفة، بشمول سنته ﷺ لكل ما عرض عليه[2].

وقد فتح هذا التدوين العظيم للسنة النبوية الشريفة، الباب على مصراعيه للعلماء العاملين أمثال الليث بن سعد لكى ينهلوا من السنة النبوية، ليفسروا بها القرآن الكريم، ويخصصوا بها عامه، ويقيدوا مطلقه، ويوضحوا مشكله، ويبسطوا مختصره، ويعلموها لتلاميذهم الذين أقبلوا عليها أيما إقبال، واعتنوا بها أفضل عناية، وقاموا بها خير قيام.

***

(١) د. محمد أبو شهبة ص ٢٣، الواضح فى مصطلح الحديث د. محروس حسين عبد الجواد ص ١٧ ب. ت.

(٢) انظر : محمد رشيد نافع ص ١٩ وما بعدها، وانظر كذلك المراجع السابقة .

الفصل الثانى شخصية الليث بن سعد

المبحث الأول: نسبه.. ومولده

نسبه: هو شيخ الإسلام.. الإمام الحافظ.. عالم الديار المصرية أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى، مولى خالد بن ثابت بن ظاعن. اختلف فى أصله، فقيل من خراسان، وقيل من أصبهان، وقيل غير ذلك، وأهل بيته يقولون : نحن من أصبهان(١)، وقال ابن خلكان(٢):أصله من قلقشندة(٣).

---

(١) راجع: سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، ط مؤسسة الرسالة ٨/ ١٣٦- ١٣٧، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان تحقيق د. إحسان عباس، ط. دار الثقافة بيروت المجلد الرابع ص ٥٤٩، الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد الطبعة الأولى دار الكتب العلمية بيروت ٧/ ٣٥٨، الكنى والأسماء للإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق عبد الرحيم محمد أحمد القشقرى ط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ١/ ٢٣٥، والأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزركلى ، الطبعة الثالثة ، ب. ت ٦ / ١١٥، وحلية الأولياء طبقات الأصفياء للحافظ أبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى المجلد السابع ص ٣١٨، وما بعدها، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى تحقيق د. عمر عبد السلام تدمرى، ط دار الكتاب العربى الطبعة الثانية ١٩٩٣م ٦/ ٣٠٢، الليث بن سعد إمام أهل مصر للدكتور عبد الحليم محمود ط دار المعارف بمصر، دائرة المعارف الإسلامية مادة ليث ط مركز الشارقة ، وصفة الصفوة للإمام أبى الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، طبعة دار ابن خلدون المجلد الثانى ص ٤٧١، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢١/ ٢٤٦ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م ط دار الفكر بدمشق، وكتاب تذكرة الحفاظ للإمام أبى عبد الله شمس الدين محمد الذهبى ط دار الكتب العلمية بيروت ١/ ٢٢٤، وشذرات الذهب فى أخبار من ذهب للمؤرخ الفقيه ابن العماد الحنبلى ، ط دار الآفاق الجديدة بيروت ١/ ٢٨٥.

(٢) انظر: وفيات الأعيان (مرجع سابق) ٤/ ٥٤٩، والبداية والنهاية للإمام الحافظ ابن كثير، ط دار المعارف بيروت- الطبعة الأولى ١٩٩٦م ٩/ ٥٩٢ .

(٣) قرية من أسفل أرض مصر، تتبع الآن مركز طوخ محافظة القليوبية، تبعد عن القاهرة بحوالى عشرين كيلو متراً- تقريباً- وهى بلدة حسنة المنظر غزيرة الفواكه، وإليها ينسب الليث بن سعد الإمام الكبير، وقد ذكر ابن يونس فى تاريخه أنه ولد بها، قال : =

والمشـهور أنه (فَهْـمِّى)[1] عربى ، ومما يدلل علـى ذلك، أنه كان ابن عم الوليـد بن رفاعـة بن ثابت بن ظاعن الفَهْـمِّى الذى ولى مصـر سنة ١٠٩هـ وتوفى وهو وال عليها سنة ١١٧هـ والوليد بن رفاعة عربى صراح، ليس فى نسبه خلاف بينَّ العلماء، ولما كان الليث ابن عمه، فهو أيضًا عربى مثله ..

قال القضاعى فى خططه فى الكلام على دار الليث بالفسطاط:

«..وكـان له دار بقلقشندة بالريـف، بناها، فهـدمهـا ابن رفاعـة أميـر مصـر؛ عنادًا له، وكان ابن عمه، فـبناها الليث ثانيًا، فـهدمها، فلمـا كانت الثـالثـة أتاه آت فى منامـه فـقـال له: يا ليث، ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝﴾»[2].

= وأهل بيتـه يذكـرون أن أصله من فـارس، وليـس لما يقـولونه ثبـات عـندنا.قـال ابن خـلكان: قلقـشندة- بفتح القـاف وسكون اللام وفتح القـاف الثانية والشـين المعجـمة وسكون النون وفـتح الدال المهملة وبعـدها هاء ساكنة-، وهكذا هى مكتـوبة فى دواوين الديار المصرية، وأبدل ياقوت فى معجم البلدان اللام راءً، وهو الجارى على ألسنة العامة، وعليه جرى الـقضاعى فى خططه. قال ابن خلكان: وهى على ثلاثة فـراسخ من القاهرة، وإليـها ينسـب الليث بن سعـد ، راجع: صـبح الأعشى فـى صناعة الإنشـا للقلقـشندى ٣/ ٤٠٣ ط المطبـعـة الأميـرية بمصـر سنة ١٩١٣م، وتاريخ بغـداد أو مـدينة السـلام منذ تأسيسهـا حتى سنة ٤٦٣هـ للخطيب البغدادى الجزء الثالـث عشر ص ٣، وتاريخ مولد العلمـاء ووفيـاتهم تصنيف : أبو سليـمان محـمد بن عـبد الـله بن زبر الربعى توفى سنة ٣٧٩هـ تحـقـيق محـمـد المصـرى، الطبـعة الأولى- من منـشورات مـركـز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت رقم ٨ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م ص ٩٢.

(١) الفهـمى: بالفتح والسكون نسبـة إلى فهم، وهى بطن من قيس عـيلان ومرجـعهم إلى العدنانيـة، راجع: لب الألباب فى تحرير الأنساب للعـلامة جلال الدين السيـوطى المتوفى سنة ٩١١هـ تحقيق : محمد أحمد عبد العزيز، أشرف أحمد عبد العزيز، طبعة دار الكتب العلميـة - بيروت - لبنان ، الطبعـة الأولى سنة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١- ٢/ ١٦٤، الليث بن سعد إمام أهل مصر للدكتور عبـد الحليم محمود، طبعة دار المعارف ص ٢٥، والمحدثون فى مصر والأزهر ودورهم فى إحيـاء السنة النبوية الشريفة للدكتور أحـمد عمر هاشـم، الناشر: مكتبة غريب- القاهرة ص ٧٠- ٧١.

(٢) سورة القصص آيـة «٥»، راجع : الليث بن سعد للدكتـور عبد الحليم محـمود (مرجع سابق) ص ٢٤.

أضف إلى ذلك أن أسماء آبائه وأجداده كلها عربية ليس فيها اسم أعجمى، مما يدل على أنهم كانوا من العرب.

ولا شك أن إجادته اللغة العربية إجادة تامة، وخبرته الواسعة بأعراف العرب فى الاستعمال اللغوى، ومعرفته الدقيقة بلهجاتهم المختلفة، وقدرته على التمييز بين جيد اللغة ورديئها، وسهولة أسلوبه وجزالته، وخلوه من اللحن واللكنة الأعجمية والتكلف الذى نراه فى كتب الأعاجم من المتعربين، وغير ذلك مما وجدناه في آثاره يجعلنا نكاد نقطع بعروبته.

هذه بعض الأدلة وإن لم تكن تفيد اليقين، فهى تفيد الظن القوى بأن الليث بن سعد لم يكن أعجميًا فى روحه وفكره وأسلوبه وثقافته وأخلاقه، وهذا الأمر يحملنا على القول بأن الليث بن سعد مصرى عربى أصيل .

بيد أن بعض المؤرخين يرون رأيًا آخر، ويكفينا المشهور من أنه العربى الأصيل، ابن عم أمير مصر ابن رفاعة العربى الأصيل الذى ليس فى نسبه خلاف كما سبق.

مولده:

وفى ليلة مباركة هادئة، مليئة بالروحانيات .. ليلة طاب هواؤها.. ورق ماؤها.. وصفت سماؤها.. هى ليلة النصف من شهر شعبان المكرم من العام الرابع والتسعين للهجرة [1] ولد الليث بن سعد ـ رضى الله عنه ـ فى قرية قلقشندة..

يقول ابن بكير : سمعت الليث يقول: «ولدت فى شعبان سنة أربع وتسعين»، وكذلك يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال أبى: « ولد ليث

---

(١) هناك اختلاف يسير حول تاريخ مولده ، فقيل سنة ٩٣هـ وقيل سنة ٩٤هـ وهو الأصح.

ابن سعد سنة أربع وتسعين»، ويحدد ابن بكير أكثر فيقول: لأربع عشرة خلت من شعبان.

ويزيد ابنُ حبَّان الأمر تحديدًا فيقول: يوم الجمعة(١).

والمصريون يعتبرون ليلة النصف من شعبان ليلة مباركة.. وهكذا تفاءل أهل الوليد بمقدمه فى تلك الليلة، كما تفاءل أهلُ القرية جميعًا بهذا القادم الجديد، ابن عميد الأسرة الغنية الذى كان يفيض بكرمه على كل من حوله(٢).

***

(١) راجع : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبى (مرجع سابق) ص ٣٠٢، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢١/ ٢٤٦، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (مرجع سابق) ٤/ ٥٤٩، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب (مرجع سابق)١/ ٢٨٥، والبداية والنهاية لابن كثير ٩/ ٥٩١، والليث بن سعد إمام أهل مصر للدكتور عبد الحليم محمود ص ٢٤، والمحدثون فى مصر (مرجع سابق) للدكتور أحمد عمر هاشم ص ٧٠ وما بعدها بتصرف، دائرة المعارف الإسلامية (مادة ليث)..

(٢) ويشاء الله - تعالى - أن يتوفى الليث فى ذات الليلة المكرمة.. ليلة النصف من شعبان سنة مائة وخمس وسبعين للهجرة (١٧٥هـ) بعد أن ملأ الدنيا من حوله بالخير، والعلم، والمعرفة، وآداب السلوك، وأسباب المحبة، على مدى اثنين وثمانين عاما ، راجع: أئمة الفقه التسعة لعبد الرحمن الشرقاوى ط دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة ص ٩٥.

المبحث الثانى
نشأته وحياته العلمية

نشـأ الليث فى بحبـوحة من الرزق وسـعة من العـيش[1] فكان أبوه واسع الغنى يملك فى قلقشندة وما حـولها ضيعة واسعة خصـبة تنتج خير الثمار من زرع وفاكهة.. لديه المال والبنون زينة الحياة الدنيا.

وكانت قلقـشندة – ككل قرى دلتا النيل – بلدة طيـبة الهواء، خصـبة التربة غنية بالثمرات والخيرات..تشتهر بجودة الفاكهة.

وكان أبوه يدرك أن العلم هو خير ما يزين الرجل العاقل، فوفر له كل ما من شأنه إدراك العلم والنبوغ فيه.

فأخـذ يعلمه عـلى الصورة المألوفـة حينئـذ، حيث كانـوا يبدؤون بحـفظ الـقـرآن، ويتـعلمــون عن طريق ذلك الكتـابـة والقـراءة، ثم يتعلمون علوم القرآن، والحديث واللغة العربية والفقه وعلوم الإسلام على وجه العموم[2].

ظهـرت نجابة الليث فى سن مـبكرة بعـد أن أتم حفظ القـرآن الكريم وتعلم القـراءة والكتـابة والحديـث الشريف والفـقـه، وكثـيـرًا من العلوم والفنون الأخـرى وهو صغيـر السن .. ثم ظهر نبـوغه السـريع فى العلوم المختلفـة، ففى اللغة أدرك أن النصـوص ليست أمرا ظاهريا فـحسب بل هى روح .. لهـا دلالات وفحـوى، وبالتالي فـالذى يتقن اللغـة العربـية ويصل إلى مـعرفـة أسرار بلاغـتهـا، حَرِىٌّ بـأن يفهم النصـوص ظاهرها وروحهـا .. من أجل هذا عكف الليث ـ بعد أن حـفظ القرآن وكثـيراً من الأحاديث ـ على حفظ الشعر العربى، الذى قيل قبل نزول الوحى بالقرآن وخلال نزولـه؛ ليدرك أسرار الـلغة[3] حـتى صار إمـامًا يفـتى، وهو فى

(١) أعلام في التاريخ الإسلامي في مصر د. سامح كريم ط. الدار المصرية اللبنانية سنة١٩٩٥م
(٢) أئمة الفقه التسعة «مرجع سابق » ص ٩٦ ـ ٩٧ بتصرف .
(٣) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان « مرجع سابق» ٤/ ١٢٧ بتصرف.

بواكير شبابه .. روى ابن حجر العسقلاني عن يحيى بن بكير أنه قال : سمعت شرحبيل بن يزيد يقول: «أدركت الناس في زمن هشام بن عبد الملك، وهم متوافرون مثل يزيد بن حبيب، وعبيد الله بن أبي جعفر، وجعفر بن أبي ربيعة، والحارث بن يزيد، وابن هبيرة، ومن يقدم مصر من علماء أهل المدينة ومن علماء أهل الشام للرباط، والليث بن سعد يومئذ حدث شاب، وإنهم ليعرفون فضله، ويقدمونه ويشار إليه».

وقال يعقوب بن سفيان: سمعت يحيى بن بكير يقول: سمعت الليث يقول: «رآني يحيى بن الأنصاري وقد فعلت شيئًا من المباحات فقال: لا تفعل، فإنك إمام منظور إليك».

قلت : ويحيى تابعي من شيوخ الليث.

لقد كان الليث إمامًا منظوراً إليه وهو يومئذ حَدَثٌ شاب، وإذا كان هذا الحدث الشاب بلغ هذا المبلغ فإنه قد بلغه بجده واجتهاده، وبذكائه المتوقد، وذاكرته القوية[1].

لقد ظل الليث يتجه إلى جامع عمرو ـ وهو أول مسجد جامع أنشأه المسلمون فى إفريقية ـ[2] لكى ينهل من علوم أساتذة عظام، حتى أصبح عَلَمًا يشار إليه بالبنان .

---

(١) وفيات الأعيان ٤ / ١٢٧ ، الليث بن سعد إمام أهل مصر (مرجع سابق) ص ٢٧.

(٢) للاستزادة عن جامع عمرو بن العاص، راجع: الدور التربوى والاجتماعي للمسجد من منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م ص٣٩ وما بعدها ، وبحث الدور الثقافى والاجتماعي للوقف في المجتمعات الإسلامية، أحمد على سليمان ،حصل به الباحث على المركز الثاني على العالم الإسلامي في مسابقة وقف نهوض الكويتي سنة ١٩٩٩م .وهذا الجامع بناه عمرو بن العاص سنة ٢١هـ لنشر مبادىء الدين الإسلامي وتعاليمه القويمة، وكان نواة لحركة علمية كبرى في مصر، وبلغت حلقات العلم به بضعًا وأربعين حلقة لا تكاد تنفض منه، ومن ثم أصبح مركزاً علميا هاما لنشر الحضارة الإسلامية ولذلك قصده الأساتذة والطلاب من كل صوب وحدب لينهلوا من معينه الذي لا ينضب.وكان على رأسهم الليث بن سعد الذي أضحى إماما للكنانة بعد ذلك..

ثم ذهب ليحج بيت الله الحرام - وكانت أول حجة له سنة ثلاث عشرة ومائة [1] فأخذ عن علماء الحجاز.

قال البخاري: قال يحيى بن بكير قال لي الليث: «سمعت من ابن شهاب الزهري[2] بمكة سنة ثلاث عشرة» [3] وكان الليث يُجلُّه، ويحبه ويحترمه لعلمه وفضله.. روى ابن حجر عن عمرو بن خالد قال: قلت لليث: بلغني أنك أخذت بركاب ابن شهاب الزهري، قال: نعم للعلم، فأما لغير ذلك فلا، والله ما فعلته بأحد قط، ويقول ابن حجر عن الليث: «وقد سمع الليث من ابن شهاب الزهري كثيراً، ويدخل بينه وبين الزهري الواسطة بواحد، وباثنين، وبثلاثة».

كما أخذ عن نافع [4] مولى ابن عمر، الذي عُدَّ من أوثق الرواة عن ابن عمر - لم يختلف في ذلك أحد من المحدثين، والسلسلة الذهبية عند كثير من المحدثين: مالك عن نافع عن ابن عمر.

يقول الليث: دخلت على نافع مولى ابن عمر، فقال: من أين؟

قلت من أهل مصر، قال: ممن؟، قلت: من قيس، قال: ابن كم؟

قلت : ابن عشرين، قال : أما لحيتك فلحية ابن أربعين.!!

---

(١) راجع : المبحث الثالث من هذا الفصل تحت عنوان (رحلاته وشيوخه..).

(٢) ابن شهاب الزهري هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث ابن زهرة بن كلاب، وكنيته أبو بكر الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وأمانته، وهو من رؤوس الطبقة الرابعة مات سنة ١٢٥هـ، للاستزادة راجع: تقريب التهذيب ص ٣١٨، وشذرات الذهب ١/ ١٦٢، أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري ط مركز إحياء التراث الإسلامي - مكة المكرمة. ص ١٢٥.

(٣) وهم إذا قالوا سنة ثلاث عشرة، فيريدون من القرن الثاني للهجرة ، بمعنى أنها سنة ١١٣هـ .

(٤) هو الإمام المفتي الثبت عالم المدينة، أبو عبد الله القرشي ثم العدوي العمري، مولى ابن عمر، روى عن ابن عمر وعائشة وأبي هريرة وغيرهم، وروى عنه مالك والليث بن سعد وخلق كثير توفي سنة ١١٧هـ، راجع : سير أعلام النبلاء ٥/ ٩٥، والعبر ١/ ١٤٧، تهذيب التهذيب ١٠/ ٤١٢، والتاريخ الكبير ٨/ ٨٤، والجرح والتعديل ٨/ ٤٥١، تذكرة الحفاظ ١/ ٩٩.

وكـان نافع أسود اللون.ومن طريف مـا يروى عن الليث فى حَـجَّتِـه تلك أنه لم يحج وحده وإنما رافقه ابن لهيعة.

يقول الليث: حـججت أنا وابن لهيعـة، فرأيت نافعًا مولـى ابن عمر، فدخلت معه إلى دكان علاف، فحدثني، فمر بنا ابن لهيعة..

فقال: من هذا؟ قلت: مولى لنا.

فلما رجعنا إلى مصر جعلت أحـدث عن نافع، فأنكر ذلك ابن لهيعة وقال: أين لقيته؟! قلتُ: أما رأيت العبد الذي كان فى دكان العلاف؟ هو ذاك(١).

ويقول ابن حجر:

«وقـعت لى نسـخة الليث عـن نافع، فيـهـا من الأحاديـث المرفوعـة والموقـوفة نحـو المائة، ومع ذلك فكان الليث يروى عنه مـا ليس عنده منه مشافهة ـ بالواسطة ـ وربما روى عنه بأكثر من واسطة واحد»(٢)

محنة الليث:

عاد الليـث إلى قريته فـإذا بالوالى (٣) قد أمر بهـدم بيت الأسرة!! فأعاد الـليث بناء البيت..فهدمـه الوالى مرة أخرى..وبناه الليث فـهدمه الوالى مرة ثالثة..!!(٤)

---

(١) الليث بن سعد إمام أهل مصر ص٢٨ ـ ٣٠ بتصرف.

(٢) المحدثون في مصـر والأزهر ودورهم في إحياء السنة النبـوية الشريفة للدكتـور/ أحمد عمر هاشم (مرجع سابق) ص٧٢ ـ ٧٣

(٣) وكان اسمه ابن رفـاعة، يقول المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق: وابن رفـاعة المقصود هنا هو الوليد ابن رفاعة بن خالد بن ثابـت بن ظاعن الفهمي الذي ولي مصر سنة ١٠٩م وتوفي وهو وال عليـهـا سنة ١١٧هـ والوليـد بن رفاعـة عـربي من فهم لـيس في نسبـه خلاف، فإذا كـان الليث ابن عمه فهو أيضـا عربي فهمي ـ كمـا سبق ـ، راجع: الليث بن سعد إمام أهل مصر للدكتور عبد الحليم محمود ص٢٥

(٤) صبح الأعـشى في صناعة الإنشا للقلقـشندي ط. المطبعة الأميـرية بمصر ١٩١٣م جـ٣ ص ٤٠٤ بتصرف .

وبات الشاب مهموما..فهو يحمل على منكبيه أعباء الأسرة، وإدارة الضيعة التى ورثها، وهموم العلم والمذهب الجديد الذي يريد أن يصوغه محكما وسطا بين أهل الرأى وأهل الحديث..فضلا عن اضطهاد الوالى له .. ومن ثم ثقلت عليه الهموم، فجاءه فى المنام من يقول له: قم يا ليث فاقرأ قوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [١].

فأصبح الليث وقد أصيب الوالى بالفالج [٢] فأوصى كل من حوله بألا يظلموا الليث، وأن يحسنوا صحبته..ومات الوالى بعد ثلاثة أيام.. [٣].

ولم يكتف الإمام الليث بن سعد بالعلم الذى حصَّله والأحاديث التى جمعها وحفظها في مصر والمدينة فقط، بل كان الترحال دأبه.

فكان - رحمه الله - إذا عَلِمَ بمكان حديث ذهب إليه ولو كان ذلك على بعد مئات الأميال..فقد ظَلَّ طيلة حياته محبا للسفر والترحال فى طلب العلم والحديث الشريف .. فاستحق أن يقول عنه ابن وهب : «والله الذى لا إله إلا هو ما رأينا أحدًا قط أفقه من الليث»[٤].

وهكذا لم ينم الليث على شهرته التى بلغها، ولا على تقديره الذى حظى به وسط العلماء، وإنما واصل الليل بالنهار فى الدراسة والأخذ عن العلماء، وكان أستاذًا يدرس للجمهور وتلميذًا يتلقى عن العلماء، واستمر كذلك إلى نهاية حياته [٥]. فصار أحد العلماء الأفذاذ الذين كانت لهم مكانة بارزة بين الأعلام وبصمات واضحة فى كل من حوله من الطلاب والعلماء والخلفاء..

---

(١) سورة القصص آية «٥».
(٢) أى الشلل، راجع: المعجم الوسيط مادة فلج ط. مجمع اللغة العربية.٢/ ٧٢٥ .
(٣)صبح الأعشى (مرجع سابق) ص ٤٠٤.
(٤) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان جـ٤ ص ١٢٧.
(٥) الليث بن سعد إمام أهل مصر للدكتور عبد الحليم محمود (مرجع سابق) ص ٢٨ بتصرف.

المبحث الثالث
رحلاته وشيوخه وأثرهم فيه
المطلب الأول
رحلات الليث

كان الليث بن سعد ـ رضى الله عنه ـ شغوفًا بطلب العلم ، مولعًا بأهله ، محبا للترحال فى سبيله مهما كلفه ذلك من مال أو عناء .. ولقد ساعده ثراؤه الواسع فى بلوغ مرامه وإشباع نهمه.. لقد ظل يسافر ويعانى ويلات السفر ومشاقاته طيلة حياته لتحصيل العلم ..

ويجدر بنا أن نشير إلى أهم الرحلات التى قام بها الليث بن سعد فى طلب العلم :

رحلته إلى الحجاز[1]: وكانت أولى رحلاته إلى الحجاز وسنه لم تتجاوز العشرين . يقول الليث: حججت سنة ثلاث عشرة وأنا ابن عشرين سنة[2]. وفى أثناء هذه الرحلة سمع من محمد بن شهاب الزهرى بمكة، وكتب من علمه علمًا كثيراً ، ويستطرد الليث قائلاً: وطلبت ركوب الرصافة، فخفت أن لا يكون ذلك لله فتركته [3].

ووجد الليث فى الزهرى من عمق الفكر وسعة العلم ودقة الفهم ما لم يجده فى أحد قط، فأكبره إكباراً شديداً؛ لأن هذا الرجل هو أول من قام

---

(١) يبدو أن الرحلة فى سبيل طلب العلم كانت تتجه أول ما تتجه إلى الحجاز بعامة ولذلك أسبابه ودوافعه ، فهو مهد النبوة ، ومهبط الرسالة، ومقر الصحابة الذين شهدوا الوحى وعاشروا الرسول، واستمعوا إليه، وأدركوا ألوان سلوكه التشريعى مما لا تمكن الإحاطة به إلا بالتلقى عن أولئك جميعًا، وهم إن تفرقوا فى البلاد المفتوحة فإن نفحات الرسالة، فى الأماكن التى نزل فيها الوحى على الرسول ﷺ ما تزال عبقة ، تستهوى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها فيحنون إليها ويهرعون إلى تنسمها، ولم يكن ذلك خاصًا بأصول الشريعة فقط ، بل كان كذلك له آثاره فى رواية الشعر، ولقاء حفاظه ورواته والأخذ عنهم، والاستماع إلى طرائقهم فى الإنشاد، وأساليبهم فى الأداء.انظر المراجع السابقة .

(٢) سير أعلام النبلاء جـ ٨ ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .

(٣) المرجع السابق .

بالنقد المنظم لرواية الحديث بأمر من الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه [(١)].

وانتهز الليث كذلك وجوده هنالك، فالتقى بنافع وسمع منه، يقول الليث:

دخلت على نافعٍ ، فسألنى : من أين ؟

فقلتُ: أنا مصرى.

فقال: ممن؟

قلتُ: من قيس.

قال: ابنَ كم؟

قلتُ : ابنُ عشرين سنة .

قال: أما لحيتُك ، فلحيةُ ابن أربعين [(٢)].

وفى المدينَة التقى الليث بالإمام مالك بن أنس وكانت بينهما صلات ومراسلات [(٣)].

كما التقى فى هذه الرحلة بأبى الزبير [(٤)]، ولا شك أن لقاء الليث به وروايته عنه تكشف لنا عن حسٍ نقدى امتاز به الليث منذ فجر حياته.

يقول الإمام الذهبى: قال الليث:

جئت أبا الزبير فدفع إلىّ كتابين ، فانقلبت بهما، ثم قلت فى نفسى لو أنى عدت إليه فسألته: أسمعَ هذا من جابر؟ فسألته قائلا : بين لى ما سمعتَ منه وما لم تسمعه منه.

---

(١) تاريخ بغداد جـ ١٣ ص ٥ وما بعدها بتصرف .

(٢) السير جـ ٨ ص ١٤٤ ـ ١٤٥ بتصرف .

(٣) راجع ذلك مفصلا فى الفصل الثالث .

(٤) انظر ترجمته فى «ميزان الاعتدال» جـ ٣ـ ص١٢٤ ـ ١٢٦ ، وقد أفردنا له ترجمة موجزة فى المطلب الثانى من هذا المبحث .

وهذه الحادثة تدل على أن الرواية بالمناولة كانت قد أنشأت تأخذ سبيلها منهجًا فى الرواية ونشر العلم، غير أن المحدثين الشيوخ حتى هذه الفترة لم يكونوا يثقون إلا بالسماع؛ لأنه الوسيلة المأمونة فى الرواية والتلقى، وكذلك صنع الليث حين دفع إليه أبو الزبير بهذين الكتابين لروايتهما عنه.

وربما كانت هذه الحادثة - التى كشفت عن منهج ما فى الرواية - سببًا فى عدم الاطمئنان إلى مرويات أبى الزبير عامة.

فقد قال يونس بن عبد الأعلى - وهو من الطبقة الأولى التى أخذت عن الشافعى ونشرت فى الناس مذهبه - : سمعت الشافعى وقد احتج عليه رجل بحديث عن أبى الزبير فغضب وقال : أبو الزبير يحتاج إلى دعامة.

ويظهر أن رواية الليث عنه أضفت الثقة على كثير منها حتى إن الذهبى فى الميزان يقول : «وفى صحيح مسلم عدة أحاديث مما لم يوضح فيها ابن الزبير السماع عن جابر، ولا حتى من طريق الليث عنه، وفى القلب منها شىء[1]».

كما سمع الليث هناك من ابن أبى مليكة، وعطاء بن أبى رباح، وعمران بن أبى أنس، وشيوخ آخرين[2].

رحلته إلى العراق :

كان الليث -رضى الله عنه- كلما سمع عن محدث أو فقيه فى أى بلد ذهب إليه..حتى عندما تقدم به السن..

---

(١) ميزان الاعتدال جـ٣ ص١٢٦، تاريخ بغداد للخطيب البغدادى جـ١٣ ص٤ ٥ .

(٢) راجع: الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية، لابن حجر ص ٣ ـ ٤ ، وانظر كذلك فى هذا المبحث، حيث وفقنا الله عز وجل أن نحصر جل شيوخ الليث فى مصر وفى الحجاز وفى العراق.....إلخ.

فقد سافر بعد الستين إلى العراق [1] فى شهر شوال سنة إحدى وستين ومائة ينشد العلم بها عند رجل أصغر منه سنًا!!

يقول صاحب كتاب تاريخ بغداد: قال أبو صالح: «قال لى الليث بن سعد ـ ونحن ببغداد: سل عن قطيعة بنى جدار، فإذا أرشدت إليها، فسل عن منزل هشيم الواسطى، فقل له أخوك ليث المصرى يقرئك السلام، ويسألك أن تبعث إليه شيئًا من كتبك. فلقيت هشيمًا فدفع إلىّ شيئًا، فكتبنا منه وسمعتها مع الليث».

وحدَّث الليث بالعراق فروى عنه من أهله كثيرون منهم:

حجين بن المثنى، ومنصور بن سلمة، ويونس بن محمد، وهاشم بن القاسم، ويحيى بن إسحاق البلخى، وشبابة بن سوار، وموسى بن داود، وجماعة من البصريين سمعوا منه ببغداد[2].

وفى أثناء رحلته للعراق التقى الليثُ بربيعة الرأى ـ الذى ذاع فى الناس أمره، واشتهر بسطوة الحجة ودقة البرهان - وناظره فى بعض المسائل، غير أن مناظرته إياه يبدو أنها كانت قد طالت واشتدت حتى تصرم أهل الحلقة واحدًا فى إثر الآخر[3].

---

(١) وكانت العراق يومئذ مهبط العلماء من كل صوب، فقد اجتمع لديها جلال الخلافة، وعظمة السلطان، وهفتْ إليها كل نفس ظامئة إلى المعرفة بعد أن هاجر إليها العلماء، واتخذوها موطنًا لهم ومرادًا يسعون فى رحابه، وقد دوّت مساجدها بحلقات العلم على اختلاف ضروبه وتباين صنوفه، راجع المراجع السابقة.

(٢) الخطيب البغدادى جـ ١٣ ص ٤ ـ ٥ بتصرف، سير أعلام النبلاء جـ ٨ ص ١٤٤ ـ ١٤٥.

(٣) وكان المناظر يومئذ، لا بد أن تكتمل له أدوات المناظرة، وتجتمع لديه عدتها، فلم تكن مجرد مَغالبة فىّ الرأى، أو مصارعة فى الاحتجاج أو عناد فى الجدل لا يراد به الكشف عن الحقيقة وإنما كانت وسيلتهم لمعرفة الحقيقة، غير أنه ينبغى أن نقرر أن وسائل هذه المناظرة كانت سببًا فى حفظ القرآن وفهمه، والبصر بالنحو، وأصوله، وحفظ الشعر، و التثبت بمواطن الاستشهاد فيه على صحة الفهم، ويبدو أن الليث بن سعد كان من أولئك الذين أعدوا أنفسهم لهذه الغاية، تاريخ بغداد للخطيب البغدادى جـ ١٣ ص ٦ بتصرف.

والليث بن سعد فى رحلاته العلمية لم يستفد علمًا جديدًا فحسب، بل أفاد أيضا ولفت إليه الأنظار .

فها هو الخليفة المهدى يقول لوزيره يعقوب بن داود - أثناء زيارة الليث للعراق -: الزم هذا الشيخ فقد ثبت عند أمير المؤمنين أنه لم يبق أحد أعلم بما حمل منه[١].

المطلب الثانى

شيوخه وأثرهم فيه

تتلمذ الليث بن سعد على أعظم شيوخ عصره..فسمع وتعلم على أيدى كبار علماء مصر والحجاز والعراق، وغيرهم..

ولم يأل الليث جهدًا فى طلب العلم منذ صغره إلى أن بلغ منه السن مبلغه، وربما أحوجه طلب العلم إلى من هو أصغر منه كما أشرنا - فيأتيه دون أن يستشعر فى نفسه كبرًا أو حرجا..!!

وقد أدرك الليث بن سعد نيفا وخمسين رجلاً من التابعين، وأدرك من تابعى التابعين ومن دونهم مائة وخمسين نفسًا[٢] فتتلمذ على أيديهم وسمع منهم.

يقول الإمام ابن حجر: سمع الليث ببلده[٣] من يزيد بن أبى حبيب[٤] وجعفر بن ربيعة ، والحارث بن يعقوب، وعبيد الله بن أبى جعفر، وخالد بن يزيد، وخير بن نعيم، وسعيد بن يزيد[٥].

---

(١) تاريخ بغداد ص ٤ - ٥ بتصرف .

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبى نُعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى المتوفى سنة ٤٣٠هـ الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م ط. دار الكتاب العربى.جـ٧ ص٤٣٢.

(٣) أى بمصر.

(٤) يزيد بن أبى حبيب، واسمه: سويد الأزدى أبو رجاء المصرى. قال أبو زرعة: بصرى ثقة. وقال العجلى: مصرى تابعى ثقة ، مات سنة ١٢٨هـ راجع : أعلام الحديث ص١٤٨ .

(٥) الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية ص١٨ .

وسمع بالحجاز من عطاء بن أبي رباح [1] ونافع مولى بن عمر [2] وأبى الزبير محمد بن مسلم المكى [3] وابن شهاب الزهري [4] وهشام بن عروة [5] ويحيى بن سعيد [6] وأيوب بن موسى [7] وعبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة [8] وعمرو بن شعيب وعمرو بن دينار [9].

وسمع في رحلته إلى العراق -وهو كبير- من هشيم [10] وهو أصغر منه سنًا..

---

(١) هو: عطاء بن أبي رباح واسمه أسلم القرشي ولد سنة ٢٧هـ، روى عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومعاوية وأسامة بن زيد وآخرين، وروى عنه ابنه يعقوب، ومجاهد والزهرى ويزيد بن أبي حبيب وخلق كثير، نشأ فى مكة وانتهت إليه فتوى أهل مكة، وكان من أحسن الناس صلاة، مات سنة ١١٧هـ وهو أرضى أهل الأرض عند الناس، راجع: تهذيب التهذيب جـ ٧ ص ١٩٩ وما بعدها بتصرف.

(٢) الإمام المفتى الثبت عالم المدينة، أبو عبد الله القرشى ثم العدوى العمرى مولى ابن عمر وراويته، روى عن ابن عمر وعائشة وأبى هريرة وغيرهم، وروى عنه مالك والليث وخلق كثير. توفى سنة ١١٧هـ على الأصح. راجع: سير أعلام النبلاء ٥/ ٩٥، والعبر ١/ ١٤٧، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٤١٢، والتاريخ الكبير ٨/ ٨٤.

(٣) هو: محمد بن مسلم بن تدرس - بفتح المثناة وسكون الدال المهملة وضم الراء - مولاهم أبو الزبير المكى، صدوق إلا أنه يدلس، وهو من الرابعة مات سنة ١٢٦هـ. راجع: ميزان الاعتدال: ترجمة ابن أبى الزبير جـ ٣ ص ١٢٤ - ١٢٦.

(٤) هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشى الزهرى وكنيته أبو بكر الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه وهو من رؤوس الطبقة الرابعة مات سنة ١٢٥هـ وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين. راجع: تقريب التهذيب ص ٣١٨ وشذرات الذهب ١/ ١٦٢، وأعلام الحديث فى شرح صحيح البخارى ط. مركز إحياء التراث الإسلامى - مكة المكرمة ص ١٢٥ جـ١.

(٥) هو: هشام بن عروة بن الزبير الأسدى ويكنى بأبى المنذر وهو من الطبقة الصغرى من التابعين.

(٦) هو: يحيى بن سعيد بن قيس الأنصارى البخارى ويكنى بأبى سعيد وهو من الطبقة الصغرى من التابعين.

(٧) وهو: أيوب بن موسى بن عمرو الأموى ويكنى بأبى موسى وهو من الطبقة التى لم تلق الصحابة.

(٨) من الطبقة الوسطى من التابعين ويكنى بأبى محمد.

(٩) راجع عوالى الليث بن سعد (مرجع سابق) ص ٤٩، والحلية ٧/ ٣٢٤، والترجمة الليثية ص ١٨.

(١٠) هو: هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمى أبو معاوية بن أبى خازم الواسطى، قيل أنه بخارى الأصل ولد سنة ١٠٤هـ، روى عن أبيه وخاله القاسم بن مهران وعبد الملك بن عمير وعمرو بن دينار وآخرين، وروى عنه مالك بن أنس وشعبة والثورى وهم أكبر منه=

كما سمع الليث من بكير بن عبد الله بن الأشج[1] وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد التيمى[2] والحارث بن يعقوب[3] ودارج ابن سمعان[4] وعقيل بن خالد[5] ويونس بن يزيد[6] وحكيم بن عبد الله[7].

وتتلمذ الليث كذلك على: سعيد المقبرى[8] ومشرح بن

= وآخرون، قال اسحاق الزيادى: رأيت النبى ﷺ فى المنام فقال: اسمعوا من هشيم فلنعم الرجل هشيم، وكان هشيم ثقة كثير العلم لم يعد عليه خطأ، توفى فى شعبان سنة ١٨٣هـ. راجع: تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر جـ١١ ص ٥٩ـ ٦٣ بتصرف.

(١) هو بكير بن عبد الله بن الأشج القرشى نزيل مصر روى عن محمود بن لبيد وأبى أمامة بن سهل وسعيد بن المسيب ونافع مولى ابن عمر وخلق كثير، وروى عنه الليث بن سعد وبكر بن عمر المعافرى وابن عجلان ويزيد بن أبى حبيب، وكان ثقة، يقول ابن المدينى: لم يكن بالمدينة بعد كبار التابعين أعلم من ابن شهاب ويحيى بن سعيد وبكير بن عبد الله الأشج لم يسمع منه مالك، خرج قديما إلى مصر فنزل بها توفى سنة ١١٧هـ وقيل سنة ١٢٠هـ، راجع: تهذيب التهذيب جـ١ ص ٤٩١ـ ٤٩٢.

(٢) هو من الطبقة التى لم تلق الصحابة.

(٣) وكنيته أبو عمرو الأنصارى، وهو من الطبقة الصغرى من التابعين.

(٤) وكنيته أبو السمع وهو من الطبقة دون الوسطى من التابعين.

(٥) هو عقيل بن خالد بن عقيل الأموى الأيلى ويكنى بأبى خالد وهو من الطبقة التى لم تلق الصحابة وثّقة النسائى، مات بمصر سنة ١٤١ هـ راجع: أعلام الحديث فى شرح صحيح البخارى ط. مركز إحياء التراث الإسلامى بمكة المكرمة جـ١ ص ١٢٥.

(٦) هو يونس بن يزيد بن أبى النجاد الأيلى، ويكنى بأبى زيد وهو من كبار الأتباع.

(٧) هو حكيم بن عبد الله بن قيس القرشى المطلبى وهو من الطبقة دون الوسطى من التابعين، راجع ذلك مفصلا فى تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ط. دار الكتب العلمية بيروت، ب. ت، جـ٣ ص ٣ وما بعدها بتصرف، وسير أعلام النبلاء للذهبى جـ٨ ص١٣٧ وما بعدها، والحلية ص ١٨ وما بعدها.

(٨) هو سعيد بن أبى سعيد كيسان المقبرى ويكنى بأبى سعد وهو من الطبقة الوسطى من التابعين، راجع: طبقات علماء الحديث لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادى الدمشقى الصالحى، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦م جـ١ ص ٣٣١ ـ ٣٣٢ بتصرف.

هاعان [1] وأبى قبيل المعافرى[2] وربيعة الرأى[3]، وإبراهيم بن نشيط بن يوسف الوعلانى، وأبو بكر بن المنكدر بن عبد الله التيمى، وإسحاق بن عبد الله بن أبى فروة الأموى ، وبكر ابن سوادة بن ثمامة الجذامى المصرى، وجعفر ابن عبد الله بن الحكم الأنصارى، والجلاح أبو كثير الأموى، وحبيب بن أبى ثابت قيس الأسدى، والحسن بن ثوبان بن عامر الهمدانى الهوزنى، وحميد ابن هانىء الخولانى، وحنين بن أبى حكيم الأموى، وحيوة بن شريح بن صفوان التجيبى، وحيى بن هانىء بن ناضر المعافرى، وخالد بن أبى عمران التجيبى، و خالد بن الحارث الهجيمى، والخليل بن مرة الضبعى، والربيع بن سبرة بن معبد الجهنى، و زبان ابن فائد الحمراوى، و زهرة بن معبد بن عبد الله القرشى المدنى ، و زيادة بن محمد الأنصارى ، وسعيد بن أبى هلال الليثى،

---

(١) مشرح - بكسر أوله وسكون ثانية وفتح ثالثة وآخره مهملة - ابن هاعان المعافرى - بفتحتين وفاء - المصرى أبو مصعب . مقبول ، توفى سنة ١٦٨ هـ تقريبا. راجع: التقريب ص ٣٣٧ وتهذيب التهذيب١٠/ ١٥٥ .

(٢) أبو قبيل هو حسين بن هانىء وقيل حيى بن ناضر - بنون ومعجمة - أبو قبيل - بفتح القاف وكسر الموحدة بعدها تحتانية ساكنة- المعافرى المصرى، صدوق قدم من اليمن فسكن مصر، وروى عن عقبة ابن عامر وعبد الله بن عمرو بن العاص، وروى عنه يحيى ابن أيوب والليث وآخرون، وثّقة أحمد بن حنبل توفى سنة ١٢٨هـ التقريب ص ٨٧، وشذرات الذهب ١/ ١٧٥، وتهذيب التهذيب ٣/ ٧٢، المجتمع فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى العصر الفاطمى - هويدا عبد العظيم رمضان جـ ٢ ص ١٣٨، وطبقات علماء الحديث جـ ١ ص ٣٣١ - ٣٣٢ .

(٣) ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، واسمه فرّوخ القرشى التيمى أبو عثمان ،ويقال : أبو عبد الرحمن المدنى المعروف بربيعة الرأى مولى آل المنكدر، روى عن : إسماعيل بن عمرو ابن قيس بن سعد بن عبادة، وأنس بن مالك، وبشير بن يسار، والحارث بن بلال .. وآخرين، روى عنه إسماعيل بن أمية القرشى ، واسماعيل بن جعفر المدنى ، والحكم ابن عبد الله بن سعد الأيلى، وحماد بن سلمة ، وسفيان الثورى، وسليمان التيمى .. وآخرون.
وقال أحمد بن عبد الله العجلى، وأبو حاتم ، والنسائى : ثقة، وقال أبو زرعة الدمشقى عن أحمد بن حنبل : ثقة وأبو الزناد أعلم منه، توفى بالمدينة سنة ست وثلاثين ومئة، وقيل بالأنبار، راجع: تهذيب الأسماء جـ ٩ ص ١٢٣ وما بعدها بتصرف .

وسعيد بن بشير الأنصاري النجاري، وسليمان بن عبد الرحمن بن عيسى الدمشقي الخراساني، وسهل ابن معاذ بن أنس الجهني الشامي، وشعيب بن إسحاق بن عبد الرحمن الأموي الدمشقي، وشهر بن حوشب الأشعري الحمصي، وصفوان بن سليم الزهري ، و طاوس بن كيسان اليماني الجندي، وطلحة بن مصرف بن عمرو اليامي الهمداني، وعامر بن يحيى بن جشيب المعافري، و عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي، وعبد الرحمن بن سابط الجمحي، وعبد العزيز بن عبد الله بن أبي التيمي المدني، وعبد الله بن أبي بكر ابن محمد الأنصاري، وعبد الله بن ذكوان أبو الزناد القرشي، وعبد الله بن شداد الأعرج المديني، و عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي المدني ، وعبدالله ابن عبد الرحمن النوفلي، و عبدالله بن عمر بن حفص العمري القرشي، و عبد الله بن يحيى الأنصاري السلمي، وعبد الملك بن عبد العزيز الأموي، و عبد ربه بن سعيد بن قيس الأنصاري النجاري، و عبيد الله بن أبي جعفر العدوي العمري، و عبيد الله بن عمر بن حفص العدوي العمري، و عبيد الله ابن المغيرة بن معيقيب السبائي، وعمران بن أبي أنس القرشي العامري، و عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري ، و عمرو بن مرة بن بن عبد الله بن طارق الجملي المرادي، وعميرة ابن أبي ناجية حريث الرعيني ، و عياش بن عباس القتباني الحميري، و قباث ابن رزين ابن حميد اللخمي، و قيس بن الحجاج بن خلي الكلاعي السلفي ، و كثير بن فرقد المدني، ومالك بن أنس ابن مالك الأصبحي الحميري، ومجاهد بن جبر المخزومي، و محمد بن عبد الرحمن بن نوفل الأسدي القرشي، و محمد بن عبد الرحمن بن غنج المدني، و محمد بن عجلان القرشي، و محمد بن قيس المدني، و محمد بن مسلم بن تدرس الأسدي، ومحمد بن مسلم بن عبيد الله القرشي الزهري، و معاوية ابن صالح بن حدير الحضرمي الحمصي ، وعمرو بن دينار، وعمرو بن شعيب، و موسى بن أيوب ابن عامر الغافقي الهياري، وموسى ابن علي ابن رباح أبو عبد الرحمن اللخمي، وهشام بن سعد أبو عباد القرشي، و يحيى بن أيوب المقابري، ويحيى بن أيوب أبو العباس الغافقي،

ويحيى بن سليم بن زيد ، ويحيى بن عباد بن شيبان أبو هبيرة الأنصارى السلمى، ويزيد بن عبدالله بن أسامة الليثى، ويزيد بن محمد بن قيس القرشى المطلبى، وعبد الله بن جنادة المعافرى، و أبو وهب الخولانى، وأبوالزناد، وابن عجلان[1].

وبعد ما عرضنا لشيوخ الليث ومن سمع منهم وروى عنهم نقول : بأنه كان مخلصا فى طلب العلم، حريصًا عليه شغوفا به، محبا له، دؤوبا فى جمعه ..ولولا ذلك ما نبغ فيه وبزّ على إخوانه وأقرانه..

فأضحى يشار إليه بالبنان بين العلماء الكبار ..كذلك لاقى التقدير والإكبار والإجلال الذى يليق بمثله.

ولا شك أن تتلمذ الليث على هذا الجم الغفير من أعظم علماء الإسلام فى عصره، كان له أعظم الأثر فى نبوغه وصقله بالعلوم والمعارف المختلفة .. فقد اطلع الليث على مناهج هؤلاء الشيوخ وطرائقهم فى الأداء مما أتاح له فرصة المقابلة والمقارنة بين هذه المناهج على اختلاف طرقها، ومن ثم صارت عنده الملكة التى تمكن بواسطتها من اتخاذ منهج متميز له وكان من أهم الشيوخ الذين تأثر بهم الليث، يزيد ابن حبيب، وجعفر بن ربيعة ، والحارث بن يعقوب ، وعبيد الله بن أبى جعفر، وخالد بن يزيد، وسعيد بن يزيد ..

ومن العلماء الذين تأثر بهم الليث – على الرغم من قصر المدة الزمنية التى مكثها معهم فى رحلته إلى الحجاز – العلامة ابن شهاب الزهرى ، ونافع مولى ابن عمر .

---

(١) راجع ذلك فى : تهذيب التهذيب للإمام الحافظ ابن حجر العسقلانى الطبعة الأولى سنة ١٣٢٦ ط دائرة المعارف النظامية بالهندجـ ٨ ص ٤٥٩ ـ ٤٦٠ ، وعوالى الليث بن سعد (مرجع سابق) ص ٤٩، وسير أعلام النبلاء للحافظ الذهبى جـ٨ص ١٣٧ ـ ١٣٨، وغيرها.

المبحث الرابع
صفات الليث الخُلقية والخَلْقية

كـان الليث ـ رحمـه الله ـ وضيء الوجـه، بهي الطلعـة، ترتاح العين لمرآه وتأنس النفس للقيـاه، ويطمـئن إليـه الفـؤاد..وكـان إلى ذلك رقيق الحاشية..جمّ التواضع..شديد الحياء..دمث الخلق، حسن السيرة بين الناس، طيب المعشـر..سخيًا كريمًا جـوادًا، يألف قلوب زملائه بحسن أدبه وظرفه وسعـة علمه وكـرمه.. فـإذا لاحظ فقـر أحد زملائه وصله بـالمال سرًا..وإن وجد فـيهم من يبعـد مسكنه عن جـامع عمرو ويجـهده السيـر إلى حلقات الدرس أهداه دابة..ولكي لا يحـرج المحتاج من زملائـه وكان يزعم لهم أنه يقدم للواحد منهم قرضًا حسنًا يرده عندما يكبر ويتكسب..!!

وكان الليث فتى فارع القامة، تضيء الابتسامة وجهه، مطمئن النفس ناعم البال، فـي ثياب جمـيلة..يفوح منه العطر والطيب.. نـشيط الخطى، مرحًا..مشتعل الأعماق..متوقد الذهن..[1]

عاش الليث عيشة متزنة سـوية، وكان بعيدًا عن الانفعالات، ومن أجل ذلك تمتع بشباب طويل.. يقول أبو رجاء: «وكان الليث أكبر من ابن لهيعة، ولكن إذا نظرت إليهما تقول: ابن وذا أب ــ يعنى ابن لهيعة الأب».

وقال ابن بكير: سـمعت الليث بن سعد كـثيرًا ما يقـول:«أنا أكبر من ابن لهيعـة، فالحمد لله الذى متـعنا بعقلنا» وكان لهذه الحـياة السوية نظام رتيب لا يكاد يتخلف[2].

لذلك قال عنه ابن بكير: «ورأيت من رأيت فلم أر مثل الليث، وما رأيت أحدًا أكـمل من الليث بن سعـد، كان فـقيـه البدن[*] عربى اللسـان، يحسن القرآن والنحو ، ويحفظ الشعر والحديث، حسن المذاكرة..لم أر مثله»[3].

---

(١) أئمة الفقه التسعة ٩٧ ـ ٩٨ بتصرف، وانظر المراجع السابقة.
(٢) الليث بن سعد د. عبد الحليم محمود ص٤١ .
(*) وفى بعض الروايات (البلد) .
(٣) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر جـ٢١ ص٢٤٩، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى ص٦ جـ١٣

ونشير هنا إلى أهم الصفات التى تحلى بها شيخنا وإمامنا الليث بن سعد - رضى الله عنه - والتى نستجليها من أقواله وأفعاله، وأقوال العلماء فيه، وكان من أهم تلك الصفات ما يلى:

ورعه :

ومن الصفات النبيلة التى تحلى بها إمامنا الليث بن سعد صفة الورع ومما يدل على ذلك قوله: «كتبت من علم ابن شهاب علمًا كثيرًا، وطلبت ركوبَ البريد إليـه إلى الرصافة، فخفت ألا يكون ذلك لله، فتركت ذاك »[1].

ومما يدل أيضًا على ورعه الشديد قوله: لما ودعت أبا جعفر المنصور ببيت المقدس قال: أعجبني مارأيتُ من شدة عقلك والحمد لله الذى جعل في رعيتي مثلك، وكان الليث يقول: لا تخبروا بهذا ما دمت حيا[2].

يقول سعيد الآدم: «مررتُ بالليث بن سعد، فتَنَحْنَحَ لي، فرجعت إليه، فقال لي: يا سعيد، خذ هذا القُنْداق [3]فاكتب لي فيه من يلزم المسجدَ ممن لا بضاعة له، ولا غلة، فقلت: جزاك الله خيرًا يا أبا الحارث.. وأخذت منه القنداق، ثم سرت إلى المنزل، فلما صلَّيْتُ وأوقدت السراجَ، وكتبتُ: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قلت: فلان بن فلان، ثم بَدَرَتْني نفسي، فقلتُ: فلان بن فلان. قال: فبينما أنا على ذلك إذ أتانى آت، فقال: ها الله ياسعيد، تأتى إلى قوم عاملوا الله سرًا، فتكشفهم لآدميٍّ؟ مات الليث، ومات شعيب بن الليث، أليس مرجعهم إلى الله ؟

قال: فقمت، ولم أكتب شيئًا، فلمَّا أصبحت أتيت الليث بن سعد، فلمّا رآني تهلل وجهه، فناولته القنداق، فنشره، فأصاب فيه: بسم الله

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر جـ ٢١ ص: ٢٤٨

(٢) المرجع السابق ص٢٥١

(٣) القنداق: صحيفة الحساب

الرحمن الرحيم، ثم ذهب ينشره، فقلت: ما فيه غير ما كتبت، فقال لي: يا سعيد، وما الخبر؟ فأخبرته بصدق عمّا كان، فصاح صيحةً فاجتمع عليه الناس، فقالوا: يا أبا الحارث، إلا خيرًا، فقال: ليس إلا خيرًا، ثم أقبل عليَّ، فقال: يا سعيد، بيَّنْتَها، وحُرِمْتُها، صَدَقْتَ، مات اللَّيْثُ، أليس مرجعهم إلى الله ؟!»[1]

فضله :

نستجلي هذا الخلق الكريم الذي تحلى به إمامنا من قول شرحبيل بن حميد بن يزيد مولى شرحبيل بن حسنة الذى قال فيه :

«أدركتُ الناس أيام هشام، وكان الليث بن سعد حديث السن، وكان بمصر: عبيد الله بن أبي جعفر بن ربيعة، والحارث بن يزيد ، ويزيد بن أبي حبيب، وابن هُبَيْرة وغيرهم من أهل مصر، ومن يقدم علينا من فقهاء المدينة وإنهم ليعرفون لليث فضلَه، وورعَه، وحسن إسلامه على حداثة سنه».

ويقول ابن بكير: «الليث أفقه من مالك، ولكن كانت الحظوة لمالك. وكان الشافعي يتأسف عليه ويقول: الليث أفقه من مالك إلا أن قومه ضيعوه[2] وكان أتبع للأثر من مالك»[3].

لقد كان - رحمه الله - سيدًا من سادات أهل زمانه فقها وعلما وورعًا وفضلاً وسخاءً، كان لا يختلف إليه أحد إلا أدخله فى جملة عياله، ما دام يختلف إليه، ثم يزوده عند الخروج بالبلغة إلى وطنه[4].

---

(١) الخطيب فى التاريخ ١٣/ ١١ ، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر جـ٢١ ص٢٥٤ـ٢٥٥،وصفة الصفوة لابن الجوزي الطبعة الأولى سنة ١٩٩٤م.المجلد الثاني ص٤٧٢

(٢) انظر:البداية والنهاية لابن كثير جـ٩ ص٥٩٢، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر جـ٢١ ص٢٤٩ـ٢٥٠

(٣) العبر في خبر من غبر للحافظ الذهبي جـ١ ص٢٠٦ ب. ت.

(٤) كتاب الثقات للإمام الحافظ أبى حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي الطبعة الأولى ١٩٨١م بالهند ٧/ ٣٦١.

كـما تحلى الليث بكـل خلق يجب على المسلم أن يتـحلى به، وتخلى عن كل خلق يلزم المسلم أن يتخلى عنه..ولم لا وهـو الذى حمل فى قلبه قرآن ربه وسنة رسوله ﷺ ..والحب والإيثار لكل المسلمين.

صدقه:

..وكان صادقًا صدوقًا ، يقـول عمرو بن خالد الحرانى:قلـت لليـث: يا أبا الحارث، بلغنى أنك أخذت بركاب الزهري؟

قال: للعلم، فـأما غيـر ذلك فلا، والله ما أخـذت بركاب والدي الذي ولدني[1].

ولاؤه وارتباطه بمسقط رأسه وحبه لها:

كان لليث دار بقلقـشندة بالريف، بناها فهدمهـا ابن رفاعة أميـر مصر عنادًا له ـ وكان ابن عمـه ـ فبناها الليث ثانيًا فهـدمها، فلما كـانت الثالثة، أتاه آت في منامه فقال له : ياليث: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[2].

فأصبح وقد فلج ابن رفاعة، فأوصى إليه، ومات بعد ثلاث.

ويبـدو أنه ندم عـلى مـا كـان منه بالنـسبـة لليث، يقـول يحـيى بن بكير:«كتب الـوليد بن رفاعة ـ وهو أميـر مصر ـ في وصيـته: قد أسندت وصيتي لعبد الرحمن بن خالد بن مسافر إلى الليث بن سعد، وليس لعبد الرحمن أن يفتات على الليث فإن له نصحًا ورأيًا، وكان الليث يومئذ ابن أربع وعشرين سنة»[3].

وكان الليث يحـب داره وبلدته حبًا كـثيراً..وليس حـبه لهـا بغريب، فهى مهد ميـلاده ومكان نشأته وصباه..لا سيما وهى سيـبة الهواء..حسنة المظهر..غزيرة الفواكه..

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر جـ٢١ ص٢٤٨

(٢) صبح الأعشى فى صناعة الإنشا «للقلقشندى» جـ٣ ص٤٠٤ ط المطبعة الأميرية ١٩١٣م، والآية رقم ٥ من سورة القصص.

(٣) الليث بن سعد إمام أهل مصر د. عبد الحليم محمود. ط دار المعارف ص ٢٤.

دفاعه عن الصحابة الأخيار:

يقول الخطيب البغدادي: قال عثمان بن صالح : كان أهل مصر ينتقصون عثمان حتى نشأ فيهم الليث بن سعد، فحدثهم بفضائل عثمان فكفوا عن ذلك، وكان أهل حمص ينتقصون عليا حتى نشأ فيهم إسماعيل بن عياش فحدثهم بفضائله فكفوا عن ذلك[1].

تأدبه:

كان الإمام الليث بن سعد متأدبًا ومتحليا بالآداب التى أمرنا بها النبى ﷺ.. فكان دمث الخلق..جم التواضع، حسن السيرة بين الناس..فغدا سيد أهل زمانه ..مثالاً للأدب الجم والذوق الرفيع والخلق النبيل.

جوده وبذله وكرمه:

إن الإنسان حينما ينعم الله - عز وجل - عليه بالنعم، ينسى نفسه أن يوصلها إلى ربها..ولكن إمامنا الليث بن سعد لم تشغله الدنيا بكثرة زخارفها عن بذل ماله في سبيل الله عن طيب نفس..حسبة لله وتقربًا إليه..

فبالرغم مما كان يتمتع به إمامنا من الثراء العظيم والدخل الكبير إلا أنه ما وجبت عليه زكاة قط !! فكان - رحمه الله - يتمتع بخلال حميدة..باذلا العلم والمال لا يرجو إلا الله - عزوجل - والفوز برضاه، ولعل صفة الجود والكرم كانت من أهم الصفات التي تميزت بها شخصية الليث بن سعد.

ونعرض هنا بعض المواقف التي تدل على سعة كرمه وبذله وجوده.

ثراؤه الواسع وما وجبت عليه زكاة!!

فعلى الرغم مما تمتع به الإمام الليث من دخل كبير وثراء عريض..إلا

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ص٧ جـ١٣، نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبيط. دار الأندلس الخضراء بجدة، الطبعة الأولي سنة١٩٩٨م جـ٢ ص٧٣٩ .

أنه لم تجب عليه الزكاة قط!! فبسبب كرمه - المنقطع المثيل - وإنفاقه لأمواله في وجوه الخير، وجوده على الداني والقاصي، ووصله لأصحابه، لم يحل على دخله الحول.. ومن ثم لم تجب عليه الزكاة ..!!

وقد اختلفت الروايات فيما يتعلق بدخله السنوي، وتراوحت الأقوال فيما بين عشرين ألف دينار وبين مائة ألف دينار، ونرى أن هذا الاختلاف مرده إلى فترات من حياته، فهي تعبر مثلاً عن دخله في مقتبل عمره، و عن دخله في نهاية حياته .. وهكذا.

والروايات التي تتحدث عن دخله تذكر - كلها تقريبًا - أنه لم يكن يدخر من دخله شيئًا، بل قد يكون مدينا في آخر العام..!!

يقول شعيب بن الليث: قال أبي: «ما وجبت عليَّ زكاة قط منذ بلغت»[1].

من جميل عطائه:

ومن جميل عطائه ما رواه عباس بن حمد الدوري: سمعت يحيى بن معين يقول: سمعت: قتيبة يقول:

كان الليث يصلي في المسجد كل صلاة، يجيء على فرسه ويتصدق في كل صلاة على ثلاثمائة مسكين [2].

تقويمه المعوجَّ بالصدقة:

وكان الليث يعلم تمام العلم أن المال مال الله، وما هو إلا مستخلف عليه ومسئول عنه أمام الله - تعالى - يوم القيامة، فاستغل هذه الأموال لطاعة الله والقرب منه عز وجل، ووصل أصحابه وزملائه.. ولم يكتف بذلك، بل وضع لنفسه منهاجًا تربويا يسير على دربه لتعديل سلوك السائلين ..

---

(١) راجع: كتاب تذكرة الحفاظ للذهبي، ط دار الكتب العلمية بيروت جـ١ ص٢٢٥، البداية والنهاية لابن كثير جـ٩ ص٥٩٢ .

(٢) راجع : شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ط بيروت.جـ١ ص٢٨٥، والليث بن سعد إمام أهل مصر للدكتور عبد الحليم محمود، بتصرف ص ٣٨.

يقول محمد بن موسى الصائغ : سمعت منصور بن عمار يقول: تكلمت في جامع مصر يومًا فإذا رجلان قد وقفا على الحلقة فقالا: أجب الليث ، فدخلت عليه فقال: أنت المتكلم في المسجد؟ قلت: نعم: قال رد عليَّ الكلام الذي تكلمت به.

فأخذت في ذلك المجلس بعينه ، فرقَّ وبكى حتى رحمته. ثم قال : ما اسمك؟ قلت : منصور، قال: ابن من؟ قلت: ابن عمار، قال: أنت أبوالسرى؟ قلت:نعم. قال: الحمد لله الذى لم يمتنى حتى رأيتك ، ثم قال: يا جارية فجاءت فوقفت بين يديه، فقال لها: جيئى بكيس كذا وكذا. فجاءت بكيس فيه ألف دينار، فقال: يا أبا السرى ، خذ هذا لك وصن هذا الكلام أن تقف به على أبواب السلاطين، ولا تمدحن أحدًا من المخلوقين بعد مدحتك لرب العالمين، ولك على فى كل سنة مثلها، فقلت: رحمك الله إن الله قد أحسن إلى وأنعم، قال: لا ترد عليَّ شيئًا أصلك به، فقبضتها وخرجت.

قال: لا تبطىء عليَّ، فلما كان في الجمعة الثانية أتيته، فقال لي: اذكر شيئًا فتكلمت. فبكا وكثر بكاؤه، فلما أردت أن أقوم قال: انظر ما في ثنى هذه الوسادة وإذا خمسمائة دينار، فقلت: عهدي بصلتك بالأمس قال: لا تردن عليَّ شيئًا أصلك به، متى رأيتك؟ قلت: الجمعة الداخلة. قال كأنك فتت عضوا من أعضائي. فلما كانت الجمعة الداخلة أتيته مودعًا فقال لي: خُذْ في شيء أذكرك به، فتكلمت فبكا وكثر بكاؤه ، ثم قال لي : يا منصور انظر ما في ثنى الوسادة، فإذا ثلثمائة دينار قد أعدها للحج، ثم قال: ياجارية هاتي ثياب إحرام منصور، فجاءت بإزار فيها أربعون ثوبًا ..

قلت: رحمك الله، أكتفى بثوبين، فقال لى: أنت رجل كريم ويصحبك قوم فأعطهم، وقال: هذه الجارية لك[1].

---

(١) صفة الصفوة للإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، الطبعة الأولى ١٩٩٤ دار ابن خلدون. المجلد الثاني ص٤٧١ ـ ٤٧٢ .

جوده للغرباء:

وكان الليث -رحمه الله - يواسي الغرباء وأبناء السبيل، حتى إن لم يكونوا محتاجين، يقول أسد بن موسى:

كان عبد الله بن على يطلب بنى أمية فيقتلهم، فرحلت إلى مصر فدخلتها فى هيئة رثة، فدخلت على الليث، فلما فرغ المجلس خرجت فتبعني خادم، فقال: اجلس حتى أخرج إليك، فجلست حتى خرج، وأنا وحدى ، فدفع لي صرة فيها مائة دينار وقال:

يقول لك الليث : أصلح بهذه النفقة أمرك، ولمَّ شعثك، وكان معي في حجرتي ألف دينار، فأخرجتها له وقلت: استأذن لي على الشيخ ، فدخلت فأخبرته بنسبى ، فقال، إنها صلة وليست صدقة ، واعتذرت إليه عن قبول صلته، وقلت: أكره أن أُعَوِّد نفسى عادة وأنا عنها غني، قال: فادفعها إلى بعض أصحاب الحديث ممن تراه مستحقًا لها، فلم يزل بي حتى أخذتها ففرقتها في جماعة[1].

جوده على المترددين عليه:

يقول أبو حاتم بن حبان:«كان الليث لا يتردد إليه أحد إلا أدخله في جملة عياله ما دام يتردد إليه، ثم إن أراد الخروج زوده بالبلغة إلى وطنه»[2].

إنفاقه على رجال الحديث :

ولم يقتصر كرمه وجوده ووصله على الفقراء والمساكين...بل تعدى كل ذلك؛ ليصل إلى أعظم القربات.فكان ـ رحمه الله ـ يكثر من النفقة على طلاب العلم، وكذلك الشيوخ لا سيما رجال الحديث[3].

صلته للإمام مالك:

يقول ابن و هب:«كان الليث بن سعد يصل مالك بن أنس بمائة دينار

(١) راجع الليث بن سعد (مرجع سابق) ص٣٩ ـ ٤٠
(٢) الليث بن سعد ص٣٨.
(٣) حلية الأولياء جـ٧ ص٣٢١،ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ص٢١ ص٢٥٤

في كل سنة، فكتب مالك إليه: أنَّ عليه دينًا فبعث إليه بخمسمائة دينار».

يقول أبو صالح كاتب الليث: كنا على باب مالك بن أنس فامتنع علينا - أي احتجب - فقلنا: ليس يشبه هذا صاحبنا، قال: فسمع مالك كلامنا، فأمر بإدخالنا عليه، فقال لنا: من صاحبكم؟ قلنا: الليث بن سعد، قال: تشبهوني برجل كتبت إليه في قليل عصفر نصبغ به ثياب صبياننا، فأنفذ إلينا منه ما صبغنا به ثياب صبياننا، وثياب جيراننا، وبعنا الفضل بألف دينار!!

ويقول قتيبة بن سعيد: سمعت شعيب بن الليث يقول: «خرجت مع أبي حاجًا، فقدم المدينة، فبعث إليه مالك بن أنس بطبق فيه رطب، قال: فجعل على الطبق ألف دينار، وردَّه إليه» (١).

جوده في الشتاء..وجوده في الصيف:

يقول أشهب:

كان الليث لا يرد سائلاً، وكان يطعم الناس الهرائس بعسل النحل وسمن البقر في الشتاء.

وكان يطعمهم في الصيف بشيء من اللوز والسكر.. (٢).

ولعل تخصيصه لهذه المأكولات في تلك الأوقات لعلمه أن الجسم يحتاج لهذه العناصر في هذه الأوقات، أو أن مواد تصنيع هذه المأكولات كانت لا تتوافر إلا في هذه الأوقات..

جوده في النوائب:

..وكان الليث - رضى الله عنه - يعين على نواب الدهر ومصائبه، يقول قتيبة بن سعيد:

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير جـ٩ ص ٥٩٢، وتذكرة الحفاظ للذهبي .ط بيروت جـ١ ص٢٢٥، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر جـ٢١ ص٢٥٣، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي جـ١٣ ص ٨-٩.

(٢) راجع: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر جـ٢١ ص٢٥٢، الليث بن سعد إمام أهل مصر ص ٣٨.

«ولما احترقت كتب ابن لهيعة بعث إليه الليث بن سعد بألف دينار»[1]؛ ليساعده على شراء الكتب التى تلزمه لمواصلة البحث والدرس..

ومن أجمل أنواع الكرم الليثى ما تعبر عنه القصة التالية التي يرويها الحارث بن مسكين، يقول: «اشترى قوم من الليث بن سعد ثمرة فاستغلوها، فاستقالوه فأقالهم ، ثم دعا بخريطة فيها أكياس، فأمر لهم بخمسين دينارًا، وقال: اللهم غفرا، إنهم قد كانوا أملوا فيه أملاً، فأحببت أن أعوِّضهم من أملهم بهذا..» .

وجاءت امرأة إلى الليث فقالت:

يا أبا الحارث، إن ابنًا لي عليل، واشتهى عسلاً، فقال يا غلام : أعطها مرطًا[2] من عسل، وكان مع المرأة إناء صغير الحجم، فلما رآه كاتب الليث راجع الليث قائلاً، إنها تطلب قليلاً من العسل، فقال الليث إنها طلبت على قدرها، ونحن نعطيها على قدرنا، وأمره أن يعطيها المرط[3].

لقد كان الليث ـ رحمه الله ـ مثالا يحتذى به في الخلق النبيل.. كان لين الجانب..رقيق النفس.. رضيَّ الخلق، وكان مقصد ذوي الحاجة، لا حجاب بينه وبينهم، وكان رقيق القلب، عطوفًا على الناس، رحيما بهم، لا يألو جهدًا في التوسعة عليهم والرفق بهم، لا سيما إذا علم من أمر أحدهم ما يقتضى ذلك.

وبعد هذا العرض لبعض ما تحلى به الليث من خلال عظيمة وصفات نبيلة لاسيما صفة الجود والكرم، أقول: إن كان العَربُ قد جعلوا حاتم الطائى مضرب المثل فى الجود والكرم، فإن الليث بن سعد أحق بذلك منه..

---

(١) تذكرة الحفاظ جـ١ ص ٢٢٥، صفة الصفوة جـ٢ص٢٤٧٣، ومختصر تاريخ دمشق جـ٢١ص٢٥٣

(٢) والمرط عشرون ومائة رطلاً .

(٣) تذكرة الحفاظ جـ١ ص ٢٢٥.

المبحث الخامس
منزلته فى الرواية ومكانته العلمية
المطلب الأول
منزلته فى الرواية جرحًا وتعديلًا

لما تصفحنا كتب الرجال والطبقات وكتب السير والتاريخ والجرح والتعديل وجدنا أن إمامنا الليث بن سعد ـ رضى الله عنه ـ كان إمامًا لأهل مصر كلها، وكان محدثًا ثقة ثبتًا، كثير العلم صحيح الحديث.

كان محدثًا من طراز المحدثين المتخصصين فى الحديث، الذين لا يقتصرون على جانب دون آخر[1].

وبعدما علمنا أنه كان محدثًا..نود أن نعرف رأى علماء الجرح والتعديل فيه ؟

نبدأ برأى **الإمام أحمد بن حنبل فيه:**

يقول أحمد بن سعد الزهرى : سمعت أحمد بن حنبل ، وقد سئل عن الليث بن سعد، فقال: ثقة ثبت.

وقال: « الليث كثير العلم ، صحيح الحديث»[2].

ويقول الحسين بن إدريس الأنصارى : حدثنا أبو داود ، قال : سمعت أحمد يقول: «ليس فيهم ـ يعنى أهل مصر ـ أصح حديثًا من الليث بن سعد ، وعمرو بن الحارث يقاربه»[3].

وقال ابن خراش: «الليث صدوق، صحيح الحديث»[4].

---

(١) الليث بن سعد إمام أهل مصر للدكتور عبد الحليم محمود ص ٤٨ بتصرف.
(٢) عوالى الليث بن سعد لقاسم بن قطلو بغا، تحقيق :عبد الكريم بكر الموصلى ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧م، الناشر مكتبة دار الوفاء.ص.٤٨.
(٣) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى جـ٨ ص ١٥٤، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر جـ ٢١ ص ٢٥٠
(٤) سير أعلام النبلاءجـ ٨ ص ١٥٥

وقال حنبل: سُئِلَ أحمد: ابنُ أبى ذئب أحب إليك عن المقبُرى أو ابنُ عجلان؟ قال أحمد: ابنُ عجلان اختَلَطَ عليه سماعُه من سماع أبيه، والليثُ أحبُّ إليَّ منهم فى المقبُرى[1].

وقال عثمان الدّارمى: سمعت يحيى بن مَعين يقول : «اللَّيْثُ أحبُّ إليَّ من يحيى بن أيوب، ويحيى ثقة..

قلت: فكيف حديثه عن نافع؟

فقال : صالح، ثقة»[2].

وقال ابن وهب: «..وأخبرنى من أثق به من أهل العلم » فهو الليث بن سعد. **وقال أيضًا:** «لولا مالك والليث بن سعد لضلّ الناس»[3].

وقال : .. وكان الليث ثقة سريًا سخيًا [4].

وقال الأثرم: سمعت أبا عبد الله يقول : «ما فى هؤلاء المصريين أثبتُ من الليث، لا عمرو بن الحارث ولا أحد، وقد كان عمرو بن الحارث عندى، ثم رأيتُ له أشياء مناكير، ما أصحَّ حديث ليث بن سعد..!! وجعل يثنى عليه، فقال رجلٌ لأبى عبد الله: إن إنسانًا ضعَّفَه . فقال : لا يدرى»[5].

ثم يستطرد الأثرم قائلاً:

«سمعت أبا عبد الله يقول: لا أعلم أحدًا أحسن حديثًا عن بكير بن عبد الله من ليث بن سعد ..

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ١٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ١٥٥ .

(٣) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،لابن خلكان، ط. دار الثقافة بيروت.المجلد الرابع ص ١٣٠ .

(٤) المصدر السابق ص ١٢٧

(٥) راجع: تاريخ بغداد ١٣/ ١٢ ، سير أعلام النبلاء جـ٨ ص ١٥٤، وتذكرة الحفاظ جـ١ ص ٢٢٦ ، والجرح والتعديل ٧/ ١٧٩ ، طبقات علماء الحديث للإمام أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادى الدمشقى الصالحى توفى سنة ٧٤٤ هـ ط. مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٩٦م جـ١ ص ٣٣٣ .

وقال : هو أحسن حديثًا عندى من عمرو بن الحارث، ومن ابن لهيعة. قلت له: ومن ابن عجلان؟ قال: وكم يروى ابن عجلان عن بكير؟ ما أيسرها!!»[1].

وقال عبد الله بنُ أحمد: سمعتُ أبى يقول : أصحُّ الناسِ حديثًا عن سعيد المقبُرى ليثُ بن سعد، يفصل ما روى عن أبى هريرة، وما عن أبيه عن أبى هريرة. هو ثَبتٌ حديثه جدًا[2].

وقال الدار قطنى: «هو أحفظ الجماعة عن المقبرى»[3].

ويروى **النسائى** كثيراً من الأحاديث التى رواها الليث ، ويقول : « أبو الحارث الليث بن سعد المصرى ، ثقة»[4].

وقال على بن المدينى: «الليث ثبت»[5].

وقال الشافعى : «الليث أتبع للأثر من مالك»[6].

وقال النووى: «أجمعوا على جلالته وأمانته وعلو مرتبته فى الحديث»[7].

وقال ابن حجر:

قال ابن أبى حاتم: «سألت أبا زرعة: الليث يحتج بحديثه ؟ قال : إى لعمرى».

وقال يحيى بن معين: ثبت[8].

---

(١) انظر : الثقات الذين ضعفوا فى بعض شيوخهم - جمع ودراسة صالح بن حامد الرفاعى ط. الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة - المجلس العلمى سنة ١٤١٣هـ ص ٧٦.
(٢) سير أعلام النبلاء - جـ ص ١٥٤، تاريخ بغداد ١٣/ ١٢
(٣) طبقات علماء الحديث جـ ١ ص ٣٣٣
(٤) الليث بن سعد إمام أهل مصر ص ٥٠
(٥) سير أعلام النبلاء جـ ٨ ص ١٥٦ ، والجرح والتعديل ٧/ ١٨٠
(٦) عوالى الليث بن سعد ص ٤٨ ، سير أعلام النبلاء جـ ٨ ص ١٥٦، تهذيب الكمال ص ١١٥٤
(٧) المرجع السابق.
(٨) الليث بن سعد (مرجع سابق) ص ٥١.

وقال شعيب بن الليث: قيل لأبى: إنا نسمع منك الحديث ليس فى كتبك فقال: لو كتبت ما فى صدرى فى كتب، ماوسعه هذا المركب [1].

وقال العجلى: «الليث مصرى ثقة»[2].

ومما يؤكد المنزلة العالية التى بلغها الليث بن سعد فى الحديث، ماقاله **الإمام مسلم ابن الحجاج**: «الليث بن سعد ثقة ثبت فقيه إمام مشهور» [3].

وقال الإمام الذهبى – فى وصف الليث بن سعد –: «..وكان رحمه الله طَلاَّبةً للعلم، ولا يرى التدليس، وقد سمع من الزهرى..»[4].

قال ابن سعد فى الليث: كان قد استقل بالفتوى فى زمانه، وكان ثقة كثير الحديث». **وقال أبو زرعة**: صدوق، ووثّقه العجلى وابن المدينى والنسائى والخطيب[5].

وجاء فى البداية والنهاية **لابن كثير**: أن الإمام الليث بن سعد كان إمامًا للديار المصرية بلا مدافعة..وكان رحمه الله جيد الذهن[6].

وقال يعقوب بن شيبة ومحمد بن سعد وآخرون: الليث ثقة.

ويقول صاحب ميزان الاعتدال:

---

(١) عوالى الليث بن سعد ص ٤٨.

(٢) تهذيب التهذيب جـ ٨ ص٤٦٢

(٣) الكنى والأسماء للإمام مسلم بن الحجاج –تحقيق : عبد الرحيم محمد أحمد القشقرى ط. المجلس العلمى لإحياء التراث الإسلامى بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية ـ الطبعة الأولى ـ سنة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م جـ ١ ص ٢٣٥ .

(٤) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبى ت ٧٤٨هـ. «حوادث ووفيات ١٧١ ـ ١٨٠ هـ» تحقيق :د. عمر عبد السلام تدمرى ، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٣م الناشر دار الكتاب العربى.جـ ١١ ص ٣١٣ .

(٥) ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته عن الثقات عند البخارى ومسلم تخريج الحافظ أبى الحسن على بن عمر بن أحمد الدارقطنى المتوفى سنة ٣٨٥ هـ دراسة وتحقيق: بوران الضناوى ـ كمال يوسف الحوت ـ ط. مؤسسة الكتب الثقافية الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥ م.ص ٣٠٧

(٦) البداية والنهاية لابن كثير ،ط. دار المعرفة بيروت سنة ١٩٩٦م ٩/ ٥٩٢، والعبر فى خبر من غبر لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبى، ط. دار الكتب العلمية بيروت ب.ت ص ٢٠٦ .

«الليث بن سعد الفهمى أبو الحارث: أحد الأعلام والأئمة الأثبات ثقة، حجة بلا نزاع ، وكان محدثًا ثقة، وكان واسع الأفق، رحب الصدر، يتصرف بذكاء وحكمة »، ومما يروى عنه فى ذلك ما ذكره صاحب الحلية، قال : عن عمر بن سلمة قال :

« تكلم الليث بن سعد فى مسألة ، فقال له رجل: يا أبا الحارث فى كتابك غير هذا؟ قال : فى كتابى أو فى كتبنا ، ما إذا مر بنا هذبناه بعقولنا وألسنتنا » [١] .

وعن أحمد بن صالح ـ وذكر الليث ـ فقال : «إمامٌ قد أوجب الله علينا حقَّه، لم يكن بالبَلَد بعد عمرو بن الحارث مثْلُه» . **وقال سهل بنُ أحمد الواسطي**: سمعت الفلاس يقول: «ليثُ بن سَعد صدوق، سمعت ابنَ مَهْدِىَ يُحَدِّث عن ابن المبارك، عنه» [٢].

قال ابنُ سعد: «استَقلَّ الليثُ بالفتوى، وكان ثقةً، كثيرَ الحديث، سَرِيًا من الرِّجال ، سخيًا، له ضيافة» [٣].

وقال صاحب كتاب تاريخ الثقات :

«الليث بن سعد عبد الرحمن الفهمى أبو الحارث الإمام المصرى، متفق على توثيقه، وأخرج له الجماعة» [٤].

أما صاحب كتاب الجرح والتعديل: فأورد الليث بن سعد، وذكر أهم من روى عنهم وأهم من رووا عنه ، وأنه أثبت المصريين ، ويؤكد كذلك على أنه ثقة، وكثير العلم مستدلاً بأقوال بعض العلماء فيقول:

حدثنا عبد الرحمن قال : سمعت أبا زرعة يقول:

---

(١) الليث بن سعد . د. عبد الحليم محمود (مرجع سابق) ص ٥١ وما بعدها بتصرف .

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ١٥٥ .

(٣) المصدر السابق.

(٤) تاريخ الثقات للإمام الحافظ أحمد عبد الله بن صالح أبى الحسن العجلى، تحقيق د.عبد المعطى قلعجى ط. دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ص ٣٩٩ ، تهذيب التهذيب ٨/ ٤٥٩

سمعت يحيى بن عبد الله ابن بكير يقول: الليث أفقه من مالك ولكن كانت الحظوة لمالك، والليث أتبع للأثر من مالك.

حدثنا عبد الرحمن قال : سمعت أبا زرعة يقول: سمعت ابن بكير يقول: سمعت الليث يقول، قال لى أبو جعفر أمير المومنين: يعجبنى ما رأيت من عقلك وأن يبقى الله -عز وجل- فى الرعية مثلك[١].

وقال يحيى بن مَعين: كان الليث يتساهل فى الشيوخ والسماع، وكان مِنْ أهل المعرفة[٢].

وذكر أبو الوليد الطيالسى أنّ رواية الليث عن بُكير بن الأشَجّ مناولة[٣]. **قال عبد الله بن أحمد :** ذكرتُ هذا لأبى فأنكره. وقال : الليث يقول حدثنى بكير. قد سمع من بكير نحو ثلاثين حديثًا..

قلت : لولا أنَّ النباتى ذكر الليثَ فى تذييله على الكامل لما ذكرتُه؛ لأنه ما هو بدون مالك ولا سفيان ، وما تساهل فيه الليث فهو دليلٌ على الجواز لأنه قدوة[٤].

---

(١) راجع: كتاب الجرح والتعديل للإمام الحافظ الناقد شيخ الإسلام أبى محمد عبد الرحمن بن الإمام الكبير أبى حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمى الحنظلى الرازى المتوفى سنة ٣٢٧ هـ ص ١٧٩ ـ ١٨٠ القسم الثانى من المجلد الثالث ـ الطبعة الأولى ـ طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ط. ب. ت.

(٢) ميزان الاعتدال فى نقد الرجال لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ تحقيق: على محمد البجاوى ، فتحية على البجاوى،ط. دار الفكر العربى ط.ب. ت. المجلد الرابع رقم الليث ٦٩٩٨ وانظر: التاريخ الكبير للبخارى ٧ / ٢٤٦ والتذكرة ١ / ٢٠٧ والتاريخ الصغير ط. دار المعرفة بيروت لبنان. ٢ / ١٩١ .

(٣) المناولة: هى الطريقة الرابعة من طرق نقل الحديث وروايته ، فالطريقة الأولى هى: السماع من الشيخ، والثانية: القراءة على الشيخ، والثالثة : هى الإجازة بأن يقول الشيخ للطالبِ أجزتك رواية كتاب كذا عنى، أما الطريقة الرابعة : فهى المناولة وذلك بأن يناول الشيخُ الطالبَ كتابا سواء كان بالتمليك أو الإعارة ، ويقول له: ارو عنـــى. ويعتبر ذلك صورة من صور الإجازة بل أعلى أنواعها، وهناك صورة أخرى للمناولة وهى أن يجيىء الطالب بكتاب إلى الشيخ فينظر فيه ويفيد أنه أحد مروياته عن بعض شيوخه ثم يجيز له روايته عنه. انظر: دراسات حول السنة ـ دكتور محمد إبراهيم الجيوشى ط. دار الهدى للطباعة سنة ١٩٨٧م ص ١٠٥ ـ ١٠٩ بتصرف .

(٤) ميزان الاعتدال رقم الليث : ٦٩٩٨.

ويقول الإمام أبو سليمان حمد بن محمد الخطابى ما قرره ابن سعد : بأن الليث بن سعد كان ثقة كثير الحديث صحيحه[1] وكان قد استقل بالفتوى فى زمانه[2].

وقبل أن يتوقف القلم نقرر ما قرره العلماء الكبار بأن الليث بن سعد كان ثقة ثبتًا، إمامًا مشهوراً ، وهو من الثقات فى رواية الحديث عن رسول الله ﷺ ، وهو من ثقات الزهرى ومعدود فى الطبقة الثانية منهم- لأنه لم يلازم الزهرى إلا فترة يسيرة ، وإنما لقيه بمكة سنة ثلاث عشرة ومائة فى موسم الحج فأخذ عنه[3].

وقد وثَّق يحيى بن معين الليثَ بن سعد فى الزهرى : فقد ذكره الدارمى فى أصحاب الزهرى ـ وسأل ابن معين عنه ـ فقال : «قلت: فإبراهيم بن سعد أحب إليك أو ليث؟ فقال : كلاهما ثقتان[4]»

وقد احتج كل من البخارى ومسلم بأحاديث الليث بن سعد عن الزهرى، ولم يورده ابن حجر فى مقدمة الفتح فيمن طعن فيهم من رجال البخارى[5].

---

(١) راجع : أعلام الحديث فى شرح صحيح البخارى للإمام أبى سليمان حمد بن محمد الخطابى ٣١٩ ـ ٣٨٨ هـ تحقيق ودراسة الدكتور محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، ط. المملكة العربية السعودية ـ جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامى بمكة المكرمة الجزء الأول ص ١٢٥ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ط. دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٩٠ م جـ ٧ ص ٣٥٨ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ط. دار صادر بيروت. جـ ٧ ص ٥١٧ .

(٣) انظر: شروط الأئمة الخمسة للحازمى ص ٤٨، وشرح العلل لابن رجب ١ / ٣٩٩ ، والمعرفة والتاريخ للفسوى ٢ / ٤٤٣

(٤) الدارمى: تاريخه عن ابن معين رقم ٧

(٥) شرح العلل لابن رجب ٢ / ٤٨٢

وعلى الرغم من أن الامام الليث بن سعد قد وثَّقه جماهير علماء الحديث..إلا أن الدارقطنى قد انتقد بعض الأحاديث التى رواها البخارى من طريق الليث بن سعد عن الزهرى ، فذكرها ابن حجر فى مقدمة الفتح، وأجاب عنها إجابات شافية رجَّح فيها صحة ما رواه الليث عن الزهرى[١].

ونقول بأن نقد الدارقطنى لا يقدح فى حديث الليث عن الزهرى وإنما يدل فقط على أن الليث دون الطبقة الأولى «طبقة الكبار» من أصحاب الزهرى الذين لازموه فترات طويلة ، أما الليث فلم يلازمه إلا مدة يسيرة، ويكفى أن الشيخين قد أوردا أحاديثه بكثرة فى صحيحيهما، وكذلك لم يذكره ابن حجر فى مقدمة الفتح فيمن طعن فيهم من رجال البخارى- كما أوضحنا - كل ذلك يدل على أنه كان ثقة.

والخلاصة:

أن الليث بن سعد ثقة ثبت إمام، وهو من ثقات أصحاب الزهرى ومعدود فى الطبقة الثانية منهم كما ذكر الحازمى، وقد صرح بالتحديث عن بكير بن عبد الله بن الأشج، وعبيد الله بن أبى جعفر ، وخُرِّج حديثه عنهما فى الصحيحين[٢].

وفى النهاية نقول :

بأن الليث بن سعد كان من المحدثين الأعلام الأثبات الثقات ..

---

(١) راجع: هدى السارى لابن حجر ص ٣٥٥ - ٣٦٠ والأحاديث رقم ١٧ - ٣٢ - ٣٣

(٢) الثقات الذين ضعفوا فى بعض شيوخهم (مرجع سابق) ص ٧٨

المطلب الثانى
مكانته العلمية

اشتهر الإمام الليث بن سعد ـ رضى الله عنه ـ بين العلماء، ولمع نجمه بوصفه محدثًا كبيرًا..وقد شهد بمكانته فى الفقه والحديث الحفاظ الأعلام..وآثاره فى الحديث لا تقتصر على الرواية فقط بل شهد له العلماء بمكانته ومعرفته بالدراية كذلك، فضلا عن ثقافته المتنوعة فى شتى العلوم والمعارف..

ويرجع السبب فى ثقافته ونبوغه السريع إلى: البيئة العلمية التى نشأ فيها..فقد كان أبوه محبًا للعلم وأهله، مدركًا أن العلم خير ما يزين الرجل العاقل..فوفر له كل السبل لتحصيل ما يتاح من علوم ذلك الزمان.. فضلا عن ثرائه الواسع الذى ساعده على الترحال لطلب العلم فى مصر وخارجها..فلم يعرف ألم الحاجة طيلة حياته، ولم يمسسه قرح من مطالب الدنيا..وعاش ما عاش متمعًا بكل ما أحله الله من متاع الحياة الدنيا ..

فضلا عن ذلك تلمذته على أعظم شيوخ عصره الذين تخصصوا فى ألوان مختلفة من العلوم والفنون والآداب والمعارف، بالإضافة إلى أنه كان شغوفًا بالعلم، حريصًا عليه حرصا بالغًا، حتى عرف بذلك بين إخوانه وأقرانه، ونال التقدير والتبجيل والاحترام الذى يليق بمثله..وقد جمع أصول العلوم مبكرًا ؛ حتى أهّله علمه أن يزاحم العلماء ويضارعهم وهو فى سن مبكرة..!!

يقول يحيى بن بكير: أخبرنى من سمع الليث بن سعد قوله: «كتبت من علم ابن شهاب علمًا كثيرًا وطلبت ركوب البريد إليه إلى الرصافة فخفت ألا يكون ذلك لله فتركته.. ودخلت على نافع فسألنى : من أين؟ فقلت: مصرى، فقال: من أيهم، فقلت: من قيس.

قال: ابن كم؟ قلت: عشرين سنة، فقال أما لحيتك فلحية ابن أربعين»[1].

---

(١) تهذيب الكمال فى أسماء الرجال جـ ١٥ ص٤٤٢

وروى عن ابن اسحاق أنه قال: «أدركت الناس أيام هشام الخليفة، وكان الليث بن سعد حدث السن، وكان بمصر عبد الله بن أبى جعفر، وجعفر بن ربيعة، ويزيد بن أبى حبيب، وابن هبيرة، وإنهم يعرفون لليث فضله وورعه وحسن إسلامه على حداثة سنه. و قال ابن بكير: لم أر مثله وروى عن أبيه قوله: «ما رأيت أحداً أكمل من الليث بن سعد».

وكان - رضى الله عنه - بطبيعته إذا علم علّم، وإذا لم يعلم سأل عن حاجته من يجد عنده ضالته، يقول الليث: «كنا بمكه سنة ثلاث عشر، وعلى الموسم سليمان بن هشام، وابن شهاب، وعطاء بن أبى رباح، وابن أبى مليكة، وعمر ابن شعيب، وقتادة بن دعامة، وعكرمة بن خالد، وأيوب بن موسى، وإسماعيل بن أمية، فكسفت الشمس بعد العصر، فقاموا قياماً يدعون الله فى المسجد، فسألت أيوب بن موسى ما يمنعهم صلاة رسول الله ﷺ فقال أيوب ابن موسى: نهى عن الصلاة بعد العصر والنهى يقطع الأمر»[1]، وهكذا كان الليث دائم السؤال عما لا يعرفه..

وكان هذا العالم الكبير سباقًا فى كل شيء ..فكما عرف عنه تنافسه فى الخير - حتى لم يضارعه فيه أحد من أهل زمانه - كان فى العلم أكثر سبقًا وحظا..

ويقول: حججت أنا وابن لهيعة، فلما صرت بمكة رأيت نافعًا، فأقعدته فى دكان علاف، فمر بنا ابن لهيعة، فقال من هذا الذى معك، قلت مولى لنا. فلما قدمت مصر قلت : حدثنى نافع ، فوثب ابن لهيعة فقال: يا سبحان الله..

فقلت: ألم تر الأسود معى فى دكان العلاف بمكة؟ فقال لى: نعم، فقلت: ذاك نافع، فحج قابلاً فوجده قد توفى.

وقال: وفد الأعرج يريد الأسكندرية [2] فرآه ابن لهيعة، فأخذه فلم

(١) تهذيب الكمال فى أسماء الرجال جـ ١٥ ص٤٤٢، تهذيب سير أعلام النبلاء جـ ٢ ص٧٤٠

(٢) هى إحدى محافظات مصر والعاصمة الثانية لها .

يزل عنده يحدثه حتى اكترى له سفينة، وأحضره إلى الإسكندريه، فخرج وقعد يحدث هناك، فقال ابن لهيعة : حدثنى الأعرج عن أبى هريرة، فقلت [1]: الأعرج ، متى رأيته؟

قال : إذا أردته هو بالإسكندرية، فخرج الليث إلى الإسكندرية فوجده قد مات.!!

وهكذا أهلته طبيعته الدؤوبة على البحث والدرس أن يجلس مكان ابن شهاب الزهرى بعد رحيله فى حلقته، يدرِّس فيها مما أفاء الله عليه دون منازع ولا ممانع..

وقيل لليث بن سعد : أمتع الله بك إنا نسمع منك الحديث ليس فى كتبك، قال: أو كلُّ ما فى صدرى فى كتبى؟!

لو كتبت ما فى صدرى ما وسعه هذا المركب[2].

وتكلم الليث بن سعد فى مسألة، فقال له رجل: يا أبا الحارث فى كتابك غير هذا.

قال: ما مر بنا هذبناه بعقولنا وألسنتنا [3].

قال بكْر بنُ مُضر: "قَدمَ علينا كتابُ مروانَ بن محمد إلى حَوْثَرَة [4] والى مصر: إنى قد بعثتُ إليكمَ أعرابيًا بدويًا فصيحًا فَأجْمَعُوا له رجلاً يُسدِّده فى القضاء ، ويُصوبُّه فى المنطق، فأجمع رأىُ النَّاس على الليث بن سعد ، وفى الناس معلماه: يَزيد بنُ أبى حَبيب، وعمرو بنُ الحارث[5].

ومجالس الإمام الليث بن سعد خير شاهد على مكانته العلمية المتميزة بين علماء عصره.

---

(١) أى الليث . (٢) تاريخ بغداد جـ ١٣ ص ٩

(٣) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب للمؤرخ الفقيه الأديب أبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى المتوفى سنة ١٠٨٩ - تحقيق لجنة إحياء التراث العربى جـ ١ ص ٢٨٥ - ٢٨٦ ب ـ ت.

(٤) هو: حوثرة بن سهيل أخو عجلان بن سهيل الباهلى، كان بدويًا قحًا ، فصيح اللسان، صاحب رأى وتدبير وقوة وخبرة بالحروب ، ولى مصر سنة ١٢٨ هـ لمروان بن محمد، واستمر إلى سنة إحدى وثلاثين ومئة، ثم عزله مروان ، وبعثه إلى العراق لقتال الخراسانية دعاة بنى العباس ، فقتل هناك سنة ١٣٢هـ. راجع : «النجوم الزاهرة» ١/ ٣٠٥

(٥) تاريخ الإسلام ص ٣١٢ ، سير أعلام النبلاء جـ ٨ ص ١٥٨ ـ ١٥٩ بتصرف.

المطلب الثالث

مناقب الليث

ومناقب الإمام الليث بن سعد كثيرة، نقطف من بساتينها بعض الزهرات:

يقول الإمام شمس الدين محمد الذهبي: «مناقب الليث عديدة وهو إمام حجة كثير التصانيف[١]، بين أبي العباس بن الشحنة، وبينه ستة أنفس، وهذا غاية العلو» [٢].

ومن مناقبه ما قاله أحمد بنُ صالح: أعضلت الرشيدَ مسألةٌ «فجمع لها» فقهاء الأرض ـ فلم يستطع أحد حلها ـ حتى أشخصَ الليثَ، فأخرجَه منها[٣].

ومن جميل مناقبه ما قاله ابن كثير:

«بعث إليه مالك يستهديه شيئًا من العصفر لأجل جهاز ابنته، فبعث إليه بثلاثين حملاً، فاستعمل منه مالك حاجته، وباع منه بخمسمائة دينار، وبقيت عنده منه بقية. وحج مرة فأهدى له مالك طبقًا فيه رطب، فرد الطبق وفيه ألف دينار.

وكان يهب الرجل من أصحابه الألف دينار وما يقارب ذلك، وكان يخرج إلى الأسكندرية في البحر هو وأصحابه في مركب، ومطبخه في مركب، ومناقبه كثيرة جدًا» [٤].

روى عبد الملك[٥] بن شُعيب عن أبيه، قال: قيل لِلَّيث: أمتعَ الله بك، إنّا نسمع منك الحديثَ ليسَ في كُتُبِكَ، فقال: أوكُلُّ ما في صدري في كتبي؟ لو كتبتُ ما في صدري، ما وَسِعه هذا المركبُ. رواها الحافظ ابن

---

(١) هكذا وردت العبارة على لسان الإمام الذهبي ولم يذكر هذه التصانيف ولا واحداً منها..!!

(٢) تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٢٢٦ (٣) سير أعلام النبلاء جـ ٨ ص١٥٩.

(٤) البداية والنهاية ٩/ ٥٩٢

(٥) هو حفيد الليث بن سعد، وهو عبد الملك بن شُعَيب بن الليث بن سعد المصري «ت سنة ٢٤٨هـ/ ٨٦٢ م»، سمع أباه، وابنَ وهب، وكان أحد الفقهاء.

يونس بقوله حدثنا أحمدُ بنُ محمد بنِ الحارث، حدثنا محمد بنُ عبد الملك، عن أبيه[١].

ومن جميل مناقبه.. أن بعض أصحاب الليث وقفوا على باب الإمام مالك بن أنس - رضى الله عنه - فامتنع عليهم.

فقالوا : ليس يشبه هذا صاحبنا.

فلما سمع مالك كلامهم أمر بإدخالهم عليه، وقال لهم: من صاحبكم؟

قالوا: الليث بن سعد.

قال : تُشبهونى برجل كتبتُ إليه فى قليل عُصْفر نصبغ به ثيابَ صبياننا فأنفذ إلينا منه ما صبغنا به ثيابَ صبياننا أو ثيابَ جيراننا وبعنا الفضل بألف دينار[٢].

يقول أبو نعيم : حدَّثنا إبراهيم بن محمد بن يحيى، حدثنا محمد بن إسحق «هو السراج» سمعت قتيبة بن سعيد يقول: «قفلنا مع الليث من الإسكندرية وكان معه ثلاث سفائن، سفينة فيها مطبخه، وسفينة فيها عياله [٣]، وسفينة فيها أضيافه». وبه [٤]إلى أبى نعيم ، حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا إسماعيل بن عبد الله، حدثنا عبد الله بن صالح قال: «صحبتُ الليث عشرين سنة فكان لا يتغذى وحده، ولا يتعشى وحده، إلا مع الناس»[٥].

ومن عظيم مناقبه ما قاله أبو حاتم بن حبان: كان الليث لا يتردد إليه أحد إلا أدخله فى جملة عياله مادام يتردد إليه، ثم إنْ أراد الخروج زوده بالبلغة - ما يتبلغ بها الإنسان فى سفره - إلى وطنه[٦].

---

(١) سير أعلام النبلاء جـ ٨ ص ١٥٣ .

(٢) جاء في البداية والنهاية أن الإمام مالك باع من العصفر بخمسمائة دينار وبقيت بقية، وجاء في المصادر الأخرى أنه باع الفضلة بألف دينار، وأرى أنه لا تعارض بين هذه الروايات ، فيجوز أنه باع الفضلة من العصفر على مرتين، المرة الأولى بخمسمائة والأخرى بخمسمائة فيكون مجموع ما باعه من العصفر المتبقى ألف دينار، ومن ثم فلا تعارض .

(٣) بحثنا كثيراً فى المصادر عن عياله فلم نستدل إلا عن ابنه شعيبا، وحفيده عبد الملك.

(٤) أعنى بالسند . (٥) الرحمة الغيثية ، لابن حجر، ص ٢١ - ٢٣ بتصرف.

(٦) المرجع السابق

وانظر إلى منقبة جليلة تدل على صدق النية والإخلاص لله - تعالى - فى كل شىء، قال الحارث بن مسكين : «اشترى قوم من الليث بعض ثماره بمال، ثم إنهم ندموا، فاستقالوه، فأقالهم ، ثم استدعاهم فأعطى لهم خمسين ديناراً، وقال: إنهم كانوا أمّلوا أملاً فأحببتُ أن أعوِّضهم»[٢].

ومن أعظم مناقبه أنه ـ رحمه الله ـ ما وجبت عليه زكاة قط !! لأنه كان لا يحول عليه الحول إلا وهو متصدق بكل ما عنده، على الرغم من أن دخله فى كل سنة كان يربو على ثمانين ألف دينار ..

المطلب الرابع
ثناء العلماء عليه

لما تصفحنا كتب السير والرجال والطبقات والجرح والتعديل والتاريخ، وجدنا أن الامام الليث بن سعد قد حظى بالثناء الجميل المنقطع النظير، والإكبار العظيم من شيوخه ومن تلاميذه ومن معاصريه وممن أتوا من بعده إلى يومنا هذا..

لقد أحبه ربه -عزَّوجلَّ- الذى قذف حبه فى قلب كل من رآه أو سمع به أو قرأ عنه.

ولقد بلغ الليث هذه المنزلة بحلمه وعلمه وجوده وكرمه وزهده وتقواه، وإخلاصه لله تعالى، عاش عمره يعطى السائل أكثر مما يسأل، ويرى أن صاحب المال مستخلف فيه؛ لينفقه فيما يرضى الله ورسوله، وفيما يسعد الناس، فعلى الرغم من ثرائه العريض.فما وجبت عليه زكاة قط..فما حال عليه الحول إلا وقد أنفق كل ماعنده..!!

عاش حياة مترفة بما أحل الله له، وكان يقتنى أغلى الكتب وأندرها،

---

(١) الرحمة الغيثية، ص ٢١، ٢٣، بتصرف .

مهمـا يكلفه الحصول عليهـا من مال أو عناء.. حتى أصبح مـوسوعة من المعارف فى علوم الحديث والشريعة والأدب واللغة والفلسفة ...الخ

وهنا أتوقف لأنقل للقـارىء شـهادات العلمـاء الخـالدة التى سطروها فى شأن إمامنا الليث بن سعد ـ رضى الله عنه .

يقول صاحب كتاب تاريخ بغداد :

قال ابنُ بـكَير: كـان الليثُ فقـيهَ البلد، عـربيَّ اللسـان، يُحْسِنُ القـرآن والنحو، ويحفظُ الحديثَ والشعرَ، حـسن المذاكرة . فما زال يذكر خصالاً جميلةً، ويَعْقد بيده، حتى عقد عشرة ، لم أرَ مثلَه[1].

قـال أحمَـد الأبَّار: حدثـنا أبو طاهر، عن ابن وَهْب، قال: لولا مـالكٌ والليثُ لهلكتُ، كُنتُ أظنُّ كلَّ ما جاء عن النبىَّ ﷺ يُفعل به[2].

وقـال عبـد العزيز بنُ مـحمـد: «رأيتُ الليث عند ربيـعَة يُناظرهم فى المسائل، وقد فَرْفَرَ أهْلَ الحَلقة»[3].

وقال أبو إسحـاق بنُ يونس الهَرَوى: حدثنا الدَّارمىُّ، حـدثنا يحيى بنُ بُكَير، حـدثنا شُرَحبيل بنُ جـميل قال: أدركتُ الناس أيامَ هشام بـن عبد الملك، وكان الـليث بنُ سعد حَـدَثَ السنِّ، وكان بمصـر عُـبـيدُ الله بنُ أبى حَبـيب، وابن هُبَيْرة، وإنهم يَـعْرِفُون للَّيْث فـضْله وورعَه وحُسْنَ إسـلامه على حَدَاثَة سنه، ثم قال ابنُ بكيرَ: لم أرَ مثْلَ اللَّيث ! !

وروى عَبـدُ الملك بنُ يحـيى بن بُكَيرَ، عن أبيـه، قال: مـا رأيتُ أحداً أكملَ من الليث[4].

وقـالَ أحـمـد بن حنبل: «مـافى هؤلاء المصـريين أثـبت من الليث، لا عمرو بن الحارث ولا غيره ما أصح حديثه ! ! وجعل يثنى عليه».

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٦، الوفيات ٤/ ١٣٠

(٢) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى، جـ٨ ص١٤٨ .

(٣) «تاريخ بغداد» ١٣/ ٥، وفرفـر أهل الحلقة : أى كسرهم وغلبهم بحجـته، وإذا جعلت «أهل» فاعل لفرفر، فيكون المعنى: إن أهل الحلقة استـبد بهم الطيش والخفة لقوة عارضة الليث، وبراعة استدلاله.

(٤) سير أعلام النبلاء ص١٤٦

وقال الذهبي: «كان الليث ـ رحمه الله ـ فقيه مصر ومحدثها ومحتشمها ورئيسها، ومن يفتخر بوجوده الأقليم، بحيث إن متولى مصر وقاضيها وناظرها من تحت أوامره، ويرجعون إلى رأيه ومشورته، ولقد أراده الخليفة المنصور أن ينوب له على الإقليم، فاستعفى من ذلك.!!

وقال أبو يعلى الخليلي: «كان إمام وقته بلا مدافعة».

وقال ابن حبان: «كان الليث من سادات أهل زمانه فقهًا وعلمًا وحفظًا وفضلاً، وكرامة».

وقال النووي: « أجمعوا على جلالته وأمانته وعلو مرتبته في الفقه والحديث»[1].

وقال ابن أبي مريم: «ما رأيت أحداً من خلق الله أفضل من الليث، وما كانت خصلة يتقرب بها إلى الله إلا كانت تلك الخصلة في الليث»[2].

وجاء في البداية والنهاية لابن كثير: أن الإمام الليث بن سعد كان إمامًا للديار المصرية بلا مدافعة، وكان -رحمه الله- جيد الذهن، قال عنه الشافعي: كان الليث أفقه من مالك إلا أنه ضيعه أصحابه[3].

وقال عمرو بن خالد الحراني:

قلت لليث: يا أبا الحارث، بلغني أنك أخذت بركاب الزُهري؟

قال: للعلم، فأمَّا غيرُ ذلك فلا، والله ماأخذتُ بركاب والدي الذي ولدني.

و قال سعيد بن أبي أيوب: «لو أنَّ مالكًا والليث اجتمعا لكان مالك عند الليث أبكم، ولباع الليث مالكًا فيمن يزيد ـ قال: وهو يضرب يده على الأخرى».

وقال الشافعي: «الليث بن سعد أتبع للأثر من مالك بن أنس» [4].

---

(١) عوالي الليث بن سعد (مرجع سابق) ص٤٨ ـ ٤٩

(٢) الرحمة الغيثية ص ٢٦ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ط. دار المعرفة ـ ببيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦م ٩/ ٥٩٢، والعبر في خبر من غبر لمؤرخ الاسلام الحافظ ط: دار الكتب العلمية بيروت ب. ت. ص ٢٠٦ .

(٤) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر جـ ٢١ ص ٢٥٠

وقال عبد العزيز الدَّرَاوَرْدى : لقد رأيتُ الليثَ، وابن ربيعةَ ويحيى بنَ سعيد ليتزحْزحون له زَحزحةً.

وقال سعيدُ الأدم: قال العَلاء بنُ كثير: «الليثُ بنُ سعد سَيِّدُنا وإمامنا وعالمُنا»[١].

وقال ابنُ سَعد: كان الليث قد استقلَّ بالفتوى فى زمانه[٢].

وبما يؤكد هذه المكانة وما كان يتمتع به الليث من منزلة رفيعة ما قاله مؤرخ الإسلام الإمام الذهبى: «**كان الليث بن سعد إماما ثقة حجة رفيعا واسع العلم سخيا جوادا محتشما**» ونقل قول الشافعى السالف : **الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به وكان أتبع للأثر من مالك**».

وكان الإمام الشافعى- رضى الله عنه - يتأسف على فوات لقيه[٣].

وإذا كان إماما كبيراً كالشافعى يتأسف على فوات لقيه، فحرى بنا أن نقتفى أثره فى قوله وفعله ونتعلم منه ونحيى ذكراه ..

***

(١) سير أعلام النبلاء جـ٨ ص١٦١

(٢) المصدر السابق.

(٣) تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام للحافظ الذهبى ص ٣٠٤

المبحث السادس
تلاميذه وأثره فيهم

مقدمة:

لم يأل الليث جهداً في سبيل تعليم تلاميذه أو مريديه ، ولم يتكاسل عنهم يومًا من الأيام، فظل طيلة حياته باذلاً العلم والمال ابتغاء مرضاة الله ، وما كان له أن يتقاعس عن هذا الواجب وهو الإمام الذى علم فعمل، فكان له فى كل يوم أربعة مجالس يجلس فيها ، فأما أولها :فيجلس فيه لنائبة السلطان فى حوائجه ونوائبه، وكان -رحمه الله- يغشاه[1] السلطان، فإذا أنكر من القاضى أمراً ، أو من السلطان كتب إلى أمير المؤمنين فيأتيه العزل . .!!

وأما المجلس الثانى: فكان يجلس فيه لأصحاب الحديث . وكان يقول: نجحوا أصحاب الحوانيت فإن قلوبهم معلقة بأسواقهم .

وأما المجلس الثالث: فكان يجلس فيه للمسائل ، يغشاه الناس فيسألونه فى أمور دينهم ، فيفتيهم.

وأما المجلس الرابع: فكان يجلس فيه لقضاء حوائج الناس، لا يسأله أحد من الناس فيرده كبرت حاجته أم صغرت[2].

ولا شك أن تنظيمه وترتيبه لهذه المجالس على هذا النحو لَتَدُلُّ على أنه - بالإضافة إلى كونه إمام عصره - كان رجلا موسوعيا يجمع بين العلم والإدارة والمكانة الرفيعة عند الناس، وعند الخلفاء، وهذه المكانة لم يصل إليها بالزلفى؛ ولكنه وصل إليها بعلمه وحلمه ، وجوده وكرمه، وإخلاصه لله رب العالمين .

---

(١) يغشاه السلطان: أى يأتيه ويحمله على القدوم إليه بمجلسه، راجع : المعجم الوسيط جـ٢ ص ٦٧٧ ـ ٦٧٨.

(٢) تاريخ بغداد (مرجع سابق) جـ١٣ ص ١٩ .

ومن هنا وفد إليه طلاب العلم لينهلوا من بحر علمه الفياض ويرووا عنه أحاديث المصطفى ﷺ ، فنشأ منهم جيل أخذوا على عاتقهم خدمة الحديث النبوى الشريف فتتلمذوا على يدى الليث بن سعد وحدثوا ورووا عنه.

وقد روى عنه خلق كثير، منهم : محمد بن عجلان [1] وهشام بن سعد [2] وهما من شيوخه، وقيس بن الربيع وعطاف بن خالد [3] وابن لهيعة [4]، وهشيم بن بشير [5] وهم من أقرانه . وعبد الله بن وهب بن مسلم القرشى [6]

(١) راجع : سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى جـ ٨ ـ ص ١٣٨.

(٢) تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر جـ ٨ ص ٤٦٠ ـ ٤٦١ .

(٣) تهذيب التهذيب جـ ٨ ص ٤٦٠ وما بعدها.

(٤) هو عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن فرعان ـ رضى الله عنه ـ الإمام الحافظ عالم الديار المصرية وقاضيها ومحدثها أبو عبد الرحمن الحضرمى المصرى ولد سنة سبع وتسعين وتوفى سنة مائة وأربع وسبعين ودفن بالقرافة من جبانة مصر، وقبره معروف بها يقصد للزيارة ، وكان -رحمه الله- من الكتّابين للحديث والجماعين للعلم والرحّالين فيه ، وكان يكنى أبا خريطة وذلك لأنه كانت له خريطة معلقة فى عنقه فكان يدور بمصر، فكلما قدم قوم كان يدور عليهم، وكان إذا رأى شيخا سأله: من لقيت، وعمن كتبت. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة، راجع: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لابن تغرى بردى ط. وزارة الثقافة والإرشاد القومى بمصر جـ ٢ ص ٧٧ ـ ٧٨.

(٥) هو هشيم بن أبى خازم واسمه كثير بن القاسم بن دينار أبو معاوية السلمى أصله من بلخ، سمع حميدًا الطويل وأبا اسحاق الشيبانى وإسماعيل بن أبى خالد وآخرين، وروى عنه عمرو بن عون وعمرو بن زرارة وعمرو بن محمد الناقد وسعيد بن سليمان وعلى ابن المدينى وقتيبة .. وآخرون. ولد سنة أربع ومائة وتوفى يوم الأربعاء فى شهر شعبان سنة ١٨٣ هـ وهو ابن تسع وسبعين .. قال عنه ابن سعد: كان ثقة، كثير الحديث، ثبتا، يدلس كثيراً . وقال العجلى: هشيم واسطى ثقة وكان يدلس ...راجع: تهذيب التهذيب: ١١/ ٥٩ ، مشاهير علماء الأمصار: ١٧٧، تقريب التهذيب ٢/ ٣٢، رجال صحيح البخارى للكلاباذى تحقيق: عبد الله الليثى ط. دار المعرفة ـ بيروت سنة ١٩٨٧م.جـ٢ ص ٧٨٢ ـ ٧٨٣ .

(٦) وهو من الطبقة الصغرى من الأتباع، راجع: حلية الأولياء للحافظ أبى نعيم جـ ٧ ص ٣٢٤.

ويحيى بن بكير [١] وعبد الله بن المبارك [٢] وقتيبة بن سعيد [٣] وعمرو بن خالد [٤] وعبد الله بن صالح [٥] وسعيد ابن عفير [٦] وسعيد بن أبى مريم [٧] وأبو الجهم علاء بن موسى [٨] وآدم بن أبى إياس [٩] وشعيب بن الليث بن

---

(١) هو يحيى بن عبد الله بن بكير القرشى المخزومى، أبو زكريا، قد ينسب إلى جده. قال النسائى: ضعيف. قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال الذهبى فى تذكرة الحفاظ رقم «٤٢٥» قد علم تعنت أبى حاتم فى الرجال، وإلا فالشيخان قد احتجا به ا. هـ . قال ابن عدى: كان جار الليث بن سعد، وهو أثبت الناس فيه . مات سنة إحدى وثلاثين ومائتين...راجع : أعلام الحديث فى شرح صحيح البخارى ص ١٢٥.

(٢) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى المروزى، ويكنى بأبى عبد الرحمن، وهو من الطبقة الوسطى من الأتباع.

(٣) هو شيخ الإسلام المحدث الإمام الثقة الجوال راوية الإسلام أبو رجاء قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفى مولاهم البلخى البغلانى ـ من أهل قرية بغلان ـ من موالى الحجاج بن يوسف ، روى الكثير عن مالك والليث وغيرهما، وروى عنه أصحاب الكتب الستة وأبو العباس السراج وخلق كثير. المتوفى سنة ٢٤٠هـ ، راجع : سير أعلام النبلاء ١١/ ١٢، والعبر ١/ ٢٣٣، وتهذيب التهذيب ٣/ ١٥٧ ـ ١٥٨.

(٤) هو عمرو بن خالد بن فروخ أبو الحسن الحرانى الجزرى.قال أبو حاتم: صدوق ، وقال العجلى والدار قطنى: ثقة ، قال البخارى : مات بمصر سنة ٢٢٩هـ راجع: أعلام الحديث فى شرح صحيح البخارى، للخطابى ط. مكة المكرمة ص ١٤٨.

(٥) هو عبد الله بن صالح الجهنى المصرى الحافظ، كاتب الليث بن سعد. قال ابن معين:أقل أحوال أبى صالح أنه قرأ هذه الكتب على الليث فأجازها له. وقال ابن ناصر الدين: روى عنه البخارى فى الصحيح وله مناكير. وقال الحافظ فى التقريب: صدوق كثير الغلط ثبت فى كتابه وكانت فيه غفلة.
توفى سنة ٣٢٣هـ وفى الشذرات ٢٢٣هـ. راجع: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٨٨ ، التقريب ص ١٧٧، وشذرات الذهب ٢/ ٥١.

(٦) هو سعيد بن كثير بن عفير بن مسلم أبو عثمان الأنصارى المصرى ولد سنة ١٤٧هـ ، سمع الليث بن سعد ويعقوب بن عبد الرحمن وابن وهب، وروى عنه البخارى فى العلم والصلاة ومواضع أخرى.. توفى سنة ٢٢٦ هـ ، وثقه ابن معين، قال أبو حاتم: صدوق وقال النسائى : صالح ، وقال ابن حجر: قد رد ابن عدى على السعدى فى تضعيفه ...راجع : الجرح والتعديل جـ ٤ ص ٥٦، رجال صحيح البخارى ١/ ٢٩١.

(٧) راجع: تهذيب التهذيب جـ ٨ ص ٤٦٠، وهو سعيد بن أبى مريم الجمحى، وهو من كبار تابعى الأتباع.

(٨) العلاء بن موسى بن عطية أبو الجهم الباهلى، سمع الليث بن سعد وآخرين، روى عنه عبد الله بن محمد البغوى وآخرون. وكان صدوقًا ، توفى سنة ٢٢٨ هـ تاريخ بغداد ١٢/ ٢٤٠.

(٩) هو آدم بن أبى إياس العسقلانى الخرسانى عاش فى بغداد وتوفى فى عبدسا، وهو ثقة من الطبقة الصغرى من الأتباع. راجع : تهذيب التهذيب جـ ٨ ص ٢٦٠.

سعد وعلى بن نصر الجهضمى الكبير، وأحمد بن عبد الله بن يونس التميمى اليربوعى، وإسحاق بن عيسى بن نجيح البغدادى، وإسرائيل بن يونس بن أبى إسحاق السبيعى الهمدانى، وإسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدى، و حجاج بن محمد المصيصى، وحجين بن المثنى اليمامى، والحسن بن سوار البغوى المروزى، وحماد بن خالد القرشى، وداود بن منصور النسائى الثغرى، و زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعى الدمشقى، وسعيد بن سليمان بن كنانة الضبى الواسطى، وسعيد بن شرحبيل الكندى العفيفى، وسعيد بن يزيد الحميرى القتبانى، وسفيان بن سعيد بن مسروق الثورى ، وسليمان بن داود بن الجارود الطيالسى، وشبابة بن سوار الفزارى، وشريك بن عبد الله بن أبى شريك النخعى، وشعيب بن حرب المدائنى البغدادى، وشيبان بن عبد الرحمن البصرى، وعبد الرحمن بن غزوان الخزاعى أو الضبى، و عبد الرحمن بن محمد بن زياد المحاربى، و عبد العزيز بن عبد الله بن يحيى الأويسى القرشى، وعبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبى الحارثى، وعبد الله بن نافع بن أبى نافع الصائغ المخزومى، وعبد الله بن يحيى المعافرى البرلسى، وعبد الله بن يزيد العدوى، وعبد الله بن يوسف التنيسى الكلاعى، وعثمان بن سعيد بن دينار القرشى الحمصى، وعثمان بن صلاح بن صفوان السهمى ، و على ابن عياش بن مسلم الألهانى، وعلى بن غراب، وحيان بن على العنزى، وعمرو بن الربيع بن طارق بن قرة الهلالى، والقاسم بن كثير بن النعمان الإسكندرانى، و محمد بن الحارث بن راشد القرشى الأموى، و محمد ابن رمح بن المهاجر التجيبى، ومروان بن محمد بن حسان الأسدى الطاطرى، ومظفر بن مدرك الخراسانى، ومعتمر بن سليمان بن طرخان التيمى، وموسى بن داود الضبى الخلقانى، وهاشم بن القاسم بن مسلم الليثى الخراسانى، وهشام بن عبد الملك الطيالسى الباهلى، ويحيى بن إسحاق البجلى السيلحينى، ويحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميمى،

ويحيى بن يحيى بن بكير التميمى الحنظلى، ويزيد بن خالد بن يزيد بن موهب الهمدانى الرملى، ويعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهرى المدنى، ويونس ابن عبيد بن دينار العبدى، ويونس بن محمد بن مسلم، ويحيى بن بسطام بن حريث الزهرانى، وعبيد بن أبى قرة البغدادى، وعيسى بن حماد بن زغبة وهو آخر من حدث عنه من الثقات، وحدث عنه أخرون.[1]

وقد حرص تلاميذه على مجالسه ودروسه والأخذ عنه، فتأثروا به ونهجوا نهجه وساروا على دربه فى شتى النواحى .. وعلى الرغم من ذلك لم يدونوا علمه كما سبق .

***

(١) راجع ذلك مفصلاً فى: سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى جـ٨ ص١٣٨ وما بعدها بتصرف، وعوالى الليث بن سعد ص٤٩ وما بعدها، تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر جـ ٨ ص٤٦٠ وما بعدها بتصرف، طبقات علماء الحديث جـ١ ص٣٣٢، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى جـ١٣ ص٣ وحلية الأولياء للحافظ أبى نعيم الأصبهانى وما بعدها بتصرف ط. دار الكتاب العربى سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م جـ٧ ص٣٢٤.

المبحث السابع
وفاة الليث

وبعد حياة حافلة بالحلم والعلم، والجود والكرم، والتقوى والورع، والحياء، والجهاد، توفى إمام أهل الكنانة ،الذي ظل طيلة حياته باذلاً العلم والمال، لايرجو إلا الله عز وجل، والفوز برضاه، عازفًا عن الدنيا، راغبا فيما عند الله حتى أذن الله أن يتوفاه إليه بعد أن مرض أياما قلائل لم يُرهق خلالها بمرضه أحدًا..ثم جاءه أمر الله، فتوفى بعد أن ملأ الدنيا علما وخيرًا وفضلا ونبلاً [1].

واختلف المؤرخون في تاريخ وفاته ـ كما اختلفوا في تاريخ ميلاده ـ فذكر ابن سعد في الطبقات أن وفاته كانت سنة ١٦٥هـ[2].

بينما يرى جمهور المؤرخين وعلى رأسهم الخطيب البغدادي، وأبو عمرو محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي [3] أنه توفى فى سنة خمس وسبعين ومائة [4].

وكانت وفاته في خلافة الرشيد[5] ويحدد أبو عمر محمد الكندي

---

(١) أئمة الفقه التسعة «مرجع سابق» ص ١١٩ بتصرف.

(٢) مجلة كنوز الفرقان ،مجلة علمية دينية ثقافية فى علوم القرآن، يصدرها الاتحاد العام لجماعة القراء بمصر، العددان الخامس والسادس جماد أول وجماد ثانى ١٣٧٢ هـ السنة الخامسة ص٣٥.

(٣) الليث بن سعد إمام أهل مصر (مرجع سابق) ص ٤٣.

(٤) شذرات الذهب لابن العماد ط دار الأوقاف الجديدة ب.ت ١/ ٢٨٥، وعوالى الليث ابن سعد لقاسم بن قطلوبغا تحقيق عبد الرحيم بكر الموصلى القيمى، ط دار الوفاء الطبقة الأولى سنة ١٩٨٧ ص ٥٠، وسير أعلام النبلاء جـ ٨ ص ١٣٦، والرحمة الغيثية بالترجمة الليثية لابن حجر جـ٢ ص ٣٣٥، كنوز الفرقان (مرجع سابق) ص٣٥ ، والطبقات الكبرى لابن سعد (مرجع سابق) جـ٧ ص ٣٥٨ ، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم (مرجع سابق) ص ١٦٩، وطبقات علماء الحديث جـ١ ص ٣٣٣، والكنى والأسماء للإمام مسلم جـ١ ص٢٣٥، أعلام الحديث فى شرح البخارى للخطابى، تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود جـ١ ص ١٢٥، تهذيب التهذيب جـ ٨ ص ٤٥٦٩.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٧ ص ١٥٧.

أكثر[1] فيقول: وكان ذلك يوم الجمعة [2] لأربع عشرة ليلة بقين من شعبان[3] «ليلة النصف من شعبان» وله إحدى وثمانون سنة [4] وصلى عليه موسى بن عيسي الهاشمي [5] ودفن فى مقابر الصدفيين بالقرافة الصغرى بعد الجمعه[6] وشيعته جموع عديدة ـ ما اجتمع مثلها من قبل[7].

لقد كان حادث موته خبرًا فاجعًا للنفوس القاصية والدانية، وأحدث خروجه من الدنيا فراغًا كبيرًا تأثر به أهل مصر[8] الذين بكوه أحرّ بكاء..[9] بعد أن ظل يعلم الناس ويرعى أهل العلم، ويتصدق على ذوي الحاجات، ويسدد الدَّين عمن يثقله الدَّين ويعمر البيوت، ويحسن للناس كما أحسن الله إليه، ويعين الآخرين..ولم ينقطع يوما عن حلقته في مسجد عمرو، أو في بيته، حتى بلغ بضعًا وثمانين سنة، وهو محتفظ بقوة البدن وصحوة الفكر..

أما عن وصف جنازته فأنقل للقارئ ما قاله صاحب كتاب تاريخ الإسلام:

قال خالد بن عبد السلام الصدفى: شهدت جنازة الليث مع والدي، فما رأيت جنازة قطّ أعظم منها!!.

---

(١) الليث بن سعد إمام أهل مصر ص ٤٣، العبر فى خبر من غبر للإمام الذهبى ط دار الكتب العلمية بيروت .جـ١ ص ٢٠٦.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر جـ٢١ ص٢٥٥، وصفة الصفوة لابن الجوزى ط دار ابن خلدون الطبقة الأولى ١٩٩٤م .جـ٢ ص٤٧٣.

(٣) البخارى فى الكبير ص ٢٤٢ جـ٧، والترجمة الليثية جـ٢٢٦.

(٤) تذكرة الحفاظ للذهبى جـ١ ص٢٢٦.

(٥) كتاب الثقات لابن حبان الطبعة الأولى ١٩٨١ بالهند ص ٣٦٠، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكرجـ٢١ ص ٢٥٥، والليث بن سعد « مرجع سابق» ص ٤٣.

(٦) أئمة الفقه التسعة ص ١١٩، والإمام المصرى الليث بن سعد . د. عبد الله شحاتة ص ٦٥.

(٧) صفة الصفوة جـ٢ ص٤٧٣.

(٨) وفيات الأعيان ص ١٣٢ .

(٩) أئمة الفقه التسعة ص ١٢٠.

ورأيت النّاس كلهم عليهم الحزن وهم يُعزّون بعضهم بعضًا ويبكون، فقلت: يا أبي كـأنّ كل واحد من النّاس صاحب هذه الجنازة.!! فـقال: يا بني لا ترى مثله أبدًا[1].

وعن وصف قبره يقول صاحب كتاب تاريخ المساجد الأثرية:

وكان قبره كـالمصطبة مكتوبًا عليه «الإمام الفقـيد الزاهد العالم الليث ابن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث المصري مفتي أهل مصر[2].

وبعـد سنة ٦٤٠ هـ ١٢٤٢م أقام أبو زيد المصري كـبيـر التجـار بناءً على القـبر، واسـتمـر أهل الخيـر يتبـارون في زيادة هذا البناء.. وفي سنة ٧٨٠ هـ ١٣٧٨م جـدد قـبتـه الحـاج سـيف الدين المقـدم،[3] وفي سنة ٨٣٢هـ ١٤٢٩م أنشأ الأمير يشبك بن مهدي - أحد أمراء الملك الأشرف قايتـباي - منارة في الطرف القبلي الغـربي للمسجد الحـالي وهي منعزلة عنه ، وفي سنة ٩١١ هـ ١٥٠٥م جـدد المسـجدَ السلطانُ الغـوري، وفي شهر ذي القعدة سنة ١١٣٨ هـ ١٧٢٦م جدد المسجد والقبة الأمير موسي جوربجى مرزا مستحفظان، ومن أثر عـمارته القبة والمقصورة الموجودتان حتى الآن ، وكـذلك أجرى به عمارة الأمـير مصطفى أغـا قور دزلي سنة ١٢٧٧هـ ١٨٦٠م ، وبقى من عمارته لوح يقرأ فيه:

هذا مـقـام ليـث ضـاري عني وليًا من عـبـيـد البـاري

وإذا ذهبت إلي مـسجـد الإمـام الليث تهـبط بضع درجات، وأول مـا يقابلك باب حديد ثبتت عليه لوحتان مؤرختان سنة ١١٩٤-١٢٠١تقرأ على السفلى منها:

إذا رمت المكارم مـــــن كـــــريـم فيمم من بني للفضل بيتا

---

(١) تاريخ الإسلام ص ٣١٥ ، وفيات الأعيان ٤/ ١٣٢.

(٢) تاريخ المساجد الأثرية لحسن عبد الوهاب ، مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٦، والليث بن سعد إمام أهل مصر « مرجع سابق »ص ٤٣.

(٣) المقريزى جـ٢ ص ٤٦٣.

فذاك الليث من يحمي حماه ويكرم جاره حيا وميتا

ويلي باب المسجد باب آخر يجاوره مقصورة خشبية بها قبر للشيخ محمد الليثى - رضى الله عنه.

أما قبة الإمام الليث فهي على يمين الواقف في المسجد ، وترجع عمارتها إلى سنة ٦٤٠ هـ ١٢٤٢م، وتحت قبة الليث تركية رخامية كتب على دائرها آية الكرسي وحولها مقصورة خشبية مطعمة بالصدف، كتب على عمارة التى أجراها الأمير موسى جوربجي في٢٥ من ذى القعدة سنة ١١٣٨هـ وأمام قبة الليث قبة أخرى صغيرة فيها قبر محمد بن هارون الصدفى والإمام المحدث شعيب بن الإمام الليث بن سعد ومكتوب على بابها:

« هذا مقام سيدنا ومولانا الشيخ شعيب بن الإمام الليث بن سعد نفعنا الله بيركاتهما»، أما باقى المسجد بمحرابه ومنبره فحديث يرجع إلى عمارة المرحوم إسماعيل بك ابن المرحوم راتب باشا الكبير سنة ١٢٩٤هـ ١٨٧٧م وهو الذى جدد الإيوان والقبة أيضا.

ومنذ سنة ٧٠٠ هـ -١٣٠٠م أو بعدها بقليل اعتاد القراء الاجتماع كل يوم جمعة بعد الظهر بهذا المسجد لتلاوة القرآن تلاوة مجودة، يختمونه فيها عند السحر، وظلت هذه العادة إلى ما قبل أكثر من خمسة وعشرين عامًا، أما الآن فيجتمع كبار القراء بالمسجد كل يوم جمعة من قبيل العصر إلى قبيل الغروب ويتناوبون قراءة القرآن ، ويأتى كثير من الصالحين لزيارة المسجد يوم الجمعة والاستماع لقراءة القرآن فيه، والتبرك بزيارة أولياء الله[1].

رحم الله الإمام الليث بن سعد رحمة واسعة، وأسكنه فراديس الجنان، وجزاه الله خير الجزاء على ما قدمه للعلم والعلماء والناس أجمعين..

---

(١) الليث بن سعد (مرجع سابق) ص ٤٤ - ٤٥ ،وفيات الأعيان ٤/ ١٣٢، البداية والنهاية جـ ١٠ ص ١٧٩، والمحدثون فى مصر والأزهر ودورهم فى إحياء السنة النبوية الشريفة للدكتور أحمد عمر هاشم ، الناشر: مكتبة غريب بالقاهرة.ص ٨٠ - ٨١، بتصرف.

الفصل الثالث مصنفاته ومختارات من آثاره

مقدمة: لقد سطر تاريخ الفقه الإسلامى مذاهب أربعة، كان لها مكان الصدارة بين المذاهب الإسلامية على كثرتها وتنوعها، وهذه المذاهب هى : (الحنفى، والمالكى، والشافعى، والحنبلى) فقد لاقت من الرواج بين علماء الأمة وعامتها ما لم تلقه مذاهب أخرى، حيث كانت وما زالت هى العُمَد الأساسية فى الفقه الإسلامى ..ويلى تلك المذاهب مذاهب أخرى لم يتوافر لها مثل ماتوافر للمذاهب الأربعة، ولا نكاد ندركها إلا شذرًا فى بطون الكتب، وكان من نصيب الإمام الليث ذلكم الفقيه الإمام أن يصبح من أصحاب المذاهب التائهة فى بطون الكتب..!!

والسؤال الذى يفرض نفسه هنا: ما السبب فى ذلك؟

ولعل الإجابة على هذا السؤال تكمن فى النقاط التالية:

أولاً: لم يرد عن الليث بن سعد كتب مكتوبة على لسانه البتة اللهم إلا كتاب التاريخ وكتاب مسائل فى الفقه، الذى أشار إليهما ابن النديم، ولم نعرف عنهم شيئًا، وتلك الرسالة التى بعثها ردًا على رسالة مالك بن أنس، والتى سنوردها فى الصفحات التالية.

ثانيا: لقد تعرض تاريخه للتهميش على حد تعبير دائرة المعارف الإسلامية «ولا تتوافر عن حياة الليث بن سعد العلمية سوى شذرات متناثرة»[1].

ثالثًا : لم يتوفر لليث من التلاميذ النجباء مثل ما توفر لأبى حنيفة، أمثال محمد وأبى يوسف وزفر، الذين أفادوا مذهب شيخهم أبى حنيفة ودونوا علمه، بما امتاز كل واحد منهم بمميزات حفرت آراء أبى حنيفة فى الصخر، حتى أصبحت شاخصة للقاصى والدانى، فكان أحدهم أكثر تفريعًا وهو «أبو محمد» وأحدهم قاضيًا فترة كبيرة، نفَّذ فيها تلك الآراء وجعلها شيئًا ملموسًا، وأخرج منها ما لا يصلح وأدخل إليها ما هى فى حاجة إليه، وهو «يوسف»[2].

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية من اسمه ليث .

(٢) انظر: الحركة العلمية فى الجزء الأول و الجزء الثانى من كتاب «ضحى الاسلام» للأستاذ الكبير أحمد أمين.

وهنا أتذكر **قول الشافعى** : «الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به» وفى رواية له «إلا أن قومه ضيعوه» أى لم يؤدوا حقه بتدوين علمه..

وحتى لا نظلم أصحاب الليث، ونجعل التبعات كلها على عاتقهم نقول :

ربما أراد أصحابه أن يكملوا مسيرته ولكن لم يسعفهم الدهر.

وقد جاء الشافعى إلى مصر «حوالى سنة ٢٠٠ هجرية» للبحث عن علم الليث، ولكن لم يجد ما كان يتوقعه !!

فجمع الله قلوب الناس عليه حتى غدا صاحب مذهب له قواعده وأصوله«المذهب الجديد» وبعد رحيله إلى ربه سنة«٢٠٤ هجرية» قام أصحابه بإكمال مسيرته، ومن أبرز هؤلاء « المزنى» . وأعجبنى ما ذكره الأستاذ أحمد أمين من قوله «من أن زامر الحى لا يطرب» «وأن كل إمام لا كرامة له فى بلده»..

وهذا هو نفس الشيء الذى حدث مع الشافعى فقد تتلمذ على يد مالك وذهب إلى العراق وعانى معاناة شديدة من أهلها حتى هداه الله ـ عز وجل ـ إلى مصر فأملى بها مذهبه الجديد فى خلال أربع سنوات فقط، فأضحى كالشمس للدنيا لا يحجب نورها شيء.

هذه هى بعض الأسباب التى أدت إلى فى عدم انتشار علم الليث..

أما كتب الليث فيبدو أنها قد ضاعت واندثرت، ولم نعلم عنها إلا أسماءها..

يقول ابن النديم: لليث بن سعد كتابان هما : «كتاب التاريخ»، و«كتاب مسائل في الفقه»[1].

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٢٨١ بتصرف، الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت لبنان طبعة ب. ت، ومعجم المؤلفين ـ تراجم مصنفي الكتب العربية ، تأليف عمر رضا كحالة ص ١٦٢ بتصرف. طبعة دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

يقول الخطيب البغدادي: «فإذا صح أن الرجل ترك كتبًا مستقلة في الحديث والتاريخ، فتكون الروايات التاريخية التي تذكرها كتب الفتوح بسنده من بقايا تلك الكتب التى لم يصل إلى أيدينا منها سوى هذه الروايات منبثة في كتب التاريخ والسيرة. فالرجل إذن كان من أولئك الذين يرون أن التاريخ سند قوي لصحة التفسير التاريخي لهذه النصوص التي يوحى ظاهرها بالتعارض، أو التي يمكن أن يخصص بعضها بحكم، ويعمم بعضها الآخر ـ فيما عدا ذلك الحكم ـ والأخبار التاريخية الوثيقة شاهدة على ذلك ومؤكدة له، فاستمع إلى ما يرويه الربيع بن سليمان ـ وهو من هو دقة في الرواية، وأمانة في النقل، وحسبك منه أنه تلميذ الشافعي وراوي كتبه ، وبروايته وصلت إلينا رسالته التي كانت الخطوة الأولى في طريق علم الأصول الطويل إن لم تكن الأساس المتين الذي قامت عليه الدراسات الأصولية، على اختلاف مذاهب أصحابها ، وحسبك أن الربيع يقول سمعت ابن وهب يقول : «لولا مالك والليث لضل الناس» والرواية فيها من الإيجاز ما لا يمكن معه تحديد الدور الذي أدياه في هداية الناس، وتقويم تفكيرهم وضبط سلوكهم الفقهي ، ولكن ابن وهب في رواية أخرى يبين عن هذا الدور إذ يقول : «لولا مالك بن أنس، والليث بن سعد ، كنت أظن أن كل ما جاء عن النبي ﷺ يعمل به»[1].

مما سبق يمكننا القول بأن الليث كانت له مؤلفات عديدة، ولكن لم يكتب لها الظهور، ربما لأن تلاميذه لم يفعلوا ما فعله أصحاب مالك والشافعى - كما سبق - حيث نشروا كتبهم وفقههم وآراءهم فى كل الأمصار مما كان له عظيم الأثر في إثراء الحياة الفقهية على مر العصور والأزمان.

ومن يدرى لعل الأيام تكشف لنا عن مؤلفات لإمامنا الجليل، وإن

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٤، ٥، أحمد أمين (مرجع سابق).

حدث ذلك سيكون له أثر بالغ فى الحركات الفقهية، وكذلك فى الكشف عن الكثير من جوانب شخصيته التى ضنّت علينا الكتب بكثير من دقائقها [1].

ولم تقصر آثار الليث بن سعد على هذين الكتابين فقط ..لكن شملت آثاره علومًا كثيرة، فكان ـ رحمه الله ـ من سادات أهل زمانه فقها وعلما وورعا وفضلا [2] وسخاءً، كثير العلم [3] استقل بالفتوى فى زمانه بمصر.

أولاً : مختارات من آثار الليث الفقهية :

نعل من الأهمية بمكان أن نعرض هنا لبعض آراء الليث الفقهية، حتى يكون القارئ على بينة من فقه وعلم هذا الرجل، الذى جاء إليه الشافعى لينهل من علمه، ولكنه وجده قد مات فتأسف على فوات لقيه وقال قولته المشهورة : الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به.

وقد وفقنى الله - عز وجل - أن أقف على بعض آرائه فى كتاب (المغنى) لابن قدامة المقدسى، ومن هذه الآراء ما يلى :

* ذهب الليث إلى أن الماء المنفصل عن أعضاء المتوضئ والمغتسل هو ماء طاهر فى نفسه غير مطهر لا يرفع حدثاً ولا يُزيل نجساً [4].

---

(١) وليد كساب (مرجع سابق) ص ٦٢.

(٢) كتاب الثقات للإمام الحافظ أبى حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمى البستى جـ ٧ ص ٣٦١ الطبعة الأولى سنة ١٩٨١م بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الداكن بالهند.

(٣) كتاب الجرح والتعديل تأليف شيخ الإسلام الإمام الحافظ أبى محمد عبد الرحمن بن الإمام الكبير أبى حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمى الحنظلى الرازى، الطبعة الأولى طبع بمطعة مجلس دئراة المعارف العثمانية بحيدر آباد الداكن الهند ب. ت القسم الثانى من المجلد الثالث ص ١٧٩

(٤) المغنى لابن قدامة المقدسى ط دار هجر الطبعة الثانية ١٩٩٢م، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، د. عبد الفتاح محمد الحلو ١/ ٣١ بتصرف، وانظر كذلك وليد كساب (مرجع سابق) ص ٢١ - ٤٢.

* يرى الليث أن صوف الميتة وشعرها طاهر - يعنى شعر ما كان طاهراً فى حياته وكذا صوفه [١].

* ذهب الليث إلى أن النية من شرائط الطهارة للأحداث كلها، فلا يصح وضوء ولا تيمم إلا بها [٢].

* قال الليث بعدم وجوب المضمضة والاستنشاق فى الطهارتين الكبرى والصغرى وإنما هما مسنونان فيهما [٣].

* يرى الليث أن مس الفرج بظهر الكف لا ينقض الوضوء حيث يشترط مسه بباطن الكف [٤].

* قال الليث : من مس فرج بهيمة انتقض وضوؤه وعليه الوضوء [٥].

* ذهب الليث إلى أن ملامسة النساء ولو من خلال ثوب رقيق تنقض الوضوء [٦].

* يرى الليث أنه إذا تيمم المسلم صلَّى الصلاة التى حضر وقتها، وصلى به فوائت - إن كانت عليه - والتطوع إلى أن يدخل وقت صلاة أخرى [٧].

* أباح الليث الصلاة على الراحلة فى السفر القصير - وهو ما لا يُباح فيه القصر [٨].

* يرى الليث أن المأموم إذا سمع قراءة الإمام فعليه أن يقرأ فيما جهر فيه الإمام [٩].

---

(١) نفس المرجع ١/ ١٠٦ بتصرف.
(٢) نفسه ١ / ١٥٦ بتصرف.
(٣) نفسه ١/ ١٦٧ بتصرف.
(٤) نفسه ١ / ٢٤٢ بتصرف .
(٥) نفسه ١/ ٢٤٦ بتصرف.
(٦) نفسه ٣٤١ بتصرف.
(٧) المغنى ١/ ٣٤١ بتصرف.
(٨) نفس المرجع ٢/ ٩٥ بتصرف.
(٩) نفسه ٢/ ٢٥٩ بتصرف.

* ذهب الليث إلى أن سجود التلاوة سنة مؤكدة وليس بواجب [1].

هذا ولم يشذ الليث فى فقهه عن الأئمة من الصحابة والتابعين إلا فى مسألة واحدة وهى : أنه كان يقول بتحريم أكل الجراد الميت، وهو ما قال به بعض المالكية [2].

يقول الذهبى[3]: كان الليث ـ رحمه الله ـ فقيه مصر ومحدثها ومحتشمها ورئيسها ومن يفتخر بوجوده الإقليم، بحيث أن متولى مصر وقاضيها وناظرها يرجعون إلى رأيه ومشورته، وكان ـ رحمه الله ـ يستوحى فَتَاوَاه الفقهية من القرآن الكريم، فإن لم يجد لجأ إلى السنة، فإن لم يجد الإجابة فى النصوص، التمس الجواب فى إجماع الصحابة، وكان من رأيه أن إجماع الصحابة نادر، فإن لم يجد اجتهد رأيه ، ولجأ إلى القياس وإلى العادات والعرف ما لم تخالف نصًا..

ومن هنا تبدّى لنا أن إمامنا الليث بن سعد تمتع بمكانة سامية بين علماء عصره..فصار علمًا شامخًا من أعلام الإسلام، وإمامًا من أئمة الدين، وأحد العلماء الأفذاذ الذين ملأوا الدنيا علمًا وفضلا وذكاءً ونبلا..

ومما لا ريب فيه أن مجالس الليث ودروسه وفَتَاوَاه خلّفت آثارًا عظيمة، ولم يصل إلينا منها إلا النزر اليسير كما قلنا .. ! !

ومن أهم الآثار التى حفظها التاريخ لليث بن سعد تلك الرسالة الفقية التى بعث بها إلى مالك ردًا على رسالته..والتى تعد كل منهما نموذجًا رائعًا من نماذج الحوار العلمى الهادىء المتسم بأدب المناقشة والمناظرة للوصول إلى الحقيقة ..

---

(١) نفسه ٢ / ٣٤٦ بتصرف.
(٢) انظر كتاب الإمام عبد الحليم محمود، مرجع سابق ٥٢، ووليد كساب مرجع سابق.
(٣) عوالى الليث بن سعد لقاسم بن قطلوبغا - تحقيق: عبد الكريم بكر الموصلى النعيمى ص ٤٨ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧.

وفى هذا المقـام نطل إطلالة تملأ النفس بهجة وسروراً من خلال الرسائل التى دارت بين هذين العالمين ـ مالك بن أنس والليث بن سعد ـ والتى تبين المكانة العلمية والفقهية لكل منهما..وما كان يتمتع به علماؤنا فى مناقشتهم ومناظراتهم من أدب جم وذوق رفيع وخلق نبيل، ونقدمها لشباب الإسلام اليوم عساهم يتزودون من معينهم الذى لا ينضب، ويقتدون بهؤلاء الأعلام الذين أخلصوا لله فخلّد الله ذكرهم..

والقضية التى دار حولها النقاش وكانت موضوعًا للمساجلة بدأت بإنكار الإمام مالك على الإمام الليث بعض المسائل الفقهية بما يخالف ما أجمع عليه أهل المدينة.

ورد الإمام الليث عليها بردود فندت حججها.

فكيف جرت المناقشة وكيف كانت نتيجها ؟

تبدأ المساجلة برسالة من الإمام مالك إلى الإمام الليث معارضا ومنكراً بعض فَتَاوَاه قائلاً: «من مالك بن أنس إلى الليث بن سعد، سلام عليكم فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد: عصمنا الله وإياك بطاعته فى السر والعلانية، وعافانا وإياكم من كل مكروه، واعلم ـ رحمك الله ـ أنه بلغنى أنك تفتى الناس بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندنا وببلدنا الذى نحن فيه، وأنت فى أمانتك وفضلك، ومنزلتك من أهل بلدك، وحاجة من قبلهم إليك، واعتمادهم على ما جاء منك، حقيق بأن تخاف على نفسك وتتبع ما ترجو النجاة باتباعه ، فإن الله ـ تعالى ـ يقول :

﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[1].

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٠.

وقال تعالى :

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ⑰ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[1].

فإن الناس تبعٌ لأهل المدينة ، إليها كانت الهجرة وبها نزل القرآن ، أحل الله الحلال وحرم الحرام، إذا رسول الله بين أظهرهم، يحضرون الوحى والتنزيل، ويأمرهم فيطيعونه ويسن لهم فيتبعونه، حتى توفاه الله واختار له ماعنده، صلوات الله عليه ورحمته وبركاته ، ثم قام من بعده أتبع الناس له من أمته، ممن ولى الأمر من بعده. فما نزل بهم مما عملوا أنفذوه، وما لم يكن عندهم فيه علم سألوا عنه، ثم أخذوا بأقوى ما وجدوا فى ذلك فى اجتهادهم.

ثم كان التابعون من بعدهم يسلكون ذلك السبيل ، ويتبعون تلك السنن، فإذا كان الأمر بالمدينة ظاهراً ومعمولا به، لم أر لأحد خلافًا للذى فى أيديهم من تلك الوراثة التى لا يجوز لأحد انتحالها ، ولو ذهب أهل الأمصار يقولون هذا العمل ببلدنا، وهذا الذى مضى عليه من مضى منا ولم يكونوا من ذلك على ثقة، ولم يكن لهم ذلك الذى جاز لهم، فانظر رحمك الله فيما كتبتُ إليك فيه لنفسك واعلم أنى أرجو ألا يكون ما دعانى إلى ما كتبت به إليك إلا النصيحة لله ـ تعالى ـ وحده ، والنظر لك والظن بك ، وأنزل بكتابى منك منزله، فإنك إن فعلت تعلم أنى لم آلك نصحًا. وفقنا الله وإياك لطاعته، وطاعة رسوله فى كل أمر وعلى كل حال. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

وكتبت يوم الأحد لتسع مضين من صفر[2].

○ إنها رسالة تتسم بالأدب العالى والذوق الرفيع وتعد من أمتع

---

(١) سورة الزمر ١٧ ـ ١٨.

(٢) النجوم الزاهرة ٢/ ٨٢، مالك بن أنس، لأمين الخولي طبعة الهيئة العامة للكتاب ص ٤٤٩ - ٤٥٠، الأئمة الأربعة ، لأحمد الشرباصى، طبعة دار الهلال ص ٩٨ وما بعدها.

الرسائل التى تبودلت بين كبار العلماء تحمل بين طياتها التقدير الكامل وحسن البيان للرأى مع الأدب الجم فى التعبير، والحرص التام على وضوح الفكرة فى إيجاز جميل .. **فرد عليه الإمام الليث برسالة طويلة جاء فيها :**

«سلام عليك». فإنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو. أما بعد .عافانا الله وإياك وأحسن لنا العاقبة فى الدنيا والآخرة..قد بلغنى كتابك تذكر فيه من صلاح حالكم الذى يسرنى ، فأدام الله ذلك لكم وأتمه بالعون على شكره والزيادة من إحسانه..»

ثم قال: «بلغك أنى أفتى الناس بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندكم ، وأنى يحق لى الخوف على نفسى لاعتماد من قبلى على ما أفتيهم به، وإن الناس تبع لأهل المدينة التى كانت إليها الهجرة وبها نزل القرآن، وقد أصبت بالذى كتبت من ذلك إن شاء الله..ووقع منى بالموقع الذى تحب ، وما أجد أحدًا ينسب إليه العلم أكره لشواذ الفتيا، ولا أشد تفضيلا لعلماء أهل المدينة الذين مضوا، ولا آخذ لفتياهم فيما اتفقوا عليه منى والحمد لله الذى لا شريك له».

أما ما ذكرتَ من مقام رسول الله ﷺ بالمدينة، ونزول القرآن بها عليه بين ظهرانى أصحابه وما علمهم الله منه، وأن الناس صاروا تبعًا لهم فيه ، فكما ذكرت ، وأما ما ذكرت من قول الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(1).

فإن كثيراً من أولئك السابقين الأولين خرجوا إلى الجهاد فى سبيل الله ابتغاء مرضاة الله ، فجندوا الأجناد واجتمع إليهم الناس ، فأظهروا بين ظهرانيهم كتاب الله وسنة نبيه، ولم يكتموا شيئًا علموه، وكان فى كل

---

(1) سورة التوبة آية : ١٠٠.

جند منهم طائفة يعلمون كتاب الله وسنة نبيه ، ويجتهدون برأيهم فيما لم يفسره لهم القرآن والسنة، وتقدمهم أبو بكر وعمر وعثمان الذين اختارهم المسلمون لأنفسهم، ولم يكن أولئك الثلاثة مضيعين لأجناد المسلمين ولا غافلين عنهم، بل كانوا يكتبون فى الأمر اليسير لإقامة الدين والحذر من الاختلاف بكتاب الله وسنة نبيه، فلم يتركوا أمراً فسره القرآن أو عمل به النبى ﷺ أو ائتمروا فيه بعده إلا علموهموه.

فإذا جاء أمر عمل أصحاب رسول الله ﷺ بمصر والشام والعراق على عهد أبى بكر وعمر وعثمان، ولم يزالوا عليه حتى قبضوا، لم يأمروهم بغيره. فلا نراه يجوز لأجناد المسلمين أن يُحدثوا اليوم أمراً لم يعمل به سلفهم من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم مع أن أصحاب رسول الله ﷺ قد اختلفوا بعد فى الفتيا فى أشياء كثيرة ولولا أنى قد عرفت أن قد علمتها، كتبت بها إليك . ثم اختلف التابعون بعد أصحاب رسول الله ﷺ». الزهرى وربيعة الرأى..وخلاف مالك والليث وعبد العزيز بن عبد الله مع ربيعة أستاذهم . ثم أخذ الليث يحصى على مالك أخطاءه وأخطاء أهل المدينة.

«ومن ذلك ..القضاء بشهادة شاهد ويمين صاحب الحق، وقد عرفت أنه لم يزل يقض بالمدينة به . ولم يقض به أصحاب رسول الله ﷺ بالشام وبحمص ولا بمصر ولا بالعراق ، ولم يكتب به إليهم الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلى. ثم ولى عمر بن عبد العزيز وكان كما قد علمت فى إحياء السنن والجد فى إقامة الدين، والإصابة فى الرأى، والعلم بما مضى من أمر الناس، فكتب إليه رزيق بن الحكم إنك كنت تقضى فى المدينة بشهادة الشاهد الواحد، ويمين صاحب الحق، فكتب إليه إنا كنا نقضى بذلك فى المدينة، فوجدت أهل الشام على غير ذلك. فلا تقض إلا بشهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين.

واستطرد الليث: «ومن ذلك ..أن أهل المدينة يقضون فى صدقات

النسـاء أنهـا متى شـاءت أن تتكلم في مـؤخـر صـداقهـا تكلمت فـدفع إليه...ولم يقض أحـد من أصحاب رسول الله ﷺ ولا مَنْ بعـدهم لامرأة بصداقها المؤخر إلا أن يفرق بينهما موت أو طلاق فتقوم على حقها».

ثم مضى يقول : «وقد أبلغنا عنكم شيئا من الفتيا مستكرها، وقد كنت كتبت إليك في بعضها فلم تجبني في كتابي ، فتخوفت أن تكون استثقلت ذلك فتركت الكتابة إليك في شيء مما أنكره، وفيما أوردت فيه على رأيك..».

* ومن فتيا مـالك التي بلغت الليث فأنكرها، أن الشريكين في المال لا تجب عليهـما الزكاة، حتى يكون لكل واحـد منهما ما تجب فـيه الزكاة ، وفي رأي عمر بن الخطاب أنه تجب عليهما الزكاة بالسوية.

وبهـذا أخذ الليث، ومـن ذلك قول مـالك بالجـمع بين صلاة المغـرب وصلاة العشاء في حالة المطر واختلف الليث معه في جواز الجمع.

ومن ذلك صلاة الاستسقاء، فـمالك يقدم الصلاة على الخطبة ، ورأى الليث أنها كالجمعة تتقدم فيها الخطبة والدعاء على الصلاة.

ثم قـال له في نهـاية الرسـالة «فلم يكن ينبـغي لك أن تخـالف الأمـة أجمعين وقد تركت أشياء كثيرة من أشباه هذا . وأنا أحب توفيق الله إياك وطول بقـائك، لما أرجـو للنـاس في ذلك من المنفـعـة، ،ومـا أخـاف من الضيـعة إذا ذهب مـثلك، مع استـئناسي بمكانك وإن ناءت الدار ، فـهذه منزلتك عندي ورأيي فـيك فاستـيقنه..ولا تتـرك الكتابة إلي عن حـالك وحالٍ ولدك وأهلك، وحـاجة إن كانت لك، أو لأحـد يوصل بك. فإني أسَرُّ بذلك .. فنسأل الله أن يرزقنا وإياكم شكر ما أولانا ، وتمام ما أنعم به علينا . والسلام عليك ورحمة الله»[1]. .

---

(١) إعلام الموقعين جـ ٣ ص٧٢، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، للشيخ محمد أبو زهرة ص٤١٦ ـ ٤١٧، طبعة دار الفكر العربي - القاهرة ب. ت.، النجوم الزاهرة ٢/ ٨٢، وما بعدها، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، د. سعاد ماهر محمد ٢/ ٢١٥، وما بعدها، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف المصرية ب. ت.

* وفى الحق أن الرسالة صورة من أدب الخلاف فى ذلك الزمان على أن هناك مسائل فرعية أخرى اختلف فيها الصديقان خلافًا شديدًا.

منها أن الإمام مالك بن أنس أجاز ضرب المتهم بالسرقة للحصول على اعترافه، حماية للأموال، مما يحقق مصلحة عامة هى أولى بالرعاية من مصلحة المضروب!

وتساءل الليث : فإذا ثبت أن المتهم برىء؟! إن حماية البرىء أولى من عقاب المذنب..ولأن يفلت عشرة مذنبين خير من ظلم برىء واحد، ثم إن الضرب فى ذاته عقوبة لا يقضى بها إلا بعد ثبوت الجريمة، وإلا فالضارب والآمر بالضرب ومن أفتى بجوازه ..كلهم مسئولون.

كما اختلف الصديقان فى حكم الشركاء فى جريمة القتل . فذهب مالك إلى قتل جميع الشركاء كالفاعل الأصلى..وهذا هو القصاص..أما الليث فرأى أن هذا يخالف روح آيات القصاص فالمقصود بالقصاص هو الفاعل الأصلى، وعقابه فى جريمة القتل هو القتل . أما الشركاء فقد أخذ فيهم الليث بحكم الإمام «على» وهو الحبس مدى الحياة حتى الموت.

* ولا ريب أن أساس كل الخلافات بين الإمام الليث والامام مالك هو الخلاف بين منهج كل منهما فى استنباط الحكم ما لم يكن النص واضحًا قطعى الدلالة، فالإمام مالك يرد الحديث الذى يرويه صحابى واحد، ويأخذ بعمل أهل المدينة أو بما يستحسنه ويراه محققًا للمصلحة..أما الإمام الليث فيأخذ بالأحاديث التى يرويها الآحاد، ويقول إننا لو فتحنا باب الاستحسان والمصالح فما هى الضوابط؟: أكلما بدا للمفتى أو القاضى أن رأيا ما أحسن أو أرعى للمصلحة أخذنا به؟! وإذن تتناقض الفتاوى فى المسألة الواحدة !! فلا عاصم إلا ضبط الأحكام التى لم يرد بها نص قطعى بقبول الحديث الذى يرويه الصحابى الواحد ما دام هذا الحديث يوافق روح القرآن و يوافق روح السنة ، ولا يخالف العقل، أو يجافى مقاصد الشرع.

فإذا لم يكن فى أحاديث الآحاد أو أقوال الصحابة أحكام تواجه الأمور المستحدثة، وتنطبق على الأقضية الجديدة، فلا غنى عن القياس..وهو أضبط المعايير وأحراها بتحقيق العدل.

وذلك بأن نطبق الأحكام التى أوردتها النصوص على كل ما يشابهها من أقضية ، ومسائل وأمور إذا اتحدت العلل. وبهذا النظر واجه الليث ما استحدث من قضايا الناس فى مصر ومسائلهم..

وهكذا استطاع أن يمهد الطريق الوسط بين فقه السنة وفقه الرأى.

تحليل الرسالتين:

وبعد عرض نصوص تلك الرسالتين نرى أن رسالة الإمام مالك جمعت إلى قوة الحجة وضوح العبارة ودقة اللفظ وسهولة التعبير وجمال الأسلوب . كما أنها تعكس قوة إيمان صاحبها بفكرته وثقته الكاملة فى حجة دعواه..كما يظهر من خلالها عمق الحب وصدق الود وخلوص النية وسلامة القصد وكمال الخلق وروعة الأدب ورقة الخطاب وحسن العرض..حيث بدأ الإمام مالك بالدعاء لأخيه الإمام الليث بن سعد، واختار من الدعوات ما يتناسب وموضوع الرسالة؛ ليكون ذلك توطدة لقصده ومدخلا لمراده..ثم لا ينسى مالك أن يضيف نفسه إلى أخيه عند الدعاء تلطفًا وأدبًا بقوله : «عصمنا وإياك» «وعافانا وإياك» وهى صيغة فى الخطاب أرق وأجمل!!

ثم يدخل فى موضوع المناقشة في حسن تخلص، وجمال تلطف، فيكشف له عن سبب الرسالة قائلاً: «واعلم – رحمك الله – أنه بلغنى أنك تفتى الناس بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندنا وببلدنا الذى نحن فيه» لكنه يسارع فيغلف هذا الإنكار قبل إتمامه بغلاف من الثناء الجميل فيثنى عليه بعظيم فضله وعلو شأنه فى بلده ، لكنه يستثمر هذا الثناء وذلك الإطراء لخدمة قضيته فيخوفه عاقبة التسرع بمخالفة ما عليه

إجماع أهل المدينة ، فإن تبعة ذلك ثقيلة لأن الناس فى مصر سيتبعونه. وكأن الإمام مالك قد استوثق من صحة دعواه وخطأ ماعداها حتى جعل ماعداها أمراً يخاف منه ، ويتقى الوقوع فيه، ويخشى على صاحبه من فعله. وحجة الإمام مالك فى ذلك كما أشرنا «أن الرسول ﷺ انصرف من آخر غزواته ومعه نحو كذا وكذا ألفًا من الصحابة، مات بالمدينة منهم عشرة آلاف، وباقيهم تفرق فى البلدان فأيهما أحرى أن يتبع ويؤخذ بقولهم..»[1].

أما الإمام الليث بن سعد ما كان له أن يرد على تلك الرسالة إلا بعد أن استوثق تمام الثقة أنها من الإمام مالك .

نظر فيها و «أقامها» ومعنى أقامها : أنه أصلح منها ما قد عساه أن يكون من أخطاء كتابية جاءت عن النساخ، ثم ختمها الإمام مالك بختمه وذلك معناه: اعتمادها [2].

ولما استوثق الليث تمام الثقة أن هذه الرسالة من مالك إليه، رد عليها بردود تريح الصدور وتطمئن النفوس وتثلج القلوب، فاستحق بذلك أن يقول فيه الشافعى : الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به.

وبعد أن فنَّد الليث كل الدعاوى التى تقدم بها الإمام مالك إليه .

انتقل الليث من موقف المدافع إلى موقف الناقد، وذكر فى ذلك عدة مسائل هى :

وقد بلغنا عنكم شئ من الفتيا مستكره ، وقد كتبت إليك فى بعضها فلم تجبنى فى كتابى ، فتخوفت أن تكون استثقلت ذلك، فتركت الكتابة إليك في شيء مما أنكرت، وفيما أوردت فيه على رأيك:

١ـ وذلك أنه بلغنى أنك الذي أمرت زفر بن عاصم الهلالى -حين

---

(١) مساجلة بين فقيهين كبيرين مقال للدكتور حمدى فتوح والى، منشور فى مجلة الأزهر عدد جمادى الآخر ١٤٢٢ هـ سبتمبر ٢٠٠١م

(٢) الليث بن سعد إمام أهل مصر د/ عبد الحليم محمود ص٥٧

أراد أن يستقى – أن يقدم الصلاة قبل الخطبة فأعظمت ذلك، لأن الخطبة والاستقاء كهيئة يوم الجمعة ، إلا أن الإمام إذا دنا من فراغه من الخطبة دعا ، ثم نزل فصلى، وقد استسقى عمر بن عبد العزيز وأبو بكر بن محمد بن حزم وغيرهما ، فكلهم يقدم الخطبة والدعاء قبل الصلاة ، فاستهتر الناس كلهم بفعل زفر بن عاصم واستنكروه.

٢ ـ ومن ذلك أنه بلغنى أنك تقول فى الخليطين فى المال.. إنه لا تجب عليهما الصدقة حتى يكون لكل واحد منهما ما تجب فيه الصدقة، وفى كتاب عمر بن الخطاب أنه تجب عليهما الصدقة ويترادان بالسوية، و قد كان ذلك يعمل به فى ولاية عمر بن عبد العزيز قبلكم وغيره، والذى حدثنا به يحيى بن سعيد، ولم يكن بدون أفاضل العلماء فى زمانه، فرحمه الله ، وغفر له، وجعل الجنة مصيره.

٣ ـ ومن ذلك أنه بلغنى أنك تقول: إذا أفلس الرجل وقد باعه رجل سلعة فتقاضى طائفة من ثمنها، أو أنفق المشترى طائفة منها، أنه يأخذ ما وجد من متاعه، وكان الناس على أن البائع إذا تقاضى من ثمنها شيئًا أو أنفق المشترى منها شيئًا فليست بعينها.

٤ ـ ومن ذلك أنك تذكر أن النبى ﷺ لم يعط الزبير بن العوام إلا لفرس واحد، والناس كلهم يحدثون أنه أعطاه أربعة أسهم لفرسين ومنعه الفرس الثالث ، والأمة كلها على هذا الحديث: أهل مصر، وأهل العراق، وأهل إفريقية، لا يختلف فيه اثنان ، فلم يكن ينبغى لك أن تخالف الأمة أجمعين.

ثم يأتى الختام للرسالة ، وهو ختام رائع، فيه سمات المودة والأدب ، والحب والاحترام ، وذلك يدل على نفس كريمة نبيلة، إنه يقول:

«وقد تركت أشياء كثيرة أشباه هذا، وأنا أحب توفيق الله إياك وطول بقائك لما أرجو للناس فى ذلك من المنفعة، وما أخاف من الضيعة إذا ذهب مثلك، مع استئناسى بمكانك وإن ناءت الديار ، فهذه منزلتك

عندى، ورأيى فيك ، فاستيقنه، ولا تترك الكتابة إلىَّ بخبرك وحالك، وحال ولدك وأهلك، وحاجة إن كانت لك أو لأحد يوصل بك فإنى أسَرُّ بذلك.

كتبت إليك ونحن صالحون معافون، والحمد لله، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم شكر ما أولينا، وتمام ما أنعم به علينا ، والسلام عليك ورحمة الله»[1].

∞ من هنا يتبين لنا ما كان يتمتع به علماؤنا من تواضع وورع وتقوى وقبول الحق مهما كان قائله.

وكذلك منزلة الإمام الليث فى الفقه وما كان يتمتع به من ملكة قوية فى استنباط الأحكام، وتحريه الأحاديث الصحيحة من المصادر الصادقة سواء فى المدينة أو فى غيرها من المدن ، فالأحاديث التى رواها هى آراؤه فى الفقه، فكل حديث صحيح روى عنه فهو رأيه.

وجدير بالإشارة أن هذه الرسالة هى التى حفظت كاملة عبر التاريخ والتى تعد من أهم آثار الليث الفقهية ، وأعتقد أن السبب فى حفظها ـ والله أعلم ـ أن الرسالة الأولى جاءت من الإمام مالك والثانية ذهبت إليه من الإمام الليث، وكان تلاميذ الإمام مالك يدونون لمالك أولا بأول بخلاف تلاميذ الليث..!!

أما آثار الليث الفقهية الأخرى- فهى عبارة عن آرائه فى بعض المسائل والقضايا وبعض الفتاوى - متناثرة فى بطون كتب الفقه.

وفى النهاية أقول بأن الليث ـ رحمه الله ـ سلك منهج الاتباع وطريق الاستسلام للرسول ﷺ فى كل ما جاء به، قال تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [2].

---

(١) المرجع السابق ص ٦٧ ـ ٦٨

(٢) سورة النساء آية ٦٥. راجع ذلك مفصلا فى المراجع السابقة.

ثانيـاً : مختـارات من مـروياته في الحـديث النبـوى الشريف :

تمهيد :

كان العصـر الذي عاشه الليث بن سعد - رحمـه الله - عصر رواية، سواء مما هو مدون في مدونات أو مما هو محفوظ في الصدور، وعليه فإن جهـود الإمام الليث الحديثية تمثلت في مروياته التي نقـلت عنه، وانتقلت بين ثنايا كتب الحديث ومدوناته ..

وبناءً على أنه عاش في عـصر الرواية، فجهـوده الحديثية تمثلت فـيما روى عنه، سواء كان ذلك مـدوناً عنده في كتابات أو روايات شفـهية من حفظه تلقـاها عنه تلاميـذه، ثم وصلت إلينا بواسطة هؤلاء التلاميذ ومن جاء من بعدهم، حـتى دونت في كتب السنة الستة الصحاح التي جـعلتها محلاً للدراسة ..

هذا وقد قـمت بتبويب مرويات الإمـام الليث بن سعد الحديثية على غرار تبويب صحـيح الإمام البخاري - مع اختلاف يسير اقـتضته ظروف البحث - نظراً لاعتنائه أكثر من غيره بجودة التبويب، وجريت في تقسيم الأبواب على تقسيم الطبعـة السلفية لصحيح الإمام البخاري الـتي قسمته إلى سبعة وتسعين كتابا..

فهـا نحن الآن نعرض في خشـوع لبعض من هذه الكوكبـة النيرة من أحاديث رسول الله (صلى الله عليـه وسلم) التى رواها الإمام الليث بن سعد - رضى الله عنه -..

بدء الوحى:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا يزيد بن هارون وحدثنا محمد بن رمح، أنبأنا الليث بن سعد قالا: أنبأنا يحيى بن سعيد، أن محمد بن إبراهيم التيمي أخبره، أنه سمع علقمة بن وقاص أنه سمع عمر بن الخطاب وهو يخطب الناس، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، و من كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»** (١).

وقال الإمام ابن ماجة: حدثنا أحمد بن سنان ومحمد بن يحيى، قالا: حدثنا يزيد بن هارون، عن شريك، عن ليث، عن طاوس، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ : **«إنما يبعث الناس على نياتهم»** (٢).

وقال الإمام البخارى: حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة ابن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: **أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ». قال: «فأخذني فغطني حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى» فقال: إقرأ، «قلت ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلنى» فقال: إقرأ، «فقلت ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثالثة»، ثم أرسلني فقال: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ ﴾ [العلق: ١-٣] فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده،**

(١) سنن ابن ماجه كتاب : الزهد باب : النية رقم الحديث :٤٢٢٧ الجزء :٣ الصفحة :٥١٠

(٢) سنن ابن ماجه كتاب : الزهد باب : النية رقم الحديث :٤٢٢٩ الجزء :٢ الصفحة :١٤١٤

فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: **«زملوني زملوني»**. فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: **«لقد خشيت على نفسي»**. فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة وكان امرءا تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا بن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نَزَّلَ الله على موسى، يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ : **«أو مخرجي هم»**. قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي(٣).

وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد وطاعته والتحذير من مخالفته:

قال الإمام مسلم: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: **«ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»** (٤).

---

(٣) صحيح البخاري كتاب : بدء الوحي باب : كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول الله جل ذكره ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ [النساء : ١٦٣]، رقم الحديث :٣، الجزء :١، الصفحة :٥٩

(٤) صحيح مسلم كتاب : الايمان باب : وجوب الإيمان برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته؛ رقم الحديث :٢٣٩ الجزء :١ الصفحة :١٣٤

وقال الإمام ابن ماجة: حدثنا محمد بن رمح بن المهاجر المصري، أنبأنا الليث بن سعد، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، أن عبد الله بن الزبير حدثه، أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير عند رسول الله ﷺ في شراج الحرة التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سرح الماء يمر، فأبى عليه، فاختصما عند رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: **«اسق يازبير، ثم أرسل الماء إلى جارك»** فغضب الأنصاري، فقال: يارسول الله، ان كان ابن عمتك؟ فتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال: **«يا زبير اسق، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر»** قال: فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥] (٥).

صفة المؤمن:

قال الإمام النسائي: أخبرنا قتيبة قال: حدثنا الليث عن ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن ابن صالح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: **«المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»** (٦).

وقال الإمام الترمذي: حدثنا قتيبة، حدثنا الليث عن عقيل عن الزهرى عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: **«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن**

---

(٥) سنن ابن ماجة كتاب :باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم و التغليظ على من عارضه باب :باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم و التغليظ على من عارضه. رقم الحديث :١٥ الجزء :١ الصفحة :٧

(٦) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: الإيمان وشرائعه باب: صفة المؤمن. رقم الحديث :٤٩٩٥ الجزء :٨ الصفحة :١٠٤

فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب (٧).

وقال الإمام ابن ماجة: حدثنا محمد بن الحارث المصري، حدثنا الليث بن سعد، حدثني عقيل، عن ابن شهاب، أخبرني سعيد بن المسيب، أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»** (٨).

فضل الوضوء:

قال الإمام البخاري: حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثنا الليث،عن خالد، عن سعيد بن أبي هلال، عن نعيم المجمر قال: رقيت مع أبي هريرة على ظهر المسجد فتوضأ، فقال: إني سمعت النبي ﷺ يقول: **«إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل»** (٩).

وقال الإمام النسائي: أخبرنا عمرو بن منصور حدثنا آدم بن أبي إياس قال: حدثنا الليث- هو ابن سعد - حدثنا معاوية بن صالح قال: أخبرني أبو يحيى سليم بن عامر وضمرة بن حبيب و أبو طلحة نعيم بن زياد قالوا سمعنا أبو أمامة الباهلي يقول: سمعت عمرو بن عبسة يقول: قلت: يا رسول الله، كيف الوضوء؟ قال: **«أما الوضوء فإنك إذا توضأت فغسلت كفيك فأنقيتهما خرجت خطاياك من بين أظفارك وأناملك، فإذا مضمضت واستنشقت منخريك وغسلت وجهك ويديك إلى المرفقين ومسحت رأسك وغسلت رجليك إلى الكعبين اغتسلت من عامة**

---

(٧) سنن الترمذي كتاب: الحدود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب: ما جاء في الستر على المسلم. رقم الحديث :١٤٢٦ الجزء :٤ الصفحة :٢٦

(٨) سنن ابن ماجه كتاب : الفتن باب : العزلة. رقم الحديث :٣٩٨٢ الجزء :٢ الصفحة :١٣١٨

(٩) صحيح البخاري كتاب: الوضوء باب: فضل الوضوء والغر المحجلون من ثار الوضوء. رقم الحديث:١٣٣ الجزء :١ الصفحة :١٣١

خطاياك، فإن وضعت وجهك لله - عز وجل - خرجت من خطاياك كيوم ولدتك أمك». قال: أبو أمامة فقلت: يا عمرو بن عبسة ، انظر ما تقول! أكل هذا يعطى في مجلس واحد؟ فقال: أما والله لقد كبرت سني ودنا أجلي وما بي من فقر فأكذب على رسول الله ﷺ ولقد سمعته أذناي ووعاه قلبي من رسول الله ﷺ (١٠).

وجوب المحافظة على الماء:

قال الإمام مسلم: حدثنا يحيى بن يحيى، ومحمد بن رمح، قالا: أخبرنا الليث، وحدثنا قتيبة، حدثنا الليث عن أبي الزبير، عن جابر، عن رسول الله ﷺ : **«أنه نهى أن يبال في الماء الراكد»** (١١).

جواز غسل الرجل وامرأته في إناء واحد:

قال الإمام النسائي: أخبرنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا الليث عن ابن شهاب، عن عروة، **«عن عائشة أنها أخبرته أنها كانت تغتسل مع رسول الله ﷺ في الإناء الواحد»** (١٢).

صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم:

قال الإمام البخاري: حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث: أنه سمع أبا هريرة يقول: كان رسول الله ﷺ **إذا قام إلى الصلاة، يكبر حين يقوم، ثم يكبر حين يركع، ثم يقول: «سمع الله لمن حمده»**. حين

---

(١٠) سنن النسائي (المجتبى) كتاب : الطهارة باب :ثواب من توضأ كما أمر. رقم الحديث: ١٤٧ الجزء :١ الصفحة :٩١.

(١١) صحيح مسلم كتاب : الطهارة باب : النهي عن البول في الماء الراكد. رقم الحديث :٩٤ الجزء :١ الصفحة :٢٣٥.

(١٢) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: الطهارة باب: فضل الجنب. رقم الحديث :٧٢ الجزء :١ الصفحة : ٦٠.

يرفع صلبه من الركعة، ثم يقول وهو قائم: «**ربنا لك الحمد**» . قال عبد الله: «**ولك الحمد**» . ثم يكبر حين يهوي، ثم يكبر حين يرفع رأسه، ثم يكبر حين يسجد، ثم يكبر حين يرفع رأسه، ثم يفعل ذلك في الصلاة كلها حتى يقضيها، ويكبر حين يقوم من الثنتين بعد الجلوس(١٣).

الاطمئنان في الصلاة:

قال الإمام النسائي: أخبرنا قتيبة قال: حدثنا الليث عن ابن عجلان عن علي - وهو ابن يحيى - عن أبيه، عن عم له بدري أنه حدثه: أن رجلاً دخل المسجد فصلى ورسول الله ﷺ يرمقه ونحن لا نشعر، فلما فرغ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ فقال: «**ارجع فصل فإنك لم تصل**»، فرجع فصلى، ثم أقبل إلى رسول الله ﷺ فقال: «**ارجع فصل فإنك لم تصل**» مرتين أو ثلاثاً، فقال له الرجل: والذي أكرمك يا رسول الله لقد جهدت فعلمني؟ فقال: «**إذا قمت تريد الصلاة فتوضأ فأحسن وضوءك ثم استقبل القبلة فكبر، ثم أقرأ، ثم اركع فاطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن قاعداً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن قاعداً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع، ثم افعل كذلك حتى تفرغ من صلاتك**»*.

التخفيف في الصلاة:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا محمد بن رمح، أنبأنا الليث بن سعد، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: صلى معاذ بن جبل الأنصاري بأصحابه صلاة العشاء، فطول عليهم، فانصرف رجل منا فصلى، فأخبر معاذ عنه، فقال:

---

(١٣) صحيح البخاري كتاب: أبواب صفة الصلاة باب: التكبير إذا قام من السجود. رقم الحديث: ٦٣٣ الجزء: ١ الصفحة:٢٢٥

(*) سنن النسائي (المجتبى) كتاب : السهو باب : أقل ما يجزيء من عمل الصلاة. رقم الحديث :١٣١٣ الجزء :٣الصفحة :٥٩

إنه منافق، فلما بلغ ذلك الرجل، دخل على رسول الله ﷺ، فأخبره ما قال له معاذ، فقال النبي ﷺ: **«أتريد أن تكون فتاناً يا معاذ؟ إذا صليت بالناس فاقرأ عبد الله "الشمس وضحاها"، و"سبح اسم ربك الأعلى"، و"الليل إذا يغشى"، و"اقرأ باسم ربك»** (١٤).

النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة:

قال الإمام مسلم: حدثني أبو الطاهر وعمرو بن سواد، قالا: أخبرنا ابن وهب، حدثني الليث بن سعد عن جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن الأعرج، عن أبي هريرة. أن رسول الله ﷺ قال: **«لينتهين أقوام عن رفعهم أبصارهم، عند الدعاء في الصلاة إلى السماء أو لتخطفن أبصارهم»** (١٥).

الصلاة في الحرير:

قال الإمام النسائي: أخبرنا قتيبة وعيسى بن حماد زغبة، عن الليث عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن عقبة بن عامر قال: أهدي لرسول الله ﷺ فروج حرير(*)، فلبسه ثم صلى فيه ثم انصرف فنزعه نزعا شديدا كالكاره له ثم قال: **«لا ينبغي هذا للمتقين»** (١٦).

ختام الصلاة:

قال الإمام مسلم: حدثنا عاصم بن النضر التيمي، حدثنا المعتمر،

---

(١٤) سنن ابن ماجه كتاب: إقامة الصلاة و السنة فيها باب: من أمَّ قوماً فليخفف. رقم الحديث :٩٨٦ الجزء :١ الصفحة :٣١٥

(١٥) صحيح مسلم كتاب: الصلاة باب: النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة. رقم الحديث :١١٨ الجزء :١ الصفحة:٣٢١

(*) فروج خرير: هو القباء الذى فيه شق من خلفه. النهاية ٣/ ٤٢٣ مادة فرج.

(١٦) سنن النسائي (المجتبى) كتاب : القبلة باب :الصلاة في الحرير. رقم الحديث :٧٧٠ الجزء :٢ الصفحة :٧٢

حدثنا عبيد الله. قال وحدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث، عن ابن عجلان. كلاهما، عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، وهذا حديث قتيبة أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: ذهب أهل الدثور(*) بالدرجات العلى، والنعيم المقيم. فقال: «وما ذاك؟». قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولانتصدق، ويعتقون ولا نعتق. فقال رسول الله ﷺ : **«أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم؟ ولايكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم»**. قالوا: بلى، يا رسول الله! قال: **«تسبحون وتكبرون وتحمدون، دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة»**. قال أبو صالح: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا، ففعلوا مثله. فقال رسول الله ﷺ : **«ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»**. وزاد غير قتيبة في هذا الحديث، عن الليث، عن ابن عجلان: قال سمي: فحدثت بعض أهلي هذا الحديث، فقال: وهمت. إنما قال: تسبح الله ثلاثاً وثلاثين، وتحمد الله ثلاثة وثلاثين، وتكبر الله ثلاثاً وثلاثين. فرجعت إلى أبي صالح فقلت له ذلك. فأخذ بيدي فقال: الله أكبر، وسبحان الله والحمد لله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، حتى تبلغ من جميعهن ثلاثة وثلاثين. قال ابن عجلان: فحدثت بهذا الحديث رجاء بن حيوة، فحدثني بمثله عن أبي صالح ، عن أبي هريرة، عن رسول الله [17].

الأمر بقراءة المعوذات بعد التسليم من الصلاة:

قال الإمام النسائي: أخبرنا محمد بن سلمة قال: حدثنا ابن وهب عن

(*) الدثور: جمع دثر وهو المال الكثير ويقع على الواحد والاثنين والجمع، النهاية ٢/ ١٠٠ مادة دثر.

(١٧) صحيح مسلم كتاب : المساجد ومواضع الصلاة باب : استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته. رقم الحديث :١٤٢ الجزء :١ الصفحة :٤١٦.

الليث، قال عن حنين بن أبي حكيم، عن علي بن رباح، عن عقبة بن عامر، قال: **«أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ المعوذات دبر كل صلاة»** (١٨).

النهي عن القراءة في الركوع:

قال الإمام النسائي: أخبرنا عيسى بن حماد زغبة عن الليث، عن يزيد ابن أبي حبيب أن إبراهيم بن عبد الله بن حنين حدثه، أن أباه حدثه، أنه سمع عليا يقول: **«نهاني رسول الله ﷺ عن خاتم الذهب، وعن لبوس القسي والمعصفر، وقراءة القرآن وأنا راكع»** (١٩).

سكرات الموت:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا ليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن موسى بن سرجس، عن القاسم بن محمد، عن عائشة قالت: رأيت رسول الله ﷺ وهو يموت وعنده قدح فيه ماء فيدخل يده في القدح، ثم يمسح وجهه بالماء، ثم يقول: **«اللهم أعني على سكرات الموت»** (٢٠).

قول الميت وهو على جنازته قدموني:

قال الإمام البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف: حدثنا الليث: حدثنا سعيد، عن أبيه: أنه سمع أبا سعيد الخدري قال: كان النبي ﷺ يقول: **«إذا وضعت الجنازة، فاحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة**

---

(١٨) سنن النسائي (المجتبى) كتاب : السهو باب : الأمر بقراءة المعوذات بعد التسليم من الصلاة. رقم الحديث :١٣٣٦ الجزء :٣ الصفحة :٦٨

(١٩) سنن النسائي (المجتبى) كتاب : التطبيق باب :النهي عن القراءة في الركوع. رقم الحديث :١٠٤٣ الجزء :٢ الصفحة :١٨٩

(٢٠) سنن ابن ماجه كتاب : الجنائز باب : ما جاء في ذكر مرض رسول الله (صلى الله عليه و سلم) رقم الحديث :١٦٢٣ الجزء :١ الصفحة :٥١٩

قالت: قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها: يا ويلها، أين يذهبون بها، يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمع الإنسان لصعق» [٢١].

تقديم بعض الشهداء على بعض في اللحد:

قال الإمام البخاري: حدثنا ابن مقاتل: أخبرنا عبد الله : أخبرنا ليث ابن سعد: حدثني ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: **«أيهم أكثر أخذا للقرآن»**. فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد، وقال: **«أنا شهيد على هؤلاء»**. وأمر بدفنهم بدمائهم، ولم يصل عليهم، ولم يغسلهم [٢٢].

الإنسان يرى مقعده في الجنة أو النار وهو في قبره إعادة الخلق:

قال الإمام النسائي: أخبرنا قتيبة قال: حدثنا الليث عن نافع، عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: **«ألا إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، حتى يبعثه الله - عز وجل - يوم القيامة»** [٢٣].

فضل صدقة المقل:

قال الإمام النسائي: أخبرنا قتيبة قال: حدثنا الليث عن ابن عجلان،

---

(٢١) صحيح البخاري كتاب : الجنائز باب: قول الميت وهو على جنازة قدموني. رقم الحديث :١٢٢٨ الجزء :٢ الصفحة : ٥٦١.

(٢٢) صحيح البخاري كتاب : الجنائز باب : من يقدم في اللحد وسمي اللحد لأنه في ناحية وكل جائر ملحد ملتحدا الكهف معدلا ولو كان مستقيما كان ضريحا. رقم الحديث: ١٢٥٧ الجزء :١٢ الصفحة : ٥٧٢.

(٢٣) سنن النسائي (المجتبى) كتاب :كتاب الجنائز باب :وضع الجريدة على القبر. رقم الحديث :٢٠٧٠ الجزء :٤ الصفحة :١٠٦

عن سعيد بن أبي سعيد والقعقاع عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«سبق درهم مائة ألف درهم»** قالوا: وكيف؟ قال: **«كان لرجل درهمان تصدق بأحدهما، وانطلق رجل إلى عرض ماله فأخذ منه مائة ألف درهم فتصدق بها»** (٢٤).

جزاء مانع الزكاة والمتعدى فى الصدقة:

قال الإمام النسائي: أخبرنا قتيبة قال: حدثنا الليث عن عقيل، عن الزهري قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة قال: لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب، قال عمر لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله» فقال أبو بكر رضي الله عنه: لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه: قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق (٢٥).

فضل الحج:

قال الإمام النسائي: أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الحكم عن شعيب، عن الليث قال: حدثنا خالد عن ابن أبي هلال، عن يزيد بن عبد الله، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: **«جهاد الكبير والصغير والضعيف والمرأة: الحج والعمرة»** (٢٦).

---

(٢٤) سنن النسائي (المجتبى) كتاب : الزكاة باب : جهد المقل. رقم الحديث :٢٥٢٧ الجزء :٥ الصفحة :٥٩

(٢٥) سنن النسائي (المجتبى) كتاب : الزكاة باب: مانع الزكاة. رقم الحديث :٢٤٤٣ الجزء :٥ الصفحة : ١٤

(٢٦) سنن النسائي (المجتبى) كتاب : مناسك الحج باب : فضل الحج رقم الحديث :٢٦٢٦ الجزء :٥ الصفحة :١١٣

فضل مكة:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا عيسى بن حماد المصري، أنبأنا الليث بن سعد، أخبرني عقيل، عن محمد بن مسلم أنه قال: إن أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أخبره، أن عبد الله بن عدي بن الحمراء، قال له: رأيت رسول الله ﷺ وهو على ناقته واقف بالحزورة يقول: **«والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلي، والله لولا أني أخرجت منك ما خرجت»** [٢٧].

وقال الإمام النسائي: أخبرنا قتيبة قال: حدثنا الليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي شريح: أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولا قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به حمد الله وأثنى عليه ثم قال: **«إن مكة حرمها الله فإن ترخص أحد لقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا له: أن الله أذن ولم يحرمها الناس ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ولا يعضد بها شجرا لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد الغائب»** [٢٨].

سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره:

قال الإمام مسلم: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبيه: أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يحل لامرأة مسلمة تسافر مسيرة ليلة، إلا ومعها رجل ذو حرمة منها»** [٢٩]

---

(٢٧) سنن ابن ماجه كتاب :كتاب المناسك باب :باب فضل مكة رقم الحديث :٣١٠٨ الجزء:٢ الصفحة :١٠٣٧

(٢٨) سنن النسائي (المجتبى) كتاب : مناسك الحج باب :تحريم القتال فيه رقم الحديث:٢٨٧٦ الجزء :٥ الصفحة :٢٠٥

(٢٩) صحيح مسلم كتاب : الحج باب : سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره رقم الحديث:٤١٩ الجزء :٢ الصفحة :٩٧٧

فضل الصيام:

قال الإمام مسلم: حدثنا محمد بن رمح، أخبرني الليث عن ابن الهاد، عن سهيل بن أبي صالح، عن النعمان بن أبي عياش، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله، إلا باعد الله، بذلك اليوم، وجهه عن النار سبعين خريفاً»** [٣٠].

فضل رمضان:

قال الإمام البخاري: حدثني يحيى بن بكير قال: حدثني الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني ابن أبي أنس، مولى التيميين، أن أباه حدثه: أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ : **«إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين»** [٣١].

صيام يوم عاشوراء:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا محمد بن رمح، أنبأنا الليث بن سعد، عن نافع، عن عبد الله بن عمر، أنه ذكر عند رسول الله ﷺ يوم عاشوراء، فقال رسول الله ﷺ : **«كان يوماً يصومه أهل الجاهلية، فمن أحب منكم أن يصومه فليصمه، ومن كرهه فليدعه»** [٣٢].

---

(٣٠) صحيح مسلم كتاب : الصيام باب : فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه بلا ضرر ولا تفويت حق رقم الحديث :١٦٧ الجزء :٢ الصفحة :٨٠٨

(٣١) صحيح البخاري كتاب : الصوم باب : هل يقال رمضان أو شهر رمضان ومن رأى كله واسعاً وقال النبي صلى الله عليه وسلم (من صام رمضان) وقال (لا تقدموا رمضان) رقم الحديث :١٥٨ الجزء :٣ الصفحة :٦٤

(٣٢) سنن ابن ماجه كتاب : الصيام باب : صيام يوم عاشوراء رقم الحديث :١٧٣٧ الجزء :١ الصفحة :٥٣٥

تحريم الجماع في نهار رمضان:

قال الإمام مسلم: حدثنا يحيى بن يحيى، ومحمد بن رمح، قالا: أخبرنا الليث، وحدثنا قتيبة، حدثنا ليث، عن ابن شهاب، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً وقع بامرأته في رمضان، فاستفتى رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: **«هل تجد رقبة؟»** قال: لا، قال: **«وهل تستطيع صيام شهرين؟»** قال: لا، قال: **«فأطعم ستين مسكيناً»** (٣٣).

الخيار في البيع:

قال الإمام البخاري: حدثنا قتيبة: حدثنا الليث، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«إذا تبايع الرجلان، فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا، وكانا جميعاً، أو يخير أحدهما الآخر، فتبايعا على ذلك، فقد وجب البيع، وإن تفرقا بعد أن يتبايعا ولم يترك واحد منهما للبيع، فقد وجب البيع»** (٣٤).

بيع الخمر والخنزير وجلود الميتة والأصنام:-

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا عيسى بن حماد المصري، أنبأنا الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب أنه قال: قال عطاء بن أبي رباح: سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال رسول الله ﷺ عام الفتح وهو بمكة: **«إن الله ورسوله حرم بيع الخمر، والميتة، والخنزير، والأصنام»** فقيل له عند ذلك: يا رسول الله، أرأيت شحوم الميتة، فإنه يدهن بها السفن، و يدهن بها

---

(٣٣) صحيح مسلم كتاب : الصيام باب : تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم ووجوب الكفارة الكبري فيه وبيانها وأنها تجب على الموسر والمعسر وتثبت في ذمة حتى يستطيع رقم الحديث :٨٢ الجزء :٢ الصفحة :٧٨٢.

(٣٤) صحيح البخاري كتاب: البيوع باب: إذا خير أحدهما صاحبه بعد البيع فقد وجب البيع رقم الحديث:٣٦٣ الجزء :٣ الصفحة: ١٣٧.

الجلود، ويستصبح بها الناس ؟ قال: **«لا، هن حرام»** ثم قال رسول الله ﷺ : **«قاتل الله اليهود إن الله حرم عليهم الشحوم فأجملوه، ثم باعوه فأكلوا ثمنه»** (٣٥).

حسن المعاملة والرفق في المطالبة بالدَّين:

قال الإمام النسائي: أخبرنا عيسى بن حماد قال: حدثنا الليث عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: **«إن رجلاً لم يعمل خيراً قط، وكان يداين الناس فيقول لرسوله، خذ ما تيسر واترك ما عسر وتجاوز لعل الله تعالى أن يتجاوز عنها، فلما هلك قال الله عز وجل له: هل عملت خيراً قط؟ قال: لا، إلا أنه كان لي غلام وكنت أداين الناس، فإذا بعثته ليتقاضى قلت له: خذ ما تيسر واترك ما عسر وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا، قال: الله تعالى: قد تجاوزت عنك»**(٣٦).

الكفالة في القرض والديون بالأبدان وغيرها:

قال الإمام البخاري: قال أبو عبد الله: وقال الليث: حدثني جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن ابن هرمز، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ : **«أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل، سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيداً، قال: فأتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركباً يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله، فلم يجد مركباً، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر فقال: اللهم إنك تعلم إني كنت تسلفت**

---

(٣٥) سنن ابن ماجه كتاب : التجارات باب : ما لا يحل بيعه رقم الحديث : ٢١٦٧ الجزء :٢ الصفحة :٧٣٢

(٣٦) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: البيوع باب:حسن المعاملة والرفق في المطالبة رقم الحديث :٤٧٩٤ الجزء :٧ الصفحة :٣١٨

فلاناً ألف دينار، فسألني كفيلاً فقلت: كفى بالله كفيلا، فرضي بك، وسألني شهيداً فقلت: كفى بالله شهيداً، فرضي بك، وأني جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني أستودعكها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي أسلفه، ينظر لعل مركباً قد جاء بماله، فإذا الخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطباً، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه، فأتى بالألف دينار، فقال: والله ما زلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إلي بشيء؟ قال: أخبرك إني لم أجد مركباً قبل الذي جئت فيه، قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف دينار راشداً » (٣٧).

فضل الغرس والزرع:

قال الإمام مسلم: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث. وحدثنا محمد ابن رمح، أخبرنا الليث، عن أبي الزبير، عن جابر: أن رسول الله ﷺ دخل على أم معبد الأنصارية، في نخل لها، فقال لها رسول الله ﷺ : **«من غرس هذا النخل ؟ أمسلم أم كافر ؟ »** فقالت: بل مسلم. فقال: **«لا يغرس مسلم غرسا، ولا يزرع زرعا، فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء، إلا كانت له صدقة »** (٣٨).

---

(٣٧) صحيح البخاري كتاب : الكفالة حديث رقم ٢٢٩١.

(٣٨) صحيح مسلم كتاب : المساقاة باب : فضل الغرس والزرع رقم الحديث :٨ الجزء :٣ الصفحة :١١٨٨.

آداب الطعام والشراب:

قال الإمام مسلم: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث. وحدثنا محمد ابن رمح، أخبرنا الليث عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله، عن رسول الله ﷺ قال: **«لا تأكلوا بالشمال، فإن الشيطان يأكل بالشمال»** [٣٩].

النهى عن الأكل والشرب فى آنية الذهب والفضة:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا محمد بن رمح، أنبأنا الليث بن سعد، عن نافع، عن زيد بن عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، عن أم سلمة أنها أخبرته، عن رسول الله ﷺ قال: **«إن الذى يشرب فى إناء الفضة إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم»** [٤٠].

الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها وإطفاء السراج والنار عند النوم وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب:

قال الإمام مسلم: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث. وحدثنا محمد بن رمح، أخبرنا الليث، عن أبي الزبير، عن جابر، عن رسول الله ﷺ: أنه قال: **«غطوا الإناء، وأوكوا السقاء، وأغلقوا الباب، وأطفئوا السراج، فإن الشيطان لا يحل سقاء، ولا يفتح باباً، ولا يكشف إناء، فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرض على إنائه عوداً، ويذكر اسم الله، فليفعل، فإن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيتهم»**. ولم يذكر قتيبة في حديثه: وأغلقوا الباب [٤١].

---

(٣٩) صحيح مسلم كتاب:الأشربة باب: آداب الطعام والشراب وأحكامهما رقم الحديث :١٠٤ الجزء :٣ الصفحة :١٥٩٨

(٤٠) سنن ابن ماجه كتاب : الأشربة باب : الشرب في آنية الفضة رقم الحديث :٣٤١٣ جـ :٢ ص :١١٣٠

(٤١) صحيح مسلم كتاب: الأشربة باب: الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها وإطفاء السراج والنار عند النوم وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب رقم الحديث :٩٦ الجزء :٣ الصفحة :١٥٩٤

وقال الإمام مسلم: حدثني عمرو الناقد، حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا الليث بن سعد، حدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد، الليثي، عن يحيى بن سعيد، عن جعفر بن عبد الله بن الحكم، عن القعقاع بن حكيم، عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«غطوا الإناء، وأوكوا السقاء، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء، لا يمر بإناء ليس عليه غطاء، أو سقاء ليس عليه وكاء، إلا نزل فيه من ذلك الوباء»** (٤٢).

إطعام الخادم:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا عيسى بن حماد المصري، أنبأنا الليث ابن سعد، عن جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ : **«إذا أحدكم قرَّبَ إليه مملوكه طعاماً قد كفاه عناءه وحره فليدعه فليأكل معه، فإن لم يفعل فليأخذ لقمة فليجعلها في يده»** (٤٣).

إطعام الطعام وإفشاء السلام:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا محمد بن رمح، أنبأنا الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن عبد الله بن عمرو، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الإسلام خير؟ قال: **«تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت و من لم تعرف»** (٤٤).

---

(٤٢) صحيح مسلم كتاب: الأشربة باب: الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها وإطفاء السراج والنار عند النوم وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب رقم الحديث :٩٩ الجزء :٣ الصفحة :١٥٩٦

(٤٣) سنن ابن ماجه كتاب : الأطعمة باب: إذا أتاه خادمه بطعامه فليناوله منه رقم الحديث:٣٢٩٠ الجزء :٢ الصفحة :١٠٩٤

(٤٤) سنن ابن ماجه كتاب : الأطعمة باب : إطعام الطعام رقم الحديث :٣٢٥٣ الجزء :٢ الصفحة :١٠٨٣

التعوذ من الجوع:

قال الإمام ابن مـاجة: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حـدثنا إسحاق بن منصـور، حـدثنا هريم، عن ليث، عن كـعب، عن أبي هريرة قـال: كـان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الجوع، فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة، فإنها بئست البطانة**» (٤٥).

ماذا يفعل الإنسان إذا أراد أن يضحى ؟

قال الإمـام النسائي: أخبرنا محـمد بن عـبد الله بن عـبد الحكم عن شعـيب قال: أخـبرنا الليث قـال: حدثنا خـالد بن يزيد عن ابن أبي هلال عن عمرو بن مـسلم أنه قال: أخبرني ابن المسيب أن أم سلمة زوج النبي ﷺ أخـبـرته أن رسـول الله ﷺ قـال: «**من أراد أن يضـحي فـلا يقلم من أظفاره ولا يحلق شيئاً من شعره في عشر الأول من ذي الحجة**» (٤٦).

ما لا يجوز في الأضحية:

قال الإمـام النسائي: أخـبرنا سليـمان بن داود عن ابـن وهب قال: أخـبرني عـمرو بـن الحارث والليث بن سـعـد وذكر آخـر وقدمـه، أن سليـمان بن عـبد الرحـمن حدثهـم عن عبـيد بن فـيروز عن البـراء بن عازب قال: سمعت رسول الله ﷺ وأشار بأصابعه وأصابعي أقصر من أصابع رسـول الله ﷺ يشيـر بأصبـعن يقول: «**لا يجوز من الضـحايا: العوراء البين عورها، والعـرجاء البين عرجها، والمريضة البـين مرضها، والعجفاء(*) التي لا تنقى**» (٤٧).

---

(٤٥) سنن ابن ماجه كتاب : الأطعمة باب : التعوذ من الجوع رقم الحديث :٣٣٥٤ الجزء :٢ الصفحة :١١١٣

(٤٦) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: الضحايا رقم الحديث :٤٣٦٢ الجزء :٧ الصفحة :٢١٢

(*) العجفاء: المهزولة من الغنم وغيرها، النهاية ٣/ ١٨٦ مادة عجف.

(٤٧) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: الضحايا باب: العجفاء رقم الحديث:٤٣٧١ الجزء:٧ الصفحة :٢١٥

إشارة الحاكم على الخصم بالصلح:

قال الإمام البخاري: حدثنا يحيى بن بكير: حدثنا الليث: حدثني جعفر بن ربيعة، وقال غيره: حدثني الليث قال: حدثني جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن بن هرمز، عن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري، عن كعب بن مالك رضي الله عنه: أنه كان له على عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي دين، فلقيه فلزمه، فتكلما حتى ارتفعت أصواتهما، فمر بهما النبي ﷺ، فقال: «**يا كعب**» وأشار بيده، كأنه يقول: النصف، فأخذ نصف ما عليه وترك نصفاً (٤٨).

فضل الجهاد والرباط في سبيل الله:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني الليث، عن زهرة بن معبد، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «**من مات مرابطاً فى سبيل الله، أجرى عليه أجر عمله الصالح الذى كان يعمل، و أجرى عليه رزقه، وأمن من الفتان، و بعثه الله يوم القيامة آمناً من الفزع**» (٤٩).

وقال الإمام الترمذي: حدثنا قتيبة: حدثنا الليث عن ابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة حق على الله عونهم المجاهد فى سبيل الله، والمكاتب الذى يريد الأداء، والناكح الذى يريد العفاف**» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن (٥٠).

---

(٤٨) صحيح البخاري كتاب: كتاب الخصومات باب: باب الملازمة رقم الحديث: ٦٤٥ الجزء: ٣ الصفحة: ٢٥٩

(٤٩) سنن ابن ماجه كتاب: الجهاد باب: فضل الرباط في سبيل الله رقم الحديث: ٢٧٦٧ الجزء: ٢ الصفحة: ٩٢٤

(٥٠) سنن الترمذي كتاب: فضائل الجهاد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب: ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب وعون الله إياهم رقم الحديث: ١٦٥٥ الجزء: ٤ الصفحة: ١٥٧

وقال الإمام النسائي: أخبرنا قتيبة قال: حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن أبي الخطاب، عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ عام تبوك يخطب الناس وهو مسند ظهره إلى راحلته فقال: **«ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس، إن من خير الناس رجلا عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدمه حتى يأتيه الموت، وإن من شر الناس رجلا فاجرا يقرأ كتاب الله لا يرعوي إلا شيء منه»** (٥١).

وقال الإمام النسائي: أخبرنا محمد بن عامر قال: حدثنا منصور بن سلمة قال: أخبرنا الليث بن سعد عن ابن الهاد، عن سهيل بن أبي صالح، عن صفوان بن أبي يزيد، عن القعقاع بن اللجلاج، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : **«لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد، ولا يجتمع الشح والإيمان في جوف عبد»** (٥٢).

من فضائل عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

قال الإمام البخاري: حدثنا سعيد بن أبي مريم: أخبرنا الليث قال: حدثني عقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني سعيد بن المسيب: أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: **«بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر، فذكرت غيرته، فوليت مدبراً»**. فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله (٥٣).

---

(٥١) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: الجهاد باب:فضل من عمل في سبيل الله على قدمه رقم الحديث:٣١٠٦ الجزء :٦ الصفحة:١١

(٥٢) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: الجهاد باب:فضل من عمل في سبيل الله على قدمه رقم الحديث :٣١١٢ الجزء :٦ الصفحة :١٣

(٥٣) صحيح البخاري كتاب: فضائل الصحابة باب : مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه رقم الحديث :٢٠٠ الجزء :٥ الصفحة :٧٠

وجوب الإحداد في عدة الوفاة وتحريمه في غير ذلك إلا ثلاثة أيام:

قال الإمام مسلم: حدثنا يحيى بن يحيى، وقتيبة، وابن رمح، عن الليث بن سعد، عن نافع: أن صفية بنت أبي عبيد حدثته عن حفصة، أو عن عائشة، أو عن كلتيهما: أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أو تؤمن بالله ورسوله أن تحد على ميت فوق ثلاثة أيام، إلا على زوجها»** (٥٤).

العلاج بالحبة السوداء:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا محمد بن رمح ومحمد بن الحارث المصريان، قالا: حدثنا الليث بن سعد، عن ابن شهاب، أخبرني أبو سلمة ابن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب، أن أبا هريرة أخبرهما، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«إن في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام»** والسام الموت، والحبة السوداء الشونيز (٥٥).

تحريم لبس خاتم الذهب والحرير على الرجال:

قال الإمام النسائي: أخبرنا قتيبة قال: حدثنا الليث عن يزيد ابن أبي حبيب عن أبي أفلح الهمداني عن ابن زرير أنه سمع علي بن أبي طالب يقول: إن نبي الله ﷺ أخذ حريراً فجعله في يمينه وأخذ ذهباً فجعله في شماله ثم قال: **«إن هذين حرام على ذكور أمتي»** (٥٦).

---

(٥٤) صحيح مسلم كتاب : الطلاق باب : وجوب الإحداد في عدة الوفاة وتحريمه في غير ذلك إلا ثلاثة أيام رقم الحديث :٦٥ الجزء :٢ الصفحة :١١٢٧

(٥٥) سنن ابن ماجة كتاب: الطب باب: الحبة السوداء رقم الحديث: ٣٤٤٧ ج ٢ ط ١١٤١

(٥٦) سنن النسائي كتاب: الزينة من السنن باب: تحريم الذهب على الرجال رقم الحديث: ٥١٤٤ ج ٨ ص ١٦٠.

صلة الرحم:

قال الإمام مسلم: حدثني عبد الملك بن شعيب بن الليث، حدثني أبي، عن جدي، حدثني عقيل بن خالد، قال: قال ابن شهاب: أخبرني أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: **«من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه»** (٥٧).

حق الجار:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا يزيد بن هارون وعبدة بن سليمان وحدثنا محمد بن رمح، أنبانا الليث بن سعد جميعاً عن يحيى بن سعيد، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن عمرة، عن عائشة، أن رسول الله ﷺ قال: **«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»** (٥٨).

وقال الإمام البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف: حدثنا الليث قال: حدثني سعيد المقبري، عن أبي شريح العدوي قال: سمعت أذناي، وأبصرت عيناي، حين تكلم النبي ﷺ فقال: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته»**. قال: وما جائزته يا رسول الله ؟ قال: **«يوم وليل، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»** (٥٩).

---

(٥٧) صحيح مسلم كتاب الأدب والبر والصلة باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها رقم الحديث ٢١ ج٢ ص ١٥٨٢

(٥٨) سنن ابن ماجه كتاب: الأدب باب: حق الجوار رقم الحديث :٣٦٧٣ الجزء :٢ الصفحة:١٢١١

(٥٩) صحيح البخاري كتاب : الأدب باب : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره) رقم الحديث :٩٠٢ الجزء :٨ الصفحة :٣٢٩

البيعة على السمع والطاعة:

قال الإمام النسائي: أخبرنا الإمام أبو عبد الرحمن النسائي من لفظه قال: أخبرنا قتيبة بن سعيد قال: ثنا الليث عن يحيى بن سعيد عن عبادة ابن الوليد بن عبادة بن الصامت عن عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في اليسر والعسر والمنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم بالحق حيث كانا لا نخاف لومة لائم (٦٠).

بطانة الإمام:

قال الإمام النسائي: أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن شعيب عن الليث عن عبيد الله بن أبي جعفر عن صفوان عن أبي سلمة عن أبي أيوب أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما بعث من نبي ولا كان بعده من خليفة إلا وله بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خبالاً، فمن وقي بطانة السوء فقد وقي**» (٦١).

الدين النصيحة:

قال الإمام النسائي: أخبرنا الربيع بن سليمان قال: ثنا شعيب بن الليث قال: ثنا الليث عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة**» قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**» (٦٢).

---

(٦٠) سنن النسائي (المجتبى) كتاب : البيعة باب : البيعة على السمع والطاعة رقم الحديث:٤١٤٩ الجزء :٧ الصفحة :١٣٧

(٦١) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: البيعة باب : بطانة الإمام رقم الحديث :٤٢٠٣ الجزء :٧ الصفحة :١٥٨

(٦٢) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: البيعة باب : النصيحة للإمام رقم الحديث :٤١٩٩ الجزء:٧ الصفحة :١٥٧

فضل بناء المساجد:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا يونس بن محمد، قال: حدثنا ليث بن سعد وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا داود بن عبد الله الجعفري، عن عبد العزيز بن محمد جميعاً عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد، عن الوليد بن أبي الوليد، عن عثمان بن عبد الله بن سراقة العدوي، عن عمر بن الخطاب، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من بنى مسجداً يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتاً في الجنة»** (٦٣).

فضل الصلاة في المسجد النبوي:

قال الإمام النسائي: أخبرنا قتيبة قال: حدثنا الليث عن نافع، عن إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن عباس أن ميمونة زوج النبي ﷺ قالت: من صلى في مسجد رسول الله ﷺ فإني سمعت رسول الله يقول: **«الصلاة فيه أفضل من ألف صلاة في سواه. إلا مسجد الكعبة»** (٦٤).

ماذا يقول الرجل عند دخول المسجد:

قال الإمام الترمذي: حدثنا: علي بن حجر حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن ليث عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عن جدتها فاطمة الكبرى قالت: كان رسول الله ﷺ، إذا دخل المسجد قال: **«رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك»**، وإذا خرج صلى على محمد وسلم، وقال: **«رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك»** (٦٥).

---

(٦٣) سنن ابن ماجه كتاب : المساجد و الجماعات باب : من بنى لله مسجداً رقم الحديث:٧٣٥ الجزء :١ الصفحة :٢٤٣

(٦٤) سنن النسائي (المجتبى) كتاب : المساجد باب :فضل الصلاة في المسجد الحرام رقم الحديث :٦٩١ الجزء :٢ الصفحة :٣٣

(٦٥) سنن الترمذي كتاب: أبواب الصلاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب: ما جاء ما يقول عند دخول المسجد رقم الحديث :٣١٤ الجزء :٢ الصفحة :١٢٧

احفظ الله يحفظك:

قال الإمام الترمذي: حدثنا أحمد بن محمد بن موسى. أخبرنا عبد الله بن المبارك. أخبرنا ليث بن سعد وابن لهيعة. عن قيس بن الحجاج قال وحدثنا عبد الله بن عبد الرحمن. أخبرنا أبو الوليد. حدثنا ليث بن سعد. حدثني قيس بن الحجاج المعنى واحد عن حنش الصنعاني عن ابن عباس، قال: كنت خلفت رسول الله ﷺ يوماً، فقال: **«يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»** قال: هذا حديث حسن صحيح (٦٦).

الصبر على البلاء:

قال الإمام الترمذي: حدثنا قتيبة. حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن سعد بن سنان عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة»** وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: **«إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»** قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه(٦٧).

صياح الديكة ونهيق الحمير:

قال الإمام البخاري: حدثنا قتيبة: حدثنا الليث، عن جعفر بن ربيعة، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: **«إذا**

---

(٦٦) سنن الترمذي كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : رقم الحديث:٢٥١٦ الجزء:٤ الصفحة :٥٧٥

(٦٧) سنن الترمذي كتاب: الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب: ما جاء في الصبر على البلاء رقم الحديث :٢٣٩٦ الجزء :٤ الصفحة :٥١٩

سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنه رأى شيطاناً» (٦٨).

التحذير من المحرمات:

قال الإمام البخاري: حدثني يحيى بن بكير: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن أبي بكر بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة، يرفع الناس إليه فيها أبصارهم، وهو مؤمن**». وعن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ : بمثله، إلا النهبة(٦٩).

توضيح الأمر المشكل:

قال الإمام البخاري: حدثنا سعيد بن عفير قال: حدثني الليث قال: حدثني عبد الرحمن بن خالد، عن ابن شهاب، عن علي بن حسين: أن صفية زوج النبي ﷺ أخبرته: أنها جاءت رسول الله ﷺ تزوره، وهو معتكف في المسجد، في العشر الأواخر من رمضان، ثم قامت تنقلب فقام معها رسول الله ﷺ، حتى إذا بلغ قريباً من باب المسجد، عند باب أم سلمة زوج النبي ﷺ، مر بهما رجلان من الأنصار، فسلما على رسول الله ﷺ ثم نفذا، فقال لهما رسول الله ﷺ: «**على رسلكما**» قالا: سبحان الله يارسول الله، وكبر عليهما ذلك، فقال رسول الله ﷺ:

---

(٦٨) صحيح البخاري كتاب: بدء الخلق باب :خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال رقم الحديث:١٤٦٣ الجزء ٤ الصفحة:٥٧٦

(٦٩) صحيح البخاري كتاب : التعبير باب : ما يحذر من الحدود الزنا وشرب الخمر رقم الحديث :١٦١٩ الجزء :٩

«إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً»(٧٠).

ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا ابن أبي مريم، حدثنا الليث، حدثني عامر بن يحيى، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول ﷺ: **«يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رءوس الخلائق فينشر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر، ثم يقول الله عز وجل: هل تنكر من هذا شيئاً ، فيقول: لا يا رب: فيقول: أظلمتك كتبتي الحافظون ؟ ثم يقول: ألك عن ذلك حسنة ؟ فيهاب الرجل فيقول: لا، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنات، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، قال: فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة»** قال محمد بن يحيى: البطاقة الرقعة، وأهل مصر يقولون للرقعة بطاقة (٧١).

لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمه الله تعالى:

قال الإمام مسلم: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث، عن بكير، عن بسر بن سعيد، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: **«لن ينجي أحدا منكم عمله»** قال رجل: ولا إياك ؟ يا رسول الله قال: **«ولا إياي، إلا أن يتغمدني الله منه برحمة، ولكن سددوا»** (٧٢).

---

(٧٠) صحيح البخاري كتاب :أبواب الخمس باب : ما جاء في بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وما نسب من البيوت إليهن وقول الله تعالى وقرن في بيوتكن و لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم. رقم الحديث :١٢٧٣ الجزء :٤ الصفحة :٥٠٧

(٧١) سنن ابن ماجه كتاب : الزهد باب : ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة رقم الحديث: ٤٣٠٠ الجزء :٢ الصفحة :١٤٣٧

(٧٢) صحيح مسلم كتاب :باب صفة القيامة والجنة والنار باب: لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى رقم الحديث :٧١ الجزء :٤ الصفحة :٢١٦٩

من دعاء النبي ﷺ :

قال الإمام أبو داود: حدثنا قتيبة بن سعيد، ثنا الليث، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أخيه عباد بن أبي سعيد أنه سمع أبا هريرة يقول: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الأربع: من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع**»(٧٣).

وقال الإمام ابن ماجة: حدثنا محمد بن رمح، حدثنا الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن أبي بكر بن الصديق، أنه قال لرسول الله ﷺ : علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: قل: «**اللهم إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لى مغفرة من عندك، وارحمنى، إنك أنت الغفور الرحيم**»(٧٤).

وقال الإمام مسلم: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث. وحدثنا محمد بن رمح واللفظ له، أخبرنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن الحارث بن يعقوب، أن يعقوب بن عبد الله حدثه، أنه سمع بسر ابن سعيد يقول: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: سمعت خولة بنت حكيم السلمية تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من نزل منزلا، ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء، حتى يرتحل من منزله ذلك**»(٧٥).

وقال الإمام الترمذى: حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن الجلاح أبي كثير

---

(٧٣) سنن أبي داود كتاب:باب تفريع أبواب الوتر كتاب الوتر باب: في الاستعاذة رقم الحديث :١٥٤٨ الجزء :٢ الصفحة :٩٣

(٧٤) سنن ابن ماجه كتاب: الدعاء باب :دعاء رسول الله صلى الله عليه و سلم رقم الحديث: ٣٨٣٥ الجزء :٢ الصفحة:١٢٦١

(٧٥) صحيح مسلم كتاب : الدعوات الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار باب : في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره رقم الحديث :٥٤ الجزء :٤ الصفحة :٢٠٨٠

عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عمارة بن شبيب السبائي قال: قال رسول الله ﷺ : من قال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات على إثر المغرب بعث الله مسلحة(*) يحفظونه من الشيطان حتى يصبح، وكتب الله له بها عشر حسنات موجبات، ومحى عنه عشر سيئات موبقات، وكانت له بعدل عشر رقاب مؤمنات**» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث ليث بن سعد، ولا نعرف لعمارة سماعاً عن النبي ﷺ (٧٦).

وقال الإمام النسائي: أخبرنا قتيبة قال: حدثنا الليث عن ابن عجلان عن سعيد المقبري عن عقبة بن عامر قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ فقال: «**يا عقبة قل**»، فقلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ فسكت عني ثم قال: «**يا عقبة قل**»، قلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ فسكت عني فقلت: اللهم اردده علي، فقال: «**يا عقبة قل**»، قلت: ماذا أقول يا رسول الله الله؟ فقال «**قل أعوذ برب الفلق**» فقرأتها حتى أتيت على آخرها، ثم قال: قل، قلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ قال: «**قل أعوذ برب الناس**» فقرأتها حتى أتيت على آخرها، ثم قال: رسول الله ﷺ عند ذلك: «**ما سأل سائل بمثلهما ولا استعاذ مستعيذ بمثلها**» (٧٧).

وقال الإمام النسائي: أخبرنا محمد بن عبد الله بنعبد الحكم عن شعيب عن الليث عن يزيد بن الهاد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الكسل،**

(*) المسلحة: القوم الذين يحفظون الثغور من العدو، النهاية ٢/ ٣٨٨ مادة سلح.

(٧٦) سنن الترمذي كتاب : الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم الحديث:٣٥٣٤ الجزء :٥ الصفحة :٥٠٨

(٧٧) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: الاستعاذة باب: الاستعاذة رقم الحديث :٥٤٣٨ الجزء:٨ الصفحة :٢٥٣

والهرم، والمغرم، والمأثم، وأعوذ بك من شر المسيح الدجال، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من عذاب النار»(٧٨).

وقال الإمام النسائي: أخبرنا أبو عاصم قال: حدثنا القاسم بن كثير المقري عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن سليمان بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: في دعائه: **«اللهم إني أعوذ بك من فتنة القبر، وفتنة الدجال، وفتنة المحيا والممات»** قال أبو عبد الرحمن: هذا خطأ، والصواب سليمان بن سنان (٧٩).

وقال الإمام أبو داود: حدثنا أحمد بن سعيد الهمداني قال: أخبرنا، وثنا الربيع بن سليمان قال: ثنا ابن وهب قال: أخبرني الليث، عن سعيد بن بشير البخاري، عن محمد بن عبد الرحمن البيلماني - قال الربيع: ابن البيلماني- عن أبيه عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من قال حين يصبح " فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون " إلى " كذلك تخرجون " أدرك ما فاته في يومه ذلك، ومن قالهن حين يمسي أدرك ما فاته»** قال الربيع: عن الليث(٨٠).

القراءة عند النوم:

قال الإمام البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف: حدثنا الليث قال: حدثني عقيل، عن ابن شهاب: أخبرني عروة، عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه نفث في يديه، وقرأ بالمعوذات، ومسح بهما جسده (٨١).

---

(٧٨) سنن النسائي (المجتبى) كتاب : الاستعاذة باب : الاستعاذة من الهرم رقم الحديث: ٥٤٩٠ الجزء :٨ الصفحة :٢٦٩

(٧٩) سنن النسائي (المجتبى) كتاب : الاستعاذة باب : الاستعاذة من فتنة القبر رقم الحديث: ٥٥١٥ الجزء :٨ الصفحة :٢٧٧

(٨٠) سنن أبي داود كتاب: الأدب باب: ما يقول إذا أصبح رقم الحديث :٥٠٧٦ الجزء :٤ ص :٣٢١

(٨١) صحيح البخاري كتاب: الدعوات باب: التعوذ والقراءة عند النوم رقم الحديث :١١٨٩ الجزء :٨ الصفحة :٤٢٣

الحلف بالله :

قال الإمام البخاري: حدثنا قتيبة: حدثنا ليث، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب وهو يحلف بأبيه، فناداهم رسول الله ﷺ : **«ألا، إن الله نهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله، وإلا فليصمت»** (٨٢).

إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله :

قال الإمام البخاري: حدثنا يحيى بن بكير: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما خير النبي ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يأثم، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه، والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط، حتى تنتهك حرمات الله، فينتقم لله (٨٣).

إقامة الحدود على الشريف والوضيع وكراهية الشفاعة فى الحد إذا رفع إلى السلطان:

قال الإمام البخاري: حدثنا قتيبة بن سعيد: حدثنا ليث، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها: أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله ﷺ، فَكَلَّمَهُ أسامة، فقال رسول الله ﷺ : **«أتشفع فى حد من حدود الله»**. ثم قام فاختطب ثم قال: **«إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم**

---

(٨٢) صحيح البخاري كتاب: الأدب باب: من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً رقم الحديث:٦٨٩ الجزء:٨ الصفحة:٣٥٤

(٨٣) صحيح البخاري كتاب : الحدود باب : إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله رقم الحديث :١٦٣٤ الجزء :٩

الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[٨٤].

كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته:

قال الإمام مسلم: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث وحدثنا محمد بن رمح، حدثنا الليث عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ: أنه قال: **«ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده، وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته»**[٨٥].

حد التلصص:

قال الإمام النسائي: أخبرنا قتيبة قال: حدثنا الليث عن ابن شهاب أن سهل بن سعيد الساعدي أخبره: أن رجلاً اطلع من جحر في باب النبي ﷺ، ومع رسول الله ﷺ مدرى يحك بها رأسه، فما رآه رسول الله ﷺ قال: **«لو علمت أنك تنظرني لطعنت به في عينك، إنما جعل الإذن من أجل البصر»** [٨٦].

---

(٨٤) صحيح البخاري كتاب :كتاب الأنبياء باب :(حديث الغار) رقم الحديث :١١ الجزء: ٥الصفحة :٩

(٨٥) صحيح مسلم كتاب : الإمارة. رقم الحديث : ٤٨٢٨.

(٨٦) سنن النسائي (المجتبى) كتاب: القسامة باب: ذكر حديث عمرو بن حزم في العقول واختلاف الناقلين له. رقم الحديث:٤٨٥٩ الجزء :٨ الصفحة :٦٠

الرؤيا الصادقة كانت بداية الوحى على رسول الله ﷺ :

قال الإمام البخارى: حدثنا يحيى بن بكير: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب. وحدثني عبد الله بن محمد: حدثنا عبد الرزاق: حدثنا معمر: قال الزهري: فأخبرني عروة، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فكان يأتي حراء يتحنث فيه، وهو التعبد، الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها، حتى فجئه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه، فقال: اقرأ، فقال النبي ﷺ : **«فقلت ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلنى فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلنى فقال: اقرأ ،فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: " اقرأ باسم ربك الذى خلق " حتى بلغ " علم الإنسان ما لم يعلم»** . فرجع بها ترجف بوادره، حتى دخل على خديجة، فقال ﷺ **«زملوني زملوني»**. فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال: **«يا خديجة ما لي»** وأخبرها الخبر، وقال: **«قد خشيت على نفسى»** فقالت له: كلا، أبشر، فوالله لا يخزنك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: أي ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة: ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره النبي ﷺ ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل موسى، يا ليتني فيها جذعاً، أكون حياً حين يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ : **«أو مخرجى هم »**. فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني

يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفى، وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ، فيما بلغنا، حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقى منه نفسه تبدى له جبريل، فقال: يا محمد، إنك رسول الله حقاً. فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه، فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك. قال ابن عباس: " فالق الإصباح ": ضوء الشمس بالنهار، وضوء القمر بالليل(٨٧).

رؤية النبي ﷺ في المنام:

قال الإمام مسلم: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث. وحدثنا ابن رمح، أخبرنا الليث، عن أبي الزبير، عن جابر: أن رسول الله ﷺ قال: **«من رآني في النوم فقد رآني، إنه لا ينبغي للشيطان أن يتمثل في صورتي»**. وقال: **«إذا حلم أحدكم فلا يخبر أحداً بتلعب الشيطان به في المنام»** (٨٨).

من رأى رؤيا يكرهها:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا محمد بن رمح، حدثنا الليث بن سعد، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ، قال: **«الرؤيا من الله والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه فليبصق عن يساره ثلاثاً، وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثاً، وليتحول عن جنبه الذى كان عليه»**(٨٩).

---

(٨٧) صحيح البخارى كتاب: التعبير باب: أول ما بدء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة رقم الحديث: ١٨١٤ الجزء: ٩

(٨٨) صحيح مسلم كتاب: الرؤيا باب: قول النبي عليه الصلاة والسلام (من رآني في المنام فقد رآني) رقم الحديث :١٢ الجزء :٤ الصفحة :١٧٧٦

(٨٩) سنن ابن ماجه كتاب: تعبير الرؤيا باب من رأى رؤيا يكرهها رقم الحديث :٣٩٠٩ الجزء :٢ الصفحة :١٢٨٦

فتنة النساء:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا محمد بن رمح، أنبأنا الليث بن سعد، عن ابن الهاد، عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر، عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«يا معشر النساء تصدقن، وأكثرن من الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله، أكثر أهل النار ؟ قال: تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن»** قالت: يا رسول الله، وما نقصان العقل والدين؟ قال: **«أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا من نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلي، وتفطر في رمضان، فهذا من نقصان الدين»** [٩٠].

نزول عيسى ابن مريم عليه السلام:

قال الإمام مسلم: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث. وحدثنا محمد ابن رمح، أخبرنا الليث عن ابن شهاب، عن ابن المسيب أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ : **«والذي نفسي بيده! ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»** [٩١].

شر الناس:

قال الإمام البخاري: حدثنا قتيبة: حدثنا الليث، عن يزيد بن أبي

---

(٩٠) سنن ابن ماجه كتاب : الفتن باب : فتنة النساء. رقم الحديث :٤٠٠٣ الجزء:٢ الصفحة: ١٣٢٦

(٩١) صحيح مسلم كتاب : الايمان باب : نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. رقم الحديث :٢٤٢ الجزء:١ الصفحة : ١٣٥

حبيب، عن عراك، عن أبي هريـرة: أنه سمع رسول اللـه ﷺ يقول: **« إن شر الناس ذو الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه »** (٩٢).

قول النبي ﷺ (بعثت بجوامع الكلم) والكذب على النبى :

قال الإمام البخاري: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله: حدثنا الليث، عن سعيد، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله أومن، أو آمن، عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أنى أكثرهم تابعاً يوم القيامة»**(٩٣).

وقال الإمام ابن ماجة: حدثنا محمد بن رمح المصري، حدثنا الليث ابن سعد، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ : **«من كذب علي حسبته، قال: متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»** (٩٤).

من سن سنة حسنة أو سيئة:

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا عيسى بن حماد المصري، حدثنا الليث ابن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان، عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«أيما داع دعا إلى ضلالة فاتبع، فإن له مثل أوزار من اتبعه، ولا ينقص من أزوارهم شيئاً، وأيما داع دعا إلى هدى فاتبع، فإن له مثل أجور من اتبعه، ولا ينقص من أجورهم شيئاً»** (٩٥).

---

(٩٢) صحيح البخاري كتاب: الأحكام باب: ما يكره من ثناء السلطان وإذا خرج قال غير ذلك رقم الحديث:١٩٩٥ الجزء:٩ الصفحة:٧١٥

(٩٣) صحيح البخاري كتاب : الاعتصام بالكتاب والسنة باب : قول النبي صلى الله عليه وسلم (بعث بجوامع الكلم) رقم الحديث : ٢٠٨٣ الجزء :٩ الصفحة :٧٤٥

(٩٤) سنن ابن ماجه كتاب :باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم و التغليظ على من عارضه باب :باب التغليظ في تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه و سلم رقم الحديث :٣٢ الجزء :١ الصفحة :١٣

(٩٥) سنن ابن ماجه كتاب :باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم و التغليظ على من عارضه باب :باب من سن سنة حسنة أو سيئة رقم الحديث :٢٠٥ الجزء :١ الصفحة :٧٥

وقال الإمام ابن ماجة: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو معاوية، عن ليث، عن بشير بن نهيك ، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ : **«ما من داع يدعو إلى شيء إلا وقف يوم القيامة لازماً لدعوته ما دعا إليه، وإن دعا رجل رجلاً»** (٩٦).

التوحيد والقرآن:

قال الإمام البخاري: حدثنا يحيى بن بكير: حدثنا الليث بن سعد، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال: **«هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً»**. قلنا: لا، قال: **«فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما»**. ثم قال: **« ينادي مناد: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد الله، من بر أو فاجر، وغبرات من أهل الكتاب، ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب، فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون ؟ قالوا: كنا نعبد عزيز ابن الله، فيقال: كذبتم، لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون ؟ قالوا: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا، فيتساقطون في جهنم. ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال: كذبتم، لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون ؟ فيقولون: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا، فيتساقطون، حتى يبقى من كان يعبد الله، من بر أو فاجر، فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس ؟ فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم، وإنا سمعنا منادياً ينادي: ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون، وإنما**

---

(٩٦) سنن ابن ماجه كتاب :باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم والتغليظ على من عارضه باب : من سن سنة حسنة أو سـيئة رقم الحديث :٢٠٨ الجزء : ١ الصفحة ٧٥.

ننتظر ربنا، قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه، فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة، فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً، ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم).
قلنا: يا رسول الله، وما الجسر ؟ قال: (**مدحضة مزلة(*)، عليه خطاطيف وكلاليب، وحسكة(**) مفلطحة لها شوكة عقيفة، تكون بنجد، يقال لها: السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحباً، فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار، وإذا رأوا أنهم قد نجوا، في إخوانهم، يقولون ربنا إخواننا، كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه، ويحرم الله صورهم على النار، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه، وإلى أنصاف ساقيه فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا».**
قال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقرؤوا: «**إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها**». (فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبار: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار، فيخرج أقواماً قد امتحشوا، فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له: ماء الحياة، فينبتون في

(*) المزلة: مفعلة من زل يزل زلق وتفتح الزاى وتكسر أراد أنه تزلق عليه الأقدام ولا تثبت، النهاية ٢/ ٣١٠ مادة زلل.

(**) الحسك: شوكة صلبة معروفة. النهاية ١/ ٣٨٦ مادة حسك.

حـافتـه كمـا تنبت الحبـة في حمـيل السـيل، قد رأيتـموها إلى جـانب الصخرة، إلى جانب الشـجرة، فما كان إلى الشمس منهـا كان أخضر، وما كان منهـا إلى الظل كان أبيض، فيـخرجون كأنهم اللؤلؤ، فـيجعل في رقابهم الخـواتيم، فيـدخلوا الجنة، فيقـول أهل الجنة: هؤلاء عتـقاء الرحمن، أدخلهم الجنة بغيـر عمل عملوه، ولا خير قدمـوه فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه)[٩٧].

وقال الإمـام البخـارى: حدثنا يحيى بـن بكير: حدثنا اللـيث: حدثنا عقيل، عن ابن شهاب: حدثنا حـميد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: **«احتج آدم وموسى، فقـال موسى: أنت آدم الذى أخرجت ذريتك من الجنـة ؟ قـال آدم: أنت مـوسى الذي اصطفـاك الـله برسـالاته وكـلامـه، ثم تلومنى على أمـر قـد قـدر علي قـبل أن أخلق ؟ فـحج آدم موسى»**[٩٨].

وقال الإمام البخارى: حدثنا يحيى بن بكير: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شـهاب: أخبـرني أبو سلمة بن عـبد الرحـمن، عن أبي هريرة أنه كـان يقـول: قـال رسـول الله ﷺ: **«مـا أذن الله لشيء مـا أذن للنبى ﷺ يتغنى بالقرآن»**. وقال صاحب له: يريد: أن يجهر به[٩٩].

وقال الإمام البخارى: حدثنا يحيى بن بكير: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهـاب: حدثني عروة: أن المسور بن مـخرمة وعبـد الرحمن بن

---

(٩٧) صحيح البخاري كـتاب : التوحيد باب : قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) رقم الحديث :٢٢٣٩ الجزء :٩ الصفحة :٧٩٨

(٩٨) صحيح البخاري كتاب : التوحيد باب : قوله (وكلم الله موسى تكليماً) رقم الحديث : ٢٣١٤ الجزء :٩ الصفحة :٨٢٣

(٩٩) صحيح البخاري كتاب : التوحـيد باب: قول الله تعالى (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فـزع عن قلوبهم قالوا ماذا قـال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبـير) ولم يقل ماذا خلق ربكم رقم الحديث :٢٢٨١ الجزء :٩ الصفحة :٨١٣

عبد القاري حدثاه: أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت، أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال: **«أرسله، اقرأ يا هشام»**. فقرأ القراءة التي سمعته، فقال رسول الله ﷺ: **«كذلك أنزلت»** ثم قال رسول الله ﷺ **«اقرأ يا عمر»**. فقرأت التي أقرأني، فقال : **«كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه»** (١٠٠).

منهج الإمام الليث في رواية الحديث :

وهكذا عشنا مع السنة النبوية لقطات نورانية متنوعة من خلال مرويات الإمام الليث بن سعد في الكتب الستة (محل الدراسة)، والتي شملت كل الموضوعات الدينية والدنيوية سواء كانت عقائد أم عبادات أم معاملات أم أخلاق أم حدود أم فرائض أم آداب .. إلخ، هذه الأحاديث التي أخذها الليث عن كبار علماء عصره بعد أن اتخذ لنفسه منهجاً لاختيار شيوخه، فلم يأخذ الحديث إلا عن الثقات، وهذا ما استقر أناه عندما تعرضنا لدراسة شيوخه ومن روى عنهم، والناظر المدقق في مرويات الليث يلحظ بما لا يدع مجالاً للشك أنه التزم هذا التثبت والتحري في شيوخه وفي رجال إسناده ومن روى عنهم في كل مروياته الحديثية، حيث أخذ عن ابن شهاب الزهري،

(١٠٠) صحيح البخاري كتاب : التوحيد باب: قول الله تعالى (فاقرؤوا ما تيسر منه) رقم الحديث :٢٣٤٨ الجزء :٩ الصفحة :٨٣٧.

ونافع مولى بن عمر، ويزيد بن أبي حبيب، وغيرهم.. حتى قيل إنه أدرك نيفاً وخمسين تابعياً وروى عنهم.[1]

يقول ابن حجر: «وقعت لي نسخة الليث عن نافع فيها من الأحاديث المرفوعة والموقوفة نحو المائة، ومع ذلك فكان الليث يروى عنه ما ليس عنده منه مشافهة بالواسطة، وربما روى عنه بأكثر من واسطة واحد؛ فإنه روي عن هقل بن زياد عن الأوزاعي عن داود بن عطاء عن موسى بن عقبة بن نافع، وقد سمع من ابن شهاب الزهري كثيراً، ويدخل بينه وبين الزهري الواسطة بواحد كعقيل ويونس وغيرهما، وذلك في الصحيحين، وباثنين، كما روي عن إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب، وبثلاثة كما روى عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن يزيد بن الهاد عن ابن شهاب،وبخمسة كما روى عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن يزيد بن الهاد عن إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن الزهرى. وسمع من أبي الزبير وحديثه عنه من أصحّ الحديث؛ فإنه لم يسمع منه شيئاً دلّس فيه. وقد روي عن خالد بن يزيد عن سعيد ابن أبي هلال عن محمد بن عجلان عن أبي الزبير، وما من هؤلاء الوسائط إلا من سمع منه الكتب، ولكنه كان لا يحسن التدليس، فكان لا يبالي إذا نزل في الرواية إذا لم يسمع، فقد حدّث عن هشام بن عروة وسمع من ربيعة وحدّث عن يحيى بن أيوب عن أيوب بن موسى عنه، وسمع من سعيد المصري وحدّث عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الحميد ابن جعفر عنه. وكان من سعة علمه يحدّث من لسانه بما عنده» [2].

كما أخذ الليث عن بعض علماء عصره في الأمصار الإسلامية، وكان يحاجهم فيما ينقله عنهم حتى قالوا إنه كان أثبت الناس فيما رواه عن سعيد بن أبي سعيد المدني، وروى عن نافع -كما سبق- وقالوا فيما

---

(١) صفة الصفوة للمجلد الثاني صـ ٤٧٣

(٢) الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية للحافظ ابن حجر صـ١٩ .

رواه عنه إن الليث من أثبت أصحابه، وروى عن سليم بن جبر مولى أبي هريرة (ت١٢٣ هـ) وبذلك عرف مرويات أبي هريرة من أقرب الناس إليه وأشدهم به صلة. فقد أتاح الرجل لنفسه فرصاً كثيرة عرف فيها ما كان عند الناس من مرويات من السنن والآثار.

وكان لليث منهج يرتكز على أن الأصل في الترجيح بين المرويات صدق الراوي وأمانته ودقته، أما المكان فلا اعتبار له، ذلك لأنه لا يعصم الراوي من الكذب أو يحمله على الدقة، وبذلك فكان لا يتعصب لبيئة على أخرى وإنما الأمر مرده إلى ما ينتهي إليه عنده النظر المدرك لطبيعة المروى وسنده، وبذلك حافظ الليث على ما ينبغي أن يحافظ عليه – من الموازنة الواعية بين المرويات وإيثار بعضها على بعض ، ويظهر أن مبدأ الموازنة كان أصل المبادئ عنده، وأقربها إلى نفسه، وأحبها إلى ما يزاوله من أنواع السلوك، والليث بعد هذا كله له رأيه المستقل، وحكمه فيما يعرض عليه من مشكلات، ونقده للرواية وطريقته في ترتيب تحملها، حيث كان يفضل العرض على السماع، ثم له كذلك رأيه فيما تناقلته الرواية من أحكام السلف [1].

فقد روى الخطيب البغدادي بسنده إلى أبي عبيد القاسم بن سلام بسنده هو الآخر إلى الليث أنه قال: العرض عندي أصح من السماع فإنه إذا عُرض عليّ تحفظت وإذا حدثت فربما سهوت، يقول أبو عبيد : إن المصريين حدثوه بمصر أن حديث الليث عن نافع كله عرض.

ويظهر أن المفاضلة بين العرض والسماع كانت موضع مشاحة بين الرواة وأهل الفقه في الأمصار المختلفة، فأهل العراق يفضلون السماع وأهل المدينة يسوون بينهما، أما الليث فإنه يفضل العرض لتلك الأسباب التى أبداها فيما نقل عنه، كما أنه شاع في هذا العصر الخلاف بين

---

(١) د. السيد خليل صـ١٧٤ – ١٧٦ بتصرف.

وجوب الحرص على اللفظ في الرواية وإجازة الرواية بالمعنى، وقد سأل أشهب مالكاً عن ذلك فأجابه: تجوز رواية غير ما كان عن رسول الله ﷺ بالمعنى، أما ما كان عن الرسول ﷺ فلا تجوز روايته بالمعنى. والليث فيما يبدو كان يجيز الرواية بالمعنى إن استكمل الراوي شروطها وتوافرت لديه أسبابها، والليث حين يرى فيما عرضناه الرأى، إنما يستلهم طبيعة الرواية وصلتها بالراوي وما قد يعرض له من السهو أو الخطأ بما هو إنسان تنتابه شواغل الحياة وهمومها [1].

وقد يعدل عن الرأى إذا تبين له أنه خطأ وأن هناك رأياً أوجه منه. وقد تكلم مرة في مسألة فقال له رجل: في كتبك غير ذلك .. فقال: في كتبنا ما إذا مر بنا هذبناه بعقولنا وألسنتنا.

وما كان لليث أن يعتمد على حافظته القوية فقط ؛ بل كان حريصاً كل الحرص على جمعه في السطور أيضاً .. ولم لا وهو يتعامل مع سنة أشرف مخلوق سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) !!

ولكنه لم يكن يحدث بكل ما يعرف من أحاديث .. بل يختار ما يطمئن إلى صحته، وما يتثبت من صدوره عن الرسول (صلي الله عليه وسلم).

ولم يكن يكتب كل ما يتحدث به فقيل له: إنا نسمع منك الحديث ليس في كتبك .. فقال - وكان على ظهر مركب - لو كتبت ما في صدري ما وسعه هذا المركب [2].

والمتبع لما يرويه الليث من الأحاديث يجد فيها كثيراً مما يتعلق بحسن السلوك وكمال الخلق إلى جانب ما يتعلق بأحكام العبادات والحدود والمعاملات [3].

---

(١) الكناية للخطيب البغدادى ص ١٨٩-٢٧٩ بتصرف، الليث بن سعد. د. السيد خليل صـ١١٧ - ١١٨.

(٢) راجع مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر جـ٢١ ص ,٢٤٩

(٣) المحدثون في مصر والأزهر ودورهم في إحياء السنة النبوية الشريفة د. أحمد عمر هاشم صـ ٧٧.

بل يمكن أن نقول : إن سلوكه الأخلاقي الكريم " السخاء والوفاء "، إنما كان أثراً لدراسة الحديث الشريف، وسماته السلوكية إنما هي سمات أهل الحديث الذين أخلصوا لله وجوههم في دراسته [1].

رحم الله الليث بن سعد، الذى ظل طيلة حياته يحدث ويعلم تلاميذه السنة النبوية ، الذين تناقلوها بكل دقة وايقان عبر الأجيال إلى أن دونت فى الكتب الصحاح ..

---

(١) الليث بن سعد د. عبد الحليم محمود صـ ٧٣.

الخاتمة

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله..والصلاة والسلام على سيدنا محمد، النبى الأمى الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد

أما وأن لكل شىء بداية، فإن لكل شىء ـ كذلك ـ نهاية، فسبحان من لا بداية له ولا نهاية.

فلقد انتهيت من بحثى هذا بتوفيق من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ولكن لم ينته البحث بعدُ عن هذه الشخصية الفذة سيرة ومنهجًا؛ فما بحثى إلا لبنةٌ وضعتها بين لبنات وضعها من سبقنى، ولا يزال فى البناء مواضعُ كثيرةٌ للَّبِنات أُخَرَ يضعها رجال أطول منى باعًا فى البحث والدرس.

وقد خرجت من دراستى لهذه الشخصية (شخصية الليث بن سعد) بعدة نتائج، وهى :

ـ أن الإمام الليث بن سعد مصرى عربى أصيل، عريق النسب، فهو فَهْمِيّ، وفَهْمُ هذه بطن من قيس عيلان ومرجعهم إلى العدنانية،ومما يدلل على كونه عربيًا ـ كذلك ـ أنه كان ابن عم الوليد بن رفاعة بن ثابت بن ظاعن الفهمى الذى وَلِى مصر سنة ١٠٩هـ وتوفى وهو وال عليها سنة ١١٧هـ ، والوليد بن رفاعة عربى صُرَاح، من فهم ، ليس فى نسبه خلاف بين العلماء، ولما كان الليث ابن عمه، فهو أيضًا عربي فهمي مثله، فضلا عن أن أسماء آبائه كلها عربية ، تؤكد القول بعروبته.

ـ أن الليث ـ رحمه الله ـ كان قوى الفهم، متقد الذهن، غزير العلم، واسع الاطلاع ،طويل النفس فى التلقى وتحصيل العلم ومذاكرته وتدريسه، عزيز النفس، متواضعًا للعلم، مؤدبًا فى النقد، عف اللسان قوى الحجة أمينًا، فى النقل والإسناد والتمحيص، وكان ـ رضى الله عنه

ـ دائرة معارف جمعت بين علوم الدين وعلوم الدنيا، فقد جال فى ضواحى كل فن، فكان كالقارئ الذى لا يعرف إلا القرآن، وكالمحدث الذى لا يعرف إلا الحديث، وكالنحوى الذى لا يعرف إلا النحو..

ـ أنَّ البيئة التى نشأ فيها الليث قد أكسبته ما تُكْسِبهُ البيئات الخصبة أهلها من

اللين والرقة والتواضع والتودد إلى الناس والرفق بهم، فضلا عن ذلك فقد أثرت على حياته العلمية تأثيراً كبيراً؛ حيث نشأ وعاش فى بحبوحة من العيش وسعة من الرزق، الأمر الذى جعله لا يحمل للمعيشة همًا، وبالتالى انقطع لطلب العلم والترحال فى سبيله، فصار من العلماء الأعلام..

- ومن الأسباب الهامة فى نبوغ الليث - بالإضافة إلى البيئة التى نشأ فيها - حُبُّه للعلم والعلماء، وتتلمذه على أكثر من مائة شيخ، جُلُّهم من كبار المحدثين..

- أنَّ الليث - رحمه الله - كان له باع طويل فى علم الحديث، فقد كان يُعنَى عناية فائقة بنقل الأحاديث الصحيحة الواردة عن رسول الله ﷺ والموقوفة على الصحابة، رضوان الله عليهم.

- أن منهج الليث فى رواية الأحاديث كان قائمًا على أن الأصل فى الترجيح بين المرويات صدق الراوى وأمانته ودقته.

وكان الليث لا يعتمد فى رواية الأحاديث على حافظته القوية فحسب، بل كان حريصًا كل الحرص على جمعها فى السطور كذلك.

- أنَّ الليث كان لا يُحَدِّث بكل ما يعرف من أحاديث، لكنه يختار ما يطمئن إلى صحته، ويتثبت من صدوره عن النبى ﷺ.

- أنَّ الليث كان يروى كثيراً من الأحاديث التى تعمل على تهذيب المجتمع وإصلاحه، فتراه يروى كثيراً مما يتعلق بحسن السلوك، وكمال الخلق، إلى جانب ما يتعلق بأحكام الحدود والعبادات والمعاملات.

- أنه كان يضع نصب عينيه معانى الألفاظ فى أصل اللغة، وفى عرف الاستعمال، ويعمل على توجيهها توجيهًا سليمًا.

- أن الليث بن سعد - رضى الله عنه - كان شديد المواظبة على دروسه ومجالسه، فلا يتخلف عنها مهما حدث، وكان يحترم عقول طلاب العلم، فيترك لهم ما هو واضح فى معناه ومبناه، ويطرق لهم ما هو غامض فيشرحه ويوضحه ويجليه..

- أن دراسة شخصية العلامة الليث بن سعد - من الأهمية بمكان؛ إذ تلقى الأضواء وتكشف النقاب عن البيئة المصرية وأثرها فى تكوين العلماء، ودور العلماء المصريين والبيئة المصرية فى حفظ الحديث الشريف والشريعة الإسلامية الخالدة..

ـ أن الليث بن سعد عـاش فى فترة عصيبة وخطيرة من تاريخ الأمة الإسـلامية، فتـرة سقوط دولة وبزوغ أخـرى، وما صاحب ذلـك من ظهور تيارات وصـراعات.. إلخ، ومع ذلك استطاع أن يجـعل لنفسه مكانا بارزًا بين كـبار علماء عصـره، فضلا عن بصماته الواضحة والخالدة فى الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية فى عصره، مما جعل الخلفاء وولاة مصر وقضاتها يعرفون قدره ويجلونه ويضعونه فى المكانة الجديرة به .

ـ أن الإمام الليثَ لمكانتـه العلمية الكبيـرة وتعدد مناقبه التى لا يسـتطع الباحث حصـرها جعله يحتل ثقـة علماء الحديث وعلماء الـرجال والجرح والتعـديل، فظفر منهم بثناء منقطع النظير .

ـ أن ما جاء فى رسـالة الإمام الليث إلى الإمام مالك بن أنس يؤكـد على أهمية الشخـصية المصـرية فى التشـريع الإسلامى والحيـاة العلمية، تلـك التى أبرزها الإمام الشافعى حينما جاء إلى مصر، وعاش فيـها، واتصاله بكثير من الشخصيات التى كان لها أثر طيب فى دعم الحركة العلمية بمصر وتثبيت قواعدها، وإرساء أصولها.

ـ أنَّ مجـموع ما رواه الأئمـة الستـة فى كتبـهم عن إمامنا الليث بن سـعد ألفٌ وأربعمائة وواحد وستون حديثًا، روى منها:

أ- الإمام البخارى فى صحيحه أربعمائة وسبعة وثلاثين حديثًا.

ب- الإمام مسلم فى صحيحه مائتين وثمانية وتسعين حديثًا.

جـ- الإمام الترمذى فى سننه مائة وسبعين حديثًا.

د- الإمام أبو داود فى سننه مائة وثمانية وأربعين حديثًا.

هـ- الإمام النسائى مائتين وستة وثمانين حديثًا.

و- الإمام ابن ماجه مائة واثنين وعشرين حديثًا.

ـ أن الليث بن سعـد ظل محتـفظًا بقوة البدن، وصـحوة الفكر طيلة حـياته التى ناهزت الثمانين عاما، لم يـنقطع فيها عن حلقته فى مسجد عـمرو بن العاص أو بيته حتى توفاه الله.

هذا أهم ما جال فى خاطرى، وجاش بصدرى، وأفصح به قلمى من نتائج..

وبناءً على ما ذكرت من نتائج فإننى أوصى بما يلى:

- تدريس نماذج من آثار الليث بن سعد فى مادة التربية الدينية فى المدارس، ووضع الرسائل التى دارت بينه وبين الإمام مالك أمام الطلاب والتلاميذ موضع الإعزاز والإكبار؛ كى يتعلموا ويتأدبوا ويقتدوا بعلمائهم الأخيار فى أدب الحوار، من خلال ما تحلوا به من أدب جم، وذوق رفيع، ونقاش هادئ، وحوار هادف.

- التعريف بالإمام الليث بن سعد وبجهوده العلمية من خلال وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية والاهتمام بتجديد مسجده الذى أثرت فيه عوادى الزمن، ونقل شعائر صلاتى الفجر والجمعة منه بين الحين والآخر عبر الإذاعة والتلفاز.

- طباعة مثل هذه الأعمال لإلقاء الأضواء على شخصيته التى كان لها أعظم الأثر فى سير وتطور الشريعة الإسلامية والمحافظة على سنة رسول الله ﷺ.

- فتح آفاق جديدة لدراسة وتخريج مرويات الإمام الليث فى كتب السنة فجزاه الله عن حديث رسوله ﷺ وعن العلم والعلماء خير الجزاء.

هذا.. وقد أفرغت جهدى فى إعداد هذا البحث وإخراجه على هذا النحو، وهو جهد المقل، ولا أحسب أنى قد وفيت الإمام حقه فى هذا البحث، ولكنى أخذت من بعض ما فيه بطرف أسلمه إلى غيرى لعله يجد منه نقطة البدء؛ فيأتى بشىء لم أصل إليه.

ولأن أعمال بنى الإنسان موصوفة بالخطأ والنسيان موصولة بمدد لا ينقطع من عثرات الهفوات والزلات، ومهما بلغ حرص المرء ويقظته، فلا بد له من العثار فى هافية القول أو غافية العقل.

والله - عز وجل - أسأل أن يعصمنا من الزلل والخطأ والنسيان، وأن يهدينا سواء السبيل..

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَى وَالِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾. [من الآية ١٩: سورة النمل]

أحمد محمد على سليمان

المصادر والمراجع

١- الأئمة الأربعة لأحمد الشرباصي ط. دار الهلال ب. ت.

٢- أئمة الفقه التسعة لعبد الرحمن الشرقاوي ط. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ب. ت.

٣- الأحزاب السياسية في الإسلام، لصفي الرحمن المباركفوري. الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م طبعة رابطة الجامعات الإسلامية.

٤- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي ٣١٩هـ-٣٨٨هـ تحقيق ودراسة الدكتور محمد بن سعيد ابن عبد الرحمن آل سعود. طبعة أم القرى - معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي - مركز إحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة.

٥- أعلام في التاريخ الإسلامي في مصر د. سامح كريم . طبعة الدار المصرية اللبنانية سنة ١٩٩٥م

٦- إعلام الموقعين عن رسول رب العالمين لابن القيم الجوزية، طبعة دار التراث العربي - بيروت.

٧- الإمام أحمد بن حنبل حياته ومكانته في الفقه والحديث للدكتور عبد العزيز عزام طبعة دار البيان. الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٨-الأنساب للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، طبعة دار الجنان ب.ت.

٩- البداية والنهاية، لابن كثير تحقيق عبد الرحمن اللادقي ومحمد غازي بيضون، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ،طبعة دار المعرفة بيروت، لبنان.

١٠- تاريخ الأمم والملوك، للإمام ابن جرير الطبري، ط دار التراث العربي - بيروت.

١١- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للحافظ الذهبي ، حوادث ووفيات ١٧١ - ١٨٠هـ تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٣م الناشر دار الكتاب العربي.

١٢- تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ للخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ جـ ١٣، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ب.ت.

١٣- تاريخ التشريع الإسلامي، عبد العظيم شرف الدين طبعة: العربي - القاهرة سنة ١٩٨٥م.

١٤- تاريخ التشريع الإسلامي لعبد اللطيف محمد السبكي ومحمد علي السايس ومحمد يوسف البربري، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، الطبعة الثالثة - سنة ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

١٥- تاريخ الثقات، للإمام الحافظ أحمد بن عبد الله بن صالح أبي الحسن العجلي تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، طبعة دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

١٦- تاريخ الخلفاء للإمام السيوطي طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ب.ت.

١٧- التاريخ السياسي للدولة العربية، تأليف : عبد المنعم ماجد، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٠م.

١٨- التاريخ الصغير، للإمام البخاري، تحقيق محمود إبراهيم زايد، طبعة دار للمعرفة بيروت .

١٩- تاريخ المذاهب الإسلامية فى السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، للإمام محمد أبو زهرة، طبعة دار الفكر العربى- القاهرة، ب. ت.
٢٠- تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، تصنيف : لأبى سليمان الربعى . تحقيق:محمد المصرى - الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م - الناشر مركز المخطوطات والتراث والوثائق - بالكويت.
٢١- تكوّن الاتجاهات السياسية فى الإسلام الأول من دولة عمر إلى دولة عبد الملك، للدكتور إبراهيم بيضون، طبعة دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٢٢- تهذيب التهذيب، للإمام الحافظ ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢هـ - رحمه الله تعالى - الجزء الثامن الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة فى الهند بمحروسة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٢٦هـ
٢٣- الثقات الذين ضعفوا فى بعض شيوخهم، جمع ودراسة: صالح بن حامد الرفاعى، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - المملكة العربية السعودية - المجلس العلمى - مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى سنة ١٤١٣هـ
٢٤- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ط. إدارة المطبعة المنيرية بمصر ب. ت.
٢٥- الجامع الصحيح، وهو سنن الترمذى، بتحقيق وشرح : أحمد شاكر، دار الكتب العلمية بيروت.
٢٦- الجرح والتعديل، للإمام الحافظ التميمى الحنظلى الرازى ، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند، ب. ت..
٢٧- حسن المحاضرة للإمام جلال الدين السيوطى ، طبعة مطبعة الوطن ب. ت.
٢٨- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ الأصبهانى المتوفى سنة ٤٣٠هـ للمجلد السابع، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ط دار الكتاب العربى.
٢٩- دائرة المعارف الإسلامية.
٣٠- دراسات وبحوث جديدة في تاريخ التربية الإسلامية، د. مجاهد توفيق الجندي، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤م، ط دار المعارف.
٣١- دراسات حول السنة، د. محمد إبراهيم الجيوشى طبعة دار الهدى للطباعة بالقاهرة ،الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٣٢- دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين للدكتور محمد ابن محمد أبو شهبة الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩م - مكتبة السنة - القاهرة.
٣٣- الدور الثقافى والاجتماعى للوقف فى المجتمعات الإسلامية ، أحمد على سليمان، تحت الطبع.
٣٤- الدولة الأموية للدكتور محمود محمد زيادة، طبعة دار التأليف بالمالية بمصر سنة ١٩٦٨- ١٩٦٩م.

٣٥- الدولة العباسية - العصر العباسى الأول عصر القوة والنفوذ والعمل سنة ١٣٢ - ٢٣٣هـ تأليف الدكتور السيد أحمد إبراهيم حمور، الطبعة الثالثة سنة ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٣٦- ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته عن الثقات عند البخاري ومسلم ، تخريج الحافظ الدارقطني ، دراسة وتحقيق: بوران الضناوي، كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥م، الناشر : مؤسسة الكتب الثقافية.
٣٧- الرائد: معجم لغوي عصري، جبران مسعود، طبعة دار العلم للملايين - بيروت الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٦م.
٣٨- رجال صحيح البخارى للكلاباذى تحقيق:عبد الله الليثى، طبعة دار المعرفة - بيروت سنة ١٩٨٧م.
٣٩- سنن أبي داود، ط دار الحديث القاهرة سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٤٠- سنن النسائى - اعتنى به ورقمه وصنع فهارسه: عبد الفتاح أبو غدة ، ط : دار البشائر الإسلامية - بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
٤١- سنن ابن ماجه، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي.
٤٢- السنة قبل التدوين ، للأستاذ محمد عجاج الخطيب، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٦٣م.
٤٣- السنة ومكانتها فى التشريع، تأليف الدكتور / مصطفى السباعى، ب.ت.
٤٤- السنة النبوية وحجيتها، للدكتور إبراهيم الكندى، طبعة دار البيان للنشر والتوزيع، سنة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٤٥- سير أعلام النبلاء، للذهبى ، الجزء الثامن الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط ، حقق هذا الجزء : نذير حمدان، ط مؤسسة الرسالة.
٤٦- سيرة الإمامين الليثى والشافعى، الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية فى مناقب سيدنا ومولانا الإمام الليث بن سعد - رضى الله عنه - للحافظ ابن حجر العسقلانى ٧٧٣ - ٨٥٢هـ الناشر: مكتبة الآداب بمصر.
٤٧- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، للمؤرخ الفقيه الأديب ابن العماد الحنبلي، المتوفى سنة ١٠٨٩، تحقيق:لجنة إحياء التراث العربي، من منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت ب. ت.
٤٨- الشرطة ومهامها فى الدولة الإسلامية للدكتور فاروق عبد السلام، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ - ١٩٨٧م، طبعة رابطة الجامعات الإسلامية.
٤٩- صحيح البخارى، شرح وتحقيق: الشيخ قاسم الشماعى الرفاعى الطبعة الأولى ١٤٩٧هـ- ١٩٨٧م،طبعة دار القلم بيروت- لبنان.
٥٠ - صحيح مسلم للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى، ٢٠٦ - ٢٦١هـ ط: دار إحياء الكتب العربية ب. ت.

٥١- صفحات من تاريخ مصر (٢) تاريخ مصر إلى الفتح العثمانى مع نبذ فى أخبار الأمم التى ارتبطت بمصر إلى ذلك ، تأليف: عمر الأسكندرى، أ. ج، سفدج ، الناشر : مكتبة مدبولى بالقاهرة الطبعة الثانية سنة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٥٢-صفة الصفوة، للإمام الجوزى، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م، طبعة دار ابن خلدون.

٥٣- ضحى الإسلام للأستاذ أحمد أمين، الطبعة السابعة، الناشر مكتبة النهضة المصرية، ب.ت.

٥٤- طبقات علماء الحديث، للإمام أبى عبد الله الدمشقى الصالحى تحقيق:أكرم البوشى، وإبراهيم الزيبق، الجزء الأول الطبعة الثانية ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م، طبعة مؤسسة الرسالة.

٥٥- الطبقات الكبرى لابن سعد، دراسة : وتحقيق محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

٥٦- طبيعة الدولة العباسية، تأليف: فاروق عمر، طبعة دار الرشاد- بيروت، سنة ١٩٧٠م.

٥٧- العبر فى خبر من غبر،للحافظ الذهبى جـ١ من سنة ١ إلى سنة ٣١٨، حققه وضبطه على مخطوطتين: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ب .ت.

٥٨- العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسى، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه:أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإبيارى، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٦٩م.

٥٩- علل الحديث ومعرفة الرجال، للمحدث الحافظ الأصولى على بن عبد الله المدينى، شيخ البخارى، حققه وخرج حديثه وعلق عليه :الدكتور عبد المعطى أمين قلعجى، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م دار الوعى - حلب.

٦٠- العلل ومعرفة الرجال عن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ رواية المروذى وغيره، تحقيق: الدكتور وصى الله بن محمد عباس، الناشر الدار السلفية بومباى الهند، ب. ت.

٦١- عوالى الليث بن سعد لقاسم بن قطلوبغا المتوفى سنة ٨٧٩هـ رواية حسن بن الطولونى، قدم له وحققه وخرج أحاديثه :عبد الكريم بكر الموصلى النعيمى، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م، الناشر مكتبة دار الوفاء للنشر والتوزيع.

٦٢- الفلسفة السياسية عند أبى حامد الغزالى، تأليف محمد أيت وعلى، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م، الناشر: دار التنوير للطباعة والنشر ـ لبنان.

٦٣- الفهرست لابن النديم، الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ب.ت.

٦٤- قيام الدولة العباسية وتفسير جديد لدوافع الفرس إلى مؤازرتها، للدكتور محمد عبد الفتاح عليان، طبعة دار الهداية للنشر والتوزيع بالقاهرة الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٦٥- الكامل فى التاريخ ، للإمام الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزري، الناشر: دار الكتاب العربى، الطبعة السادسة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٦٦- كتاب تذكرة الحفاظ الذهبى ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
٦٧- كتاب الثقات، للإمام الحافظ أبى حاتم التميمى البستى، طبع بمساعدة وزارة المعارف والشئون الثقافية للحكومة الهندية العالية، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند سنة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
٦٨- الكنى والأسماء، للإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقرى ط. المجلس العلمى لإحياء التراث الإسلامى بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٦٩- كنوز الفرقان، مجلة علمية دينية ثقافية فى علوم القرآن الكريم يصدرها الاتحاد العام لجماعة القراء، العددان الخامس والسادس جماد أول وجماد ثانى ١٣٧٢هـ السنة الخامسة.
٧٠- لب الألباب في تحرير الأنساب، للعلامة السيوطي، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز ، أشرف أحمد عبد العزيز، طبعة دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى، سنة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .
٧١- الليث بن سعد، إمام أهل مصر، للدكتور عبد الحليم محمود طبعة دار المعارف.
٧٢- الليث بن سعد فقيه مصر، للدكتور السيد خليل، طبعة دار المعارف.
٧٣- الليث بن سعد وأثره فى الفقه، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر بالقاهرة، أعدها محمد رشيد نافع سنة ١٩٧٣م.
٧٤- لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث، للدكتور عبد الفتاح أبو غدة طبعة مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ـ سوريا، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٧٥- مالك بن أنس ، للأستاذ أمين الخولى، طبعة الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٩٤م.
٧٦- المجتمع العربى والإسلامى للدكتور إبراهيم شعوط الطبعة الأولى سنة ١٣٨٢هـ ، طبعة دار الطباعة المحمدية بالأزهر - القاهرة.
٧٧- المجتمع فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى العصر الفاطمى هويدا عبدالعظيم رمضان، ط الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٩٤م.
٧٨- مجلة الأزهر الجزء السادس ـ السنة الرابعة والسبعون جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ ـ سبتمبر ٢٠٠١م.
٧٩- المجمل فى تاريخ مصر ـ النظم السياسية والإدارية، للدكتور ناصر الأنصارى طبعة دار الشروق ـ الطبعة الثانية سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٨٠- المحدثون فى مصر والأزهر ودورهم فى إحياء السنة النبوية الشريفة، للدكتور: أحمد عمر هاشم، الناشر : مكتبة غريب القاهرة، ب.ت.

***

الفهرس

الموضـــــوع	الصفحة
تصـــــدير	٤
مقدمة المؤلف	٦
الفصل الأول : عصر الليث بن سعد	١١
المبحث الأول : الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى عصر الليث	١١
المبحث الثانى : الحياة العلمية فى عصر الليث	٤١
الحياة العلمية فى المجتمع الإسلامى فى عصر الليث	٤١
الحياة العلمية فى مصر وأثرها فى منهج الليث	٤٨
مناهج البحث العلمى فى هذا العصر	٥٨
تدوين الحديث فى عصر الليث	٦٠
الفصل الثانى : شخصية الإمام الليث بن سعد	٦٥
المبحث الأول : نسبه ومولده	٦٥
المبحث الثانى : نشأته وحياته العلميه	٦٩
المبحث الثالث : رحلاته وشيوخه وأثرهم فيه	٧٤
رحلات الليث	٧٤
شيوخه وأثرهم فيه	٧٨
المبحث الرابع : صفات الليث الخُلُقية والخَلْقية	٨٤
المبحث الخامس : منزلته فى الرواية ومكانته العلميه	٩٥
منزلته فى الرواية جرحا وتعديلا	٩٥
مكانته العلمية	١٠٢
منـاقبه	١٠٥
ثناء العلماء عليه	١٠٧
المبحث السادس : تلاميذه وأثره فيهم	١١١

المبحث السابع : وفاته ١١٦
الفصل الثالث : مصنفاته ومختارات من أثار الليث بن سعد ... ١٢٠
مختارات من آثاره الفقهية ١٢٣
مـخـتـــارات من مــروياته فى الحـديـث النبـوى
الشريف ١٣٦
منهج الليث فى رواية الحديث ١٧٧
الخـــاتمة ١٨٢
المصادر والمراجع ١٨٦
الفهـرس ١٩١

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٠٠٥/٢٢٤٥٥

مَطْبَعَةُ الْكِيلانِيّ
٢٢ ش الأديب كامل كيلانى - باب الخلق
ت : ٣٩١٨٥٩٨ - ٠٢/٣٩٥١٥٤٣